سلسلة خفايا التراث الإسماعيلي 4

الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية

وضعه (700 هـ) عامر بن عامر البصري

تحقيق المستشرق إيف ماركيه

ويليه القصيدة الصورية ورسالة التحاميد ورسائل المعري وداعي الدعاة



الأسرار الخفية فى أشعار الاسماعيلية

سلسلة خفايا التراث الإسماعيلي

1 - كتاب الكشف: تأويل إسماعيلي لآيات القرآن للداعي جعفر بن منصور اليمن، تحقيق ر. شتروطمان. 260 ص، 8$

2 - الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية ويليه رسالتي الإيضاح والتبيين وتحفة المرتاد لعلي بن محمد بن الوليد ورسالة الإسم الأعظم تحقيق ر. شتروطمان. 276 ص، 8$

3 - الأرجوزة المختارة في الإمامة [موقف الفِرَق من مسألة الإمامة ونقضه ودفاع عن حق الأئمة]، للقاضي أبي حنيفة النعمان (ت363 هـ). تحقيق إسماعيل پوناوالا. 370ص

٤ - الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية، وضعه (700 هـ) عامر بن عامر البصري، تحقيق المستشرق إيڤ ماركيه، ويليه القصيدة الصوَرية للداعي محمد الصوَري، ورسالة التحاميد الخمس ورسائل المعرّي وداعي الدعاة الفاطمي.

- ديوان المؤيّد في الدين داعي الدعاة وتسبقه دراسة في تاريخ الفاطميين وعقائدهم وموقفهم من الفِرَق والأديان بقلم محمد كامل حسين.

سلسلة خفايا التراث الإسماعيلي 4

الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية

وضعه (700 هـ) عامر بن عامر البصري تحقيق المستشرق إيف ماركيه

ويليه القصيدة الصوَرية للداعي محمد بن علي الصوَري

ورسالة التحاميد الخمس ورسائل المعري وداعي الدعاة الفاطمي



دار بيبليون
باريس



دار بيبليون - باريس

Dar BYBLION

30, R.de Passy, Paris 16e

byblion3@yahoo.com

ايف ماركيه

الاسرار الخفية في اشعار الاسماعيلية

تائية عامر بن عامر البصري

بسم الله الرحمن الرحيم به نعتصم من الزلل

قال الفقير الى اللّه تعالى عامر بن عامر البصرى قدس الله تعالى روحه العزيز :

بسم رب البنيّة[1] العظمى، والكلمة العليا. مظهر الأشياء بحقائقها[2]. وضابط نظام أحوالها[3] بدقائقها. الواحد الكثير[4]. المطلق بلا نظير. منبع الحياة. ومبدع الكمالات[5]. له الثناء الأعلى[6]. والأسماء الحسنى. والصلوات الصالحات[8]. والتحيات الزاكيات على مظهره الأشرف. وجوهره الأصفى[9] الألطف. مراته التي رأى فيها حقيقته. والنفس[10] التي اصطنعها[11] لنفسه. لتكون[12] في أرضه خليفته. رئيس النوع في كل زمان. ومُرَتب أحواله[13] عند كل أوان. محمد الوقت المحتوم. وعلى آله واصحابه الى اليوم المعلوم[14]. وبعد فانه لما رأى الاخوان أمدهم اللّه بتوفيقه[15]. وأراهم الحق بتحقيقه. ما تضمنته[16] قصيدة الأخ العزيز غريق رحمة ربّه أبي حفص عمر بن الفارض الأندلسي[17] التائية في علم التوحيد من النظم الرائق. والتجنيس الفائق. والمعاني الدقيقة. والألفاظ الرشيقة[18]. غير أن معناها معنى واحد[19] ينطبق على وحدة صرفة. وليس ذلك بحلول كما ظنه من لا خبرة له به[20] لأن الحلول يقتضي وجود شيئين أحدهما حالّ والثاني محلّ وليس الأمر كذلك عند فحول الموحدين بل عندهم أن الواحد المطلق من كل الوجوه لا شيء[22] سواه وهو ظاهر للكل بالكل[23] ولكل فردٍ

---

12 - Mag et L : ليكون .

13 - B et L : أحوال أشخاصه .

14 - V : يوم الوقت المعلوم .
B et L : يوم المعلوم .

15 - V : أمدهم الله تعالى بمعونته وتوفيقه .
L : ... أيدهم الله بتوفيقه واراهم الله.. .
B : الله manque

16 - ما تضمنته manque dans L

17 - L et B : الأندلسيّ المَغْرِبيّ .

18 - B : والألفاظ المتينة الرشيقة .
L : والألفاظ المنيقة الرتيقة .

19 - B et L : غيْرَ أنَّ مَعْنَهَا وَاحِدٌ .
V : معنًى واحدًا .

20 - B et L : بَعْضُ المُتَوَهّمِينَ

21 - B et L : أحَدُهُمَا مَحَلٌّ وَالثاني حَالٌّ .
V : ... والآخر محلٌّ

22 - L : لا يبقى

23 - B et L : بِالْكُلِّ لِلْكُلِّ .

من افراد كثرته الداخلة في حقيقة وحدته نصيب من عين تلك الوحدة ولا خروج له عنها ولا انعدام يطرأ[24] على شيء منها. فلما شاهد الاخوان ذلك[25] وأنه كرّر[26] معنى التوحيد فيها[27] تكرارا مفرطا[28] التمس مني المقرب لديّ منهم[30] والمعتبر عندي فيهم ترتيب قصيدة على وزن تلك القصيدة ورويّها[31] توضح[32] معنى ما ذكره ذلك الأخ العزيز[33] زيادة ايضاح[34] واضافة ما فاته[35] أو لم يذكره من العلم بالروح والنفس والمبدأ والمعاد بكشف وضّاح وأن أتبع ذلك[36] بتذييلات[37] أخر عزيزة[38] مما يتعلق بمعرفة الأدوار والأكوار وظهور صاحب الوقت وعلاماته[39] وأعرّض[40] بذكر شيء من معجزات[41] الأنبياء عليهم السلام[42] وبيان بعضها بإيماء خفي[43] وذلك لما تحققوه من ريّ رويّتي من بحر هذه الأسرار. وتيقن درايتي بمنافع[44] هذه الأنوار. فأجبت[45] ملتمسهم بالإنابة. ولبّيت دعوتهم بالإجابة. ونظمت لهم هذه القصيدة العزيزة[46] الأبيات. المتضمنة لحقائق أصول النفي[47] والإثبات. مما تعود[48] فائدته[49] على المستعدّ. والله هو الممدّ. ورتبتها على ثلاثة عشر نورا[50] يدل كل نور منها على معنى يخصه[51] ليسهل تناوله على متأمله[52]. وأنت أيها الرفيق الشفيق[53] إن تجد عيبا فسد الخلل[54]. وبالله المستعان. والله اعلم بالصواب[55].

---

43 - B et L : ajoutent وَذِكْرِ شَيْءٍ من الأخلاقِ

44 - L : بمنابع . B et L : بمطالع .

45 - L : فاوجبت

46 - B et L : الغَرِيبَةَ

47 - Dans V : النقى ! est-ce bien النفي ، ou le copiste a-t-il voulu écrire à tort النُّقى ؟

48 - Mag, B et L : يعود

49 - L : فائدة

50 - B et L على اثْنَيْ عَشَرَ نُورًا ولَمْعَة
V : على ثلثة عشر اشارة
Le texte de Mag offre certainement la leçon originelle. Le copiste de V, remplaçant نورا par اشارة sans modifier le nom de nombre a introduit une faute de grammaire.
Il écrit ensuite : تدل كل اشارة منها .
voulant sans doute remplacer يدل par تدل .
Ce copiste a sans doute été suivi par d'autres et notamment par celui de Tam.

51 - B et L : يَخُصُّهَا
V : يخصه (nouvelle faute, puisque اشارة remplace نور)

52 - B et L : ajoutent وَسَمَّيْتُهَا ذاتَ الأَنْوَارِ
qui n'existait sans doute pas dans les manuscrits anciens.

53 - B, L et Mag ont فَإِنْ (que Maghribî propose de corriger).

54 - V : الخللا

55 - L : وبالله المستعان عز وجلّ
B : واللّهُ المُسْتَعَانُ عَزَّ وَجَلَّ
V فجل من لا عيب فيه وعلا . والله سبحانه هو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

النور الأول

في التوحيد

1	تجلى لي المحبوب من كلّ وجهة	فشاهدته في كل معنى وصورة
2	وخاطبني مني[1] بكشف سارئر[2]	تعالت عن الأغيار لطفا[3] وجلّت
3	فقال أتدري من أنا قلت أنت يا	منادي[4] أنا اذ كنت أنت حقيقتي
4	فقال كذاك[5] الأمرُ لكنما اذا	تعينت الأشياء بي[6] كنتَ نسختي
5	فأوصلت ذاتي باتحادي[7] بذاته	بغير حلول بل بتخصيص[8] نسبة[9]
6	وصرت فناء في بقاء مؤبد	لذات[10] بديمومية سرمدية
7	اذا رمت أثباتا لإنّيتي محا	هواه وجودي محوة أيَّ محوة
8	فيأخذني مني فأصبح سائلا	لنفسي عن نفسي بنفسي لغيبتي[11]
9	وانظر في مرآة ذاتي مشاهداً	لذاتي بذاتي وهو غاية غايتي[12]
10	فأغدو وأمري بين أمرين واقفٌ[13]	علومي تمحوني ووهميَ مثبتي
11	حبيب له في حبة[14] القلب مسكن	ترفع عن هندٍ ودعدٍ[15] وعزة[16]
12	عذابيَ عذب في رضاه[17] وذِلّتي[18]	لديه اذا ما رامها[19] عين عزّتي[20]

---

11) Tam : لغيبة ؛ V : لقنيتي

12) L : غاية

13) L : واحد . Tam : واقفا

14) L : جنّة ؛ V : حبه

15) L : ووعد

16) V : وعلوة

17) Tam : هواه

18) L : وزلتي

19) Tam : دامها

20) Mag. : عزّة

13 وتحقير[21] قدري إن[22] رآه تعظّم[23] — وترفيه[24] سرّي فيه حمل مشقّتي[25]

14 بديع جمال. في دقائق حسنه — رقائق[26] جلّت أن تُرى من لطافة

15 يعيدُ[27] الدجى صبحاً بواضح غُرّة — ويُبدي[28] الضحى ليلاً بفاحم طُرّة

16 ويُخجل[29] تغريدَ الحَمام بلهجة — ويُخمل[30] بدر التم منه[31] ببهجة

17 يزور بلا وعدٍ. ويخلف[32] وعده. — ويبخل[33] ان يدنو[34] ويسخو بجفوة[35]

18 وينعم لي بالوصل حينا. وتارة — يضنّ[36] على طَرْفِ[37] المُعنّى[38] بنظرة

19 فمن[39] مقلتي من بعده[40] فيض دجلة — وفي كَبدي من منعه[41] لذع حرقة[42]

20 واحلى وصال الخِلّ[43] إن ذقت طعمه — تجدْهُ اذا ما كان بعد قطيعة

21 أبيتُ بجفنٍ من جفاه مُسهّدٍ[44] — وأغدو بشملٍ من نواه مُشتّت

22 فإن اكُ قد أصبحت في العِشق شُهرةً — فيا حبّذا هتكي بذاك وشُهرتي[45]

23 لئن شرب العُشّاقُ كأساً من الهوى — فما شربوا من كأسه كان جرعتي[46]

24 وان قتل الوَجدُ المحبين بالأسى — فلا بأس أن تُقضى بذلك قَتْلَتي

25 كتمتُ هواه برهةً فوَشى به — عليّ شجوني واصفراري وعبرتي[47]

26 خَفيتُ نُحولاً[48] عن عيون عوائدِي[49] — فدلّهم كربي عليّ وزفرتي

27 أُقضّي نهاري حَنّةً بعد حنّةٍ[50] — وأقطع ليلي أنّةً بعد أنّة

28 أأشرح[51] حالي في هواه وحالتي — لإيضاحها فيه عن الشرح أغنت[52]

29 سأركبُ[53] صَعْبَ الأمر فيه ولم أُبَلْ[54] — أأُمنيّتي كانت به أم منيّتي

---

37) L : طرفي
38) Tam : المعنّي
39) Tam : ففي
40) V : خُلقه . Tam : هجره
41) V : بخله . Tam : صدّه
42) V : جمرة
43) Tam : الحل
44) B : مُسَهَّر
45) Ce vers manque dans Tam
46) Tam : غير شربة
47) Tam : وعزتي
48) Tam : نحولي
49) Tam : عوازل
50) Tam : ساعة بعد ساعة
51) Tam : وأشرح
52) V : أغيّبت
53) Tam : واركب
54) Tam : غير مفكر

30 وأحمل أثقالَ الصَّبابة صَابراً — ولو[55] تلفت من شدّة الحب مهجتي

31 وُجُودٌ لـه ديمومَـةٌ ابديّـة — يُـدَلُّ[56] بها منها على أزليّة

32 فلله ما أبدى لنا من سرائرٍ — وأودعها[57] في الصورة الألفية[58]

33 سقاني حمياه محيا[59] جماله — فرحت سليب القلب[60] من ذوق[61] نشوة

34 وناولني راحاً براحة كفه — فكان بها إنعاشُ رُوحي وراحتي

35 بدا ظاهراً للكل بالكل[62] بيّناً[63] — تشاهده[64] العينان في كل ذرّةِ[65]

36 وأشرق منه مطلقٌ قيَّد الوَرَى — عموماً[66] بوحدانية صمديّة

37 هو الواحدُ الفردُ الكثيرُ[67] بنفسه — وليس سواه ان نظرتَ بدقّة

38 به كلُّ حيٍّ وهو حيٌّ بذاته — فإن شئت ان تحيى[68] به فله مت[69]

39 له كلُّ عينٍ في الوجود يرى بها — له كلُّ أذنٍ في البرايا وَعِيّة[70]

40 له كلُّ كفٍّ في الورى باطشاً بها[71] — له كلُّ علمٍ من علوم[72] الخليقة[73]

41 لذلك[74] ما قال الآله لآدمٍ — على صورتي[75] كانت كخلقك[76] خِلقتي[77]

42 فكثرته مخفيّةٌ تحتَ وَحْدةٍ — كما أنا فردٌ كثرتي تحت وحدتي[78]

43 بقيت به[79] لما فنيت له[79] كما — وجدتُ حياتي فيه من بعد موتتي

44 تناهى[80] كمالا فهو فى كل حالةٍ — بغير زيادات[81] ولا بنقيصة

45 هو الشاسعُ الداني الينا بذاتهِ[82] — هو الغائب المشهود[83] فى كل بقعة

46 هو العاشق المعشوق فى كل[84] صورة — هو الناظر المنظور فى كل[84] لمحة

---

72) Mag : في العلوم (corrigé par Maghribi)
73) Tam : الحقيقة
74) Tam : كذلك
75) Tam : صورة
76) B, L et Tam : لخلقك
77) Tam : خلقة
78) Les vers 42 et 43 manquent dans Tam
79) به et له sont intervertis dans V
80) V : تناها
L : تناهي (corrigé dans la marge)
81) Tam : ازدياد لا
82) B et L : بعينه ؛ Tam : بنفسه
83) Tam : المشهور
84) V : كل est ajouté au dessus de la ligne dans le 1er hémistiche, omis dans le 2e

47 تجول[85] عقول الخَلْق حول جَنابه[86] ولم يُدركوا[87] من نوره[88] غير لمعة

48 ويعجِزُ كنهُ الفهمِ عن كنه ذاته[89] فيرجع عنه خاسئا جِلْفَ[90] خيبة

49 ولو شاهدتْ أنوارَه لا هتدت بها ولكنها بالوهم عنها[91] تَعَدَّتِ

50 نظرتُ فلم أبصر سوى محضِ وَحْدةٍ بغير شريك قد تَغَطَّتْ بكثرةِ

51 تكثَّرتِ[92] الأشياء والكلُّ واحدٌ صفاتٌ وذاتٌ ضُمِّنَا[93] في هُوِيَّةٍ[94]

52 ووحدتُه ذاتٌ بها[95] كلُّ كثرة وعِلَّتُه[96] قامت بها كلُّ عِلَّة

53 تحجَّب عنا واختفى بظهوره فضلل[97] فيه كل قوم بحجَّة[98]

54 فسائر ذرّات الوجودِ مظاهرٌ له إن رآه باصرٌ[99] ببصيرة

55 محا ممكناتِ الوهم منه[100] بواجبٍ حوى كثرةً توحيدُها بالضرورة

56 وذاك لأنْ لا شئً يوجد بعدها[101] وجملتُها موجودةٌ بالمعيَّةِ

57 فلا شيءَ منها زائد لنقيصةٍ ولا شيء منها ناقصٌ لزيادة.

58 ولا شيءَ منها سابقٌ بظهوره ولا شيء منها لاحقٌ بعد بُرهَة

59 فقد صار عينُ الكل فردا لذاته وإن دخلتْ افرادُه تحت عِدَّة

60 وقُيِّدت الأشياءُ منه بمطلقٍ بغيرِ نظيرٍ إن نظرت بعِبْرةٍ[102]

61 فلا[103] عينه موجودةٌ في مقيَّدٍ[104] ولا غيرُه ذاك المقيَّدُ فاثبت

62 ولكنما الأعراض تبدو وتختفي على أنها ملزومة الجوهريَّةِ[105]

63 فلا عدمٌ يطرا[106] على جوهرٍ ولا على عَرَضٍ فاسمع بأذن سميعةِ[107]

---

98) Mag كل يوم Je propose de lire :
فَضُلِّلَ فيه كُلُّ قَوْم

99) V : ناظر . L : introduit ما après : باصر
le vers 54 manque dans Tam.

100) B منه est omis;
correction dans la marge : فيها

101) B et L : غيرَها ؛ Le vers 56 manque dans Tam

102) Mag : لِعِبْرَة ؛ Tam : بدقة

103) V, B et L : ولا

104) Tam : بمقيد

105) Dans Tam, le vers 62 vient après le vers 64.

106) V : يطرو ؛ B et L : يَطرَى
Mag : يُطرى
Tam : يطغى

107) Tam : وعيت

64 لأنّهما قد دُوِّنا في صحيفة الـ وجود فلا محوٌ لتلك الكتابة

65 وهذا اتفاقٌ للشهود مطابقٌ يُريك خلافاً فيه أطرفُ[108] طُرْفَة

66 أيَا[109] واحداً فى كلِ شيءٍ مشاهداً أُعاينه فى خَلْوتي مثل جَلْوَتي[110]

67 لك الكلُّ يامن لا سِواه فمن رأى سِواك فرؤ يا ذاك من أحْوَلِيَّة[111]

68 اليك رحيلي إن رحلتُ فإن أُقِمْ فعندكَ لا عندي تكون إقامتي

69 أراك بعين العقلِ والحسِّ دائماً خفياً جَلِياً في رُقادي ويقظتي[112]

70 فكيفَ[113] بوجهي ملتُ عنكَ فانَّه اليك. فانْ[114] أَسجدْ فوجهكَ قِبْلَتي

71 وان سِرتُ يوما عنك فيك ومطلبى سواكَ[115] ثنى شوقي إليك أعِنَّتي

72 فأفرحُ في حالين حالِ تعيُّني وحالِ فنائي فيك بالأحَدِيَّةِ[116]

73 فأنتَ أنا لا بل أنا أنتَ وحدةٌ مُنَزَّهَةٌ عن كل غيرٍ[117] وشِرْكَةِ

74 فلا أنتَ عيني[118] لا ولا أنتَ غيرُها لذلك صارت حالتي فيك حيْرَتي

75 عليك عِنَاني[119] واقفٌ[120] أبداً فإن لَفتُّ عِنَاني[121] كان نحوَكَ لَفْتَتي[122]

76 فما لِيَ يوما منك عنكَ تخلُّصٌ[123] لأنك يامولاي جُمْلَةُ جُمْلَتي[124]

77 إليك مآبي[125] فى حياتي وموتتي[126] وأنت رجائي في رخائي وشدَّتي

78 فلستُ أرى شيئا سواكَ تحقُّقاً[127] فهل[128] تختفي عن غيرٍ[129] مكفوف مقلة[130]

79 تَقَدَّسْتَ عن غيرٍ تَنَزَّهْتَ عن سِوىً تَرَفَّعْتَ عن ضدٍّ[131] بصِرفٍ[132] المُحوضة[133]

80 فيا خابطاً[134] فى عَشْوَةٍ[135] من ظُنونه دع الظَّنَّ واستمسك بأوثق عُروة

81 ويا طالباً للأمر جِدَّ بنهضةٍ فما نال أمراً غير نفسٍ مُجِدَّةِ

---

120) Tam : واقفا
121) L : عباني
122) L : لفبتي
123) Tam : تخلّصا
124) Tam : جملة
125) V, B et L : مَألي
126) Tam : وَميتتي
127) V, B et L : مُحَقَّقًا
128) : وهل
129) Tam : عين
130) Mag : مقلتي (corrigé par Maghribī)
131) V, B, L et Tam : ندّ
132) B et L : لصرف ، Tam : وكبر .
133) Tam : وعزة
134) V et Tam : خائضًا
135) Tam : غشوة

82 وَجَرِّدْ له عـزماً كعـزميَ مـاضياً — ولا تـكُ مشغـولاً بعيشٍ[136] وَرَقْـدَةِ

83 اذا رمقت عـينَ العُلى عـينُ هِمَّةٍ[137] — فهيهـاتِ أن تلتـذَّ تلك بغَمْضَـةِ[138]

84 فدع قولَ من قد قال بالغير[139] واجتنب — طـريقـةَ دَجّـالٍ كثـيرِ تَـعَنُّـتِ[140]

85 بعيدٍ[141] عن الأضواءِ والنـورِ لم يزل — لـظلمتــه فى عثـرةٍ بـعـد عَثْـرةٍ[142]

86 كـظمآنٍ[143] وَافـاهُ الهَجيرُ بقفـرةٍ — يَحـومُ عـلى مـاءٍ لإرواءِ[144] غُـلَّةٍ[145]

87 فَظَنَّ سـرابـاً قـد رآه بقِيعَـةٍ — شـرابـاً يُـرَوِّى بَـرْدُه[146] حَـرَّ لُهْبَـةِ[147]

88 فلما أتـاه[148] لم يجـده كـما رأى[149] — وزلَّتْ[150] خُـطاه عند ذاكَ وخـابتِ[150]

89 وإن[151] انتَ لم تسمع مقالـةَ واحدٍ — فـأنتَ بـلا شـكٍّ من الـثَّنَـوِيّـةِ

90 وهل يستوي من كان فى النور[152] ماشياً — ومن سعيُـه[153] فى ظُلمـةٍ مُـدلَهِمَّـةِ

91 ومـن لم يـؤيّـده الإلـه بـنـوره — يَضِـلُّ[154] ومن يُـرْشَـدْ يَفُـزْ بهـدايـةِ

92 لكَ الملكُ يا ديموم[155] تؤتيه[156] من تشا — وتـنـزعـه[157] ممـن تـشـا بمشيئـة

93 تَجَلَّيتَ فى هـذا وذاكَ لهـم[158] فلم — يـروكَ وتاهـوا فيكَ من فـرط دَهْشَـةِ

94 وحيّرتَ أهلَ العقلِ فيك بذا اوذا[158] — فـألقيتهم بـالـوهم فى كـل شُبهـةِ

95 فـلا انتَ مـولـودٌ ولا أنتَ والـدٌ — لأنك فـردُ الـذاتِ من غـيرِ قِسمـةِ

96 ولا أنتَ منسوبٌ الى جوهـر ولا — الى عَـرَضٍ يُعزى[159] إلى عُنْصُـريّـةِ

---

150) B et L : زلّت et خابت .
sont intervertis (dans L زلّة) .
Peut-être Maghribî a-t-il raison de trouver khânat préférable à khâbat : «ses pas trébuchent et le trahissent» : mais tous les manuscrits donnent khâbat.

151) Tam : اذا

152) B et L : بالنّور

153) B et L : مَشْيُهُ

154) Mag : يظل
(corrigé par Maghribî)

155) Tous les manuscrits ont ديموم que Magribî était tenté de remplacer par : ديّوم

156) V : توليه

157) Tam : وتمنعه عمّن

158) Dans Mag, لهم manque

158) B, L et Tam : وذا

159) Tam : تعرى ؛ L : بعرض

97 ولا أنت روحـــانيٌّ ذاتٍ بسيــطةٍ ... ولا أنـتَ جسـمٌ[165] ذو مَـوَاد كثيفـة

98 ولا أنتَ عُلْوِيٌ ولا أنتَ ســافــلٌ ... ولا أنتَ محصــورٌ بحـدّ وعَــرْضـةٍ[161]

99 ولا انتَ مخفـيٌّ ولا انتَ ظــاهــرٌ ... ولا أنتَ ذو طَبْــعٍ[162] ولا بــطبيعـةِ

100 ولا انتَ عقــلٌ لا[163] ولا نَــيّرٌ ولا ... هَيُــولَى[164] ولا رُوحٌ بـذاتٍ لـطيفـةِ

101 ولا انتَ مشغــولٌ ولا انتَ فـارغٌ ... ولا أنــتَ ذو كَيْــفٍ ولا بـكَـمِيَّـةِ

102 ولا أنـــتَ مـلزوم ولا أنـــتَ لازمٌ ... ومن قـال نـورٌ كـان كـالمـانـويّـةِ[165]

103 ولا أنـتَ ذو قيــدٍ ولا بمــجــرَّدٍ ... ولا أنت محسوسٌ[166] ولست بحَـاسَّـةِ

104 ولا أنت في شيء من الكل داخلٌ ... ولا خـــارجٌ عنــه فهــذا[167] عقيــدتى

105 فـأنتَ إذن فرد لـك الكلُّ ســاجدٌ ... ولا كــلُّ الا أنتَ يـا كــلَّ صفــوةٌ[168]

106 كـتيّــار زخّــارٍ يـفيض بمـوجــه ... عـلى الدهـر لكن لا يغيض[169] بقـطرة

107 تعاليتَ ياذا الطَّوْلِ عن وصف واصفٍ ... تنـزّهتَ يـاذا المنّ عن مَـدْحِ مِـدْحَـةِ

108 فـأنت على مـا أنتَ قَـدْراً وقُـدرةً ... بنفســك أدرَى[170] من جَميـع البَــريّــةِ

109 فمن غـاب يومـاً فيك نـال سعادةً ... ومن غـاب يـومـاً عنـك آبَ بِشِقْــوَةِ

---

166) Mag : مخصوص

167) Tam : وهذي

168) V, Mag et Tam : باكل صفوتي
(Maghribī corrige en صفوة)
B : باصفو صفوة : L ، باصفو صفوتي

169) B et Tam : لا تفيض : L ، يفيض
Dans V, le vers 106 vient après le vers 108.

170) L : أورى

النور الثانى

في معرفة الروح المتولّد عن السماويات المتعلقة بالمواد المصور لها.[171]

110 عجبتُ لروحانيةٍ مَلَكِيَّةٍ   مُخَلَّدة ما إن تشيبُ بشَيْبَةٍ

111 سماويةِ الأنسابِ منبعُ ذاتها   منيرٌ يدور الدهرَ دورَ[172] المَجَرَّةِ

112 على دوحةٍ من سِدرةِ المنتهى غدت   تغرّد من شجوٍ[173] بها فوقَ ذِروة

113 بجوهرةٍ[174] من أمرِ ربّي تعلّقت   بجرْمٍ مزاجٍ من لطائفَ[175] مادَةِ

114 تخلّقه منها[176] بإلهام خالق   مثالاً[177] لها فى ظلمةٍ جِنْدِسِيَّةِ

115 مزاجٌ لها قد خُصَّ[178] من دون غيرها   بها لا[179] يغيب الدهرَ عنها بحالةِ

116 مقاديرُ كيفياته وموادُهُ[180]   معينةٌ بالقسمة الأزليةِ

117 تضمّنُها[181] فيه اجتماعُ ونسبةٌ   قديمةُ عهدٍ واتصالُ مودّةِ

118 وبينهما عشقٌ عجيبٌ[182] وصحبةٌ   مؤكدةٌ لا تنقضي بقضيَّةِ

119 تهيم به[183] من حسنهِ وجمالِه   هيامَ جميل فى جمال بثينة

120 وتعشقُهُ عِشقاً عظيماً مبرّحا   وتحرُسُهُ من كل سوءٍ برأفةِ

121 فليس له عنها[184] انفكاكٌ بحادثٍ   وليس لها عنه[185] زوالٌ بحيلةِ

---

175) Mag، لطافة

176) Mag et B : يخلقه منها Tam : مؤيّدة دوما

177) Tam : مثال

178) V : خصّ ؛ L : رخّص

179) Tam : وليس

180) Tam : كيفياتها وموادها

181) B : يضمُّهُما : L يضمها Mag : يضمّمها
Tam : فعمرها

182) B et L : قديم ؛ Tam : عظيم

183) Mag : تهيم بها

184) V, B, L et Tam : لها عنه

185) V, B, L et Tam : له عنها

122 ولست[186] تـراها منـه فى كل حـالة   وإن خَلَعَتْ مـا أُلـبسـتْ[187] بعـريّـة[188]

123 إذا ما نَضَت عنها المقـاديرُ كُسـوةً   تُعـوِّضُهـا فى الحـال عنهـا بكُسـوةِ

124 ومـا هبـطت إلا لتـرقى بنفسهـا   إلى أوجهـا بالنُـطقِ من بعـد خَـرْسَـةِ

125 وليست[189] بجسمٍ بل بجسم كمالُها   يكـونُ لهـا بـالفعـل[190] من بعـد قـوّةِ

126 وتظهر فى شكلين شكلٍ مُشَبَّحٍ[191]   وشكـلٍ خفيّ مُدْمَـجٍ ضمن مُضْغَـةِ

127 لهـا طيٌّ نشرٍ عنـد بـدءِ اتصـالهـا   به عند[192] نشـر النشء[193] من بعد طَيَّـةِ[194]

129 فتُطوَى[195] كما يَطْوِي[196] السجلُّ كتابةً[197]   سمـواتُهـا طيـاً لتـرتيـب نشـرةِ[198]

129 وتنقص[199] من أطرافها أرض برزخٍ   لها عند قبض الموتِ من بعد بسـطة[200]

130 ولو كنت ذا علم بها حين فارقت[201]   عـلمت يـقينـاً ان تلك هـى التي[202]

131 لقد دقّ[203] معناها غموضاً لذاك ما[204]   عجـائبُهـا أزرت بكـلّ[205] عجيبـة[206]

132 هى الروحُ لا نفسٌ كما ظن واهم   تَحلَّت لتحصيـل الكمـال بحِليـةِ[207]

---

198) Mag : نشوة

199) V et Tam : وينقص

200) L : منه ببسطة

201) V : عندما رقّتْ

202) Tam : إنها خير آلة

203) Tam : رقّ

204) Tam : لطرف كالها

205) L : ارزت بكل ؛ Tam : فاقت لكل

206) L : عجيبتي

207) B : تجلّت... بجلية ؛ L : تجلّت.. بحيلة
Le vers manque dans Tam et est remplacé par huit vers nouveaux

النور الثانى

في معرفة الروح المتولّد عن السماويات المتعلقة بالمواد المصور لها.[171]

110 عـجبتُ لـروحـانيـةٍ مَـلَكِيَّـةٍ ... مُخَـلَّدة مـا إن تـشيـبُ بـشَـيْـبَـةِ

111 سمـاويـةِ الأنسـابِ منبعُ ذاتهـا ... منـيرٌ يـدور الـدهـرَ دورَ[172] المَجَـرَّةِ

112 على دوحةٍ من سِدرةِ المنتهى غدت ... تغـرِّد من شجـوٍ[173] بهـا فـوقَ ذِروة

113 مجـوهـرةٍ[174] من أمـرِ ربّي تعلَّقت ... بجـرْمٍ مـزاجٍ من لـطائفِ[175] مـادَةِ

114 تخلّقـه منهـا[176] بـإلهـام خـالق ... مثـالاً[177] لهـا فى ظلمـةٍ جِنْـدِسِيَّـةِ

115 مزاجٌ لها قد خُصَّ[178] من دون غيرها ... بهـا لا[179] يغيب الـدهـرَ عنهـا بحـالـةِ

116 مـقـاديـرُ كـيـفيـاتـه ومـوادِّهِ[180] ... مـعـيـنـةٌ بـالـقـسـمـة الأزلـيـةِ

117 تضمَّنهـا[181] فيـه اجتمـاعُ ونسبةٌ ... قـديـمـةُ عـهـدٍ واتـصـالُ مـودَّةِ

118 وبينهـما عشقٌ عجيبٌ[182] وصحبةٌ ... مـؤكـدةٌ لا تـنـقـضـي بـقـضـيَّـةِ

119 تهيم بـه[183] من حسنـهِ وجمـالـه ... هـيـامَ جمـيـل فى جمـال بـثـيـنـة

120 وتعشقُـهُ عِشقـاً عـظيـماً مبـرِّحـا ... وتحـرُسُـهُ من كـل سـوءٍ بـرأفـةِ

121 فليس لـه عنها[184] انفكـاكٌ بحادثٍ ... ولـيس لهـا عـنـه[185] زوالٌ بـحـيـلـةِ

---

175) Mag، لطافة

176) Mag et B : يخلقه منها Tam : مؤيّدة دوما

177) Tam : مثال

178) V : خض ؛ L : رخص

179) Tam : وليس

180) Tam : كيفياتها وموادها

181) B : يضمّها : L يضمُّهُما : Mag يضمها : يضمّمها
Tam : فعمرها

182) B et L : قديم ؛ Tam : عظيم

183) Mag : تهيم بها

184) V, B, L et Tam : لها عنه

185) V, B, L et Tam : له عنها

122 ولستْ[186] تـراها منـه فى كل حـالة   وإن خَلَعَتْ مـا أُلبسـتْ[187] بعـريّـة[188]

123 إذا ما نَضَت عنها المقـاديرُ كُسـوةً   تُعـوِّضُهـا فى الحـال عنهـا بكُسـوةِ

124 ومـا هبـطت إلا لتــرقى بنفسهـا   إلى أوجهـا بالنُـطقِ من بعـد خَـرْسَـةِ

125 وليستْ[189] بجسمٍ بل بجسم كمالُها   يكـونُ لهـا بـالفعـل[190] من بعــد قـوّةِ

126 وتظهر فى شكلين شكلٍ مُشَبَّحٍ[191]   وشكـلٍ خفيّ مُدْمَـجٍ ضمن مُضْغَـةِ

127 لهـا طيٌّ نشرٍ عنـد بـدءِ اتصـالهـا   به عند[192] نشـر النشء[193] من بعد طَيَّـةِ[194]

129 فتُطوَى[195] كما يَطْوِي[196] السجلُّ كتابَهُ[197]   سمــواتُهــا طيــاً لتــرتيـب نشــرةٍ[198]

129 وتنقصُ[199] من أطرافها أرض برزخٍ   لها عند قبض الموتِ من بعد بسـطة[200]

130 ولو كنت ذا علم بها حين فارقتْ[201]   عـلمت يـقينـاً ان تلك هـى التي[202]

131 لقد دقَّ[203] معناها غموضاً لذاك ما[204]   عجـائبُهـا أزرت بكـلٍّ[205] عجيبــة[206]

132 هى الروحُ لا نفسٌ كما ظن واهم   تَحلَّت لتحصيـل الكمــال بحِليـةِ[207]

---

198) Mag : نشوة
199) V et Tam : وينقص
200) L : منه ببسطة
201) V : عندما رقت
202) Tam : إنها خير آلة
203) Tam : رق

204) Tam : لطرف كالها
205) L : ازرت بكل ؛ Tam : فاقت لكل
206) L : عجيبتي
207) B : تحلّت... بحلية ؛ L : تجلّت.. بحلية
Le vers manque dans Tam et est remplacé par huit vers nouveaux

النور الثالث

في معرفة النفس الناطقة

133	وذلك أنّ[208] النفسَ عيـن بجملةٍ[209]	وليست بـذاتٍ مفـردٍ ذى بسـاطـة
134	فمن جعل المجموعَ[210] من كل جامعٍ[211]	بسيطاً[212] سهاً[213] عن حق كـل حقيقـة
135	فعقلك سلطانٌ وأجنـادُه القـوى	لأعضـائـه والنفس شِبـهُ مـدينـةِ
136	لـذلـك مـا قـال الـنبـيُّ انـا مـديـنـة العلم فـافـهـم ذا بحـسـن كـيـاسـة[214]	
137	ومنها ظهور العقل فاعقـل وفيضه	عليهـا لهـا منهـا بكـل غـريـبـة
138	فـأنتَ إذَنْ نَفسٌ ومُشْـتَـقُّها من الـ ـتَّـنَـفُّسِ فَـاعْـرِفْ سِرَّ هَـذِي الـدَّقِيقَةِ[215]	

---

213) Tam : نهى

214) V : كناية

Les vers 136-138 manquent dans Tam et sont remplacés par 7 autres vers.

215) Mag et L donnent :

فأنت إذن نفس ومشتقها من ال ، نفس
فافهم سر هذى الدقيقة.

où le mètre est faux.

V : donne :

فقد بان أن النفس مشتقة (sic) من ال ،
نفيس فافهم سر هذه الدقيقة.

Ici le mètre est juste à condition de lire : فَافْهَمْ

(il faut naturellemnt prononcer : مشتقَة)

Le terme نفيس conviendrait aussi, dans un texte ismaïlien, pour qualifier l'Ame.

النور الرابع

في الهيولى وقَسْمُها الى الفلك والعناصر بخمسة أقسام وذكرُ حركة الافلاك ومنبع وجود العقول وتحقيق معرفة عقل الكل[216]

139 وأما الهيولى فهي أصل وإن ترى — بغير[217] قواها منذ أول وهلة

140 علا فطفا[218] منها لطيف وحُطَّ ما — تكاثف منها بعد ذاك برتبة[219]

141 سَمَتْ تسعة في أوجها[220] وهي واحد[221] — طبيعته[222] لا ميل فيها بفضلة

142 وحطت[223] لاظهار الكمال برفعها[224] — ثلاثة أفراد لاربع إخوةِ

143 وما دارت الأفلاك إلّا بأنجمٍ — مسخّرةٍ أرواحُها[225] ذو سَذاجة

144 ولا حُرِّكتْ بالقسر[226] أو بطبيعة — ولا هيَ إن حقّقتَها بإرادةِ

145 ولكن بروحٍ ساذجٍ وطبيعة — معا يقتضي[227] تحريكها باستدارة

146 وذاك لكيفيّاتها الأوّلِ التي — تُرتّبها في جرمها بِعَدالَةٍ[228]

147 فللروح تحريكٌ يفيد حيوتها — وللطبع تدوير[229] وطول استدامة

148 ولا عقل إن دقّقت علماً لها كما — تَوَهَّمَ أربابُ العقولِ الضعيفة[230]

149 ولكنّ عقلَ الكلِّ عينٌ لجملةِ الـعقولِ بقولٍ مُشْبِعٍ ذي رصانةِ[231]

---

219) Dans Mag : Tous les autres manuscrits donnent برسبة beaucoup moins satisfaisant. Le vers 140 manque dans Tam.

220) Tam : أوجه

221) Tam : وحدة

222) L : طبيعة (qui fausse le mètre). Mag et Tam : طبيعية

223) Tam : تنطت

224) Mag : لرفعها

225) Tam : ذي

226) Tam : بالنفس

227) Tam : ينقضي

228) Ce vers manque dans Tam.

229) Mag : بدوى

230) Mag : الظعيفة (corrigé par Maghribī) V : السخيفة

231) V ذى رضاية ؛ B : ذى رصافة
Dans Tam, le vers 149 est le suivant :
ولكن عقل الكل عين لجملة ، بقول طريف مثبت عن اضافة.

150 وأما صـدورُ العـقـلِ عن واجـبٍ له　　يـغـايـره بـالـحـكـمـةِ الـفـلـسـفـيَّـةِ

151 ويـتـلـوه عـقـلٌ ثـم عـقـلٌ فـإنـه　　زخـارفُ قـولٍ مـا لـه مـن أصـالـةِ

152 فَـدَقِّـقْ لما قد قلت فكـراً وَعَـدِّ عن　　سـوى ذاك وانـظـرني بعـينٍ حـديدةٍ[232]

النور الخامس

في رموز المعجزات وأنه كلُّ من وَقَفَ على سرّها أمكنه أن يعقل بعضها بحسب مرتبتها[233]

153 ودونك فاقبِسْ يالبيبُ اشعَّةً[234] لمصباحِ مشكاةٍ بلطف بديهةِ

154 يكادُ يضيءُ الكونَ أنوارُ زيتها بلا مسِّ نارٍ من صفاء الزُجاجةِ

155 فإن كنتَ في تكميل نفسك راغباً فدونك فاسمع ما أقولُ وأنْصِتِ

156 ونكِّبْ عن التقليد واللَّج جانباً متى شئت أن تحظى[235] بنيلِ سعادةِ

157 فإني سأتلو[236] من كتابيَ آيةً عليك فخذ من بحرها بعضَ غَرْفَةِ

157 انا الكوثر العذب الذى ماء علمه يبذُلُ منك الجهلَ[237] منه بشَرْبَةِ

159 ومنبعُ ذاك الماءِ عينُ حقيقةٍ عليها مدار الأمر فى كل مَرَّةِ

160 هو القطبُ والنفسُ النفيسُ الذى بِهِ رأت كُلُّ نفسٍ ما رأت مستعدةِ

161 وإني لَمُهْدٍ من علومي طرائفاً لأتحفَ منها أهلَ وُدٍّ[238] بتُحفةِ

162 وأُبدِي من استعداد ذاتي غرائباً كما يقتضيه حالُ نسبةِ رُتبتي[239]

163 وتأتيَ[240] في التابوتِ منّي سكينةٌ عليها وقارُ ضِمْنَهُ[241] فيضُ رحمةِ

164 فأظهر من[242] قعرِ البطونِ عجائباً مشاهَدَةً بالعقلِ من غير خُفيةِ

---

234) V : يا لبيبا سعى (le mètre devient faux)
Dans Tam, le vers devient :
ودونك فاقبس من هذي العلوم أشعة ، كمصباح مشكاة لطيف بديعة.

235) : Mag : تحضى
(corrigé par Maghribî) en تحظى
correction confirmée par V : تحظى

236) Mag : سأتلوا (corrigé par Maghribî)

237) B, L, et Tam : يبل غليل الجهل
V : يبل غليل الجهد

238) Tam : ودي

239) Tam : رتبة

240) V : وتاتيك ؛ Tam : لتأتي

241) B : ضِمْنُهُ ; V : ضمها ; L : ضمّه

242) Tam : في

165 وأخْلُقُ من طينى بنفخي[243] طائراً — يطير بأسراري[244] إلى كل دوحةِ

166 وأُحيي كما أحيى ابن مريمَ أنفساً — مطرَّحة الأبدانِ صرعَى منيَّة[245]

167 على أنني منه استفدتُ ولستهُ — ولكنَّه[246] قد خَصَّني بوصيَّةِ

168 أرُدُّ لها أرواحَها بعدَ موتِها — وقد دَثَرَتْ[247] فى تُربِها واضمحلَّتِ

169 فتصبحُ أحياءً كما كنَّ[248] أولاً — بقدرةِ عَلَّامٍ وسرٍّ نبوَّةِ[249]

170 ولي القمرُ السيَّارُ شُقَّ[250] فنصفُه — منيرٌ ونصفٌ مظلمٌ كالدُّجُنَّةِ[251]

171 فهل لكمُ عينٌ تراهُ لعلَّها — بروٴ ياه تَمِيي فيه[252] غيرَ مُشِكَّةِ

172 وكم قد تَجَلَّى الربُّ لِي متكلِّماً — بألسِنَةٍ فى كلِّ دورٍ فصيحةِ

173 وكم صَعْقَةٍ لِي دَهْشَةً بجماله — وكم دُكَّ[253] طُورِي[254] دكَّةً عند صعقتي

174 وكم أوقدَ الاغيارُ[255] ناراً وجمَّعوا[256] — لها حطباً من كلِّ صُقْعٍ[257] وقرية

175 وأُلقِيتُ فيها صَيَّرَ الله حرَّها — لدى[258] ذاك برداً كان فيه سلامتي

176 وكم بلعتني حوتُ يونس[259] بلعةً — وتَقْذِفُني نحوَ العَراء بِرُمَّتي[260]

177 وينمو[261] من اليقطين فوقي شجيرةٌ[262] — على سائرٍ[263] الأشجار تسمو[264] بسرعة

178 وأصبح[265] أَعلُو[266] واحداً بعد واحدٍ — من الناس واعلم أن هاتيك فكرتي[267]

179 وشَقَّتْ عصايَ البحرَ لما ضربتهُ — بِنِصْفَيْنِ حتَى جاوزته صحابتى

180 وأُغرِقُ[268] فرعونَ الضلالِ وأهلَه — لطغيانِهِ فى اليمِّ أعظمَ غَرْقةِ

181 وكم حجرٍ قاسٍ[269] ضربتُ بها غَدَتْ[270] — تَفَجَّرُ منه[271] الماءُ من هَوْلِ ضربةِ

182 وألقيتُها تسعَى على الأرض حَيَّةً — تَلَقَّفُ[272] إفكَ الساحرين بنفثة[273]

---

258) V : لدا . Le vers 175 manque dans Tam.

259) Tam : ويبلعني حوت ليونس

260) Tam : العرايا برمية

261) V : وينموا ، Mag et Tam : وتنمو

262) Tam : شجرة

263) V et Tam : شامخ

264) Tam : تنمو ، L : تنموا

265) V, B et L : فأصْبِحُ

266) V : اعلوا

267) L : فكرة
Dans Tam on a : فاعلم ما يجول بفكرتي

268) Tam : واغرقت

269) Tam : صلب

270) Tam : فاصبحت

271) Tam : منها

272) Tam : لتلقف

273) B et Mag : بنفثتي (corrigé par Maghribî)
L : بنفسني
Tam : بنفخة

183 فخرَّ لديها ساجداً كلُّ ساحرٍ　　وكانت لي[274] العُقْبَى[275] بمُعجز آيتي

184 وأخرجتُ من ظلماء طبعي[276] نقيةَ　　يدي لهمُ[277] بيضاء من حذق حكمتي[278]

185 ولُيِّن لي بأسُ الحديد بقدرةِ السلالة[279] وسالت عينُ قطرٍ[280] لإمرتي

186 فقدّرتُ في السردِ السوابغَ دافعا　　بها[281] عن حياتي[282] كلَّ لَسْعة حيةِ

187 ولي صار إرثاً[283] ذو الفقار بحدّه[284]　　أقدُّ رقابَ العاقرين لناقتي[285]

188 ولي رُدّت[286] الشمسُ المنيرةُ إذ نأت[287]　　فأشرقت الدنيا بها[288] بعد غرْبَةِ

189 وما سرتُ إلا والغمامُ مظللي[289]　　إذا ما هجيرُ الهَجْرِ[290] قارن وُصْلتي

190 ولما طَغَى عجلي وأبدى خُوَاره　　وحاولتُ أن أحْيَى ذبحتُ بُقَيْرَتِي

191 ولو لم أُمِتْ نفسي بتركيَ لم اكن　　لها محيياً فاسمع أعاجيبَ قِصَّتي[291]

192 وَلَوْ نَفَخَتْ مِنْ نَشْرِ ذَوْقِي[292] نَفْخَةٌ　　لَعَطَّرَتِ[293] الأَكْوَانَ أنْفَاسُ نَفْخَتِي

193 وحم عسق[294] لما قَرَنْتُها[295]　　بكهيعص استقاما[296] بصحّةِ

194 فأشرقَ من سِرَّيْهما[297] نورُ نَيّرٍ　　تُضِيءُ به[298] الآفاقُ في[299] كلّ ظلمة

195 فحرفٌ بحرفٍ[300] إن فطنتَ[301] لفهمه　　ملكتَ الورى طُراً بلُطفِ فطانة

196 رموزٌ خَفِيّاتٌ متى رُمْتَ حَلَّها　　فَزِنْها وبَدِّلْ[302] كلَّ رُوحٍ بِجُثَّةِ[303]

197 ولامٌ أتى من قبلِهِ أَلِفٌ كما　　أتى بعده ميمٌ لإظهار قُدرةِ

198 تشير[303bis] الى عقلٍ وروحٍ ومظهرٍ　　بهِ كان للاكوان[304] سرُّ الامامة[305]

199 وعقلٌ وروحٌ والهيولَى وطَبْعُها　　كلامٍ[306] وهاءٍ بعد لامٍ وهمزة

---

293) Mag : تعطرت
que Maghribî propose de corriger
en لعطرت

294) Tam : عين سق

295) L : فسّرتها

296) Tam : استقامت

297) Tam : سرٌّ بها

298) Tam et L : بها

299) Tam : من

300) فحرف كحرف ، L : فحرف لحرف

301) V : فعلمت

302) Tam : وأبدل

303) Mag : كلّ زوج بجثة
(que Maghribî propose de corriger بجنّة)
V : كلّ روح بجنّه
كلّ روح بجنة : Tam ، كلّ روح بجسة : L

303 bis) V : يشير

304) Tam : في الأكوان

305) V : الأمانه

306) Mag : كلام بها من بعد

200 يـدلّ على عـينِ الوجـودِ وُجُودُهـا لـذا عَـظُمَتْ تلك الحـروف وعَـزَّتِ

201 فكلُّ إشاراتِ الحـروفِ التي أتت مَفَـارِيـدُ[307] فى القـرآن من كـل سـورة

202 تُشـيرُ[308] الى أشياءَ يُـوجَدُ[309] مثلُهـا بـأعيـانها فى الصـورةِ الـبشـريّـةِ

203 سـرائـرُ آيـاتٍ تعـالت بنـورهـا فلم يَـدْنُ[310] منهـا غـيرُ نـفسٍ عَلِيَّـةِ

204 لَئِنْ[311] رَفَضَ الجُمهور فرضَ[312] حقوقِها فرفضِي[313] لذاكَ الرَّفْضِ فَرْضِي وسُنَّتي[314]

205 فإن شكَّ فيـما قلتُ قومٌ فقـل لهم أبينـوا لنـا عنْ[315] حقَّهـا بـجليَّـةِ[316]

312) Tam : بعض

313) L : فرضي ، Tam : فرفض

314) L : فرض وسنة

315) Dans B, عن est omis.

316) L : بجلبتي ، Tam : حق ذاك بجملة

النور السادس

في المبدأ والمعاد وذكر القيامة [317] الكبرى والصغرى [318]

206 ولي صورة [319] محصورة القد [320] ضَبْطُها [321] — رجوعي [322] بعيني [323] عند لُبسي بـردتي [324]

207 فأبدو بها في صورة [325] بعد صورة [325] — وآخـرهـا [326] يـتـلوه أوّلُ نـشـأتي [327]

208 قيـامتيَ الصغـرى بخلعي وإنّمـا — قيـامتيَ الـكُبـرى بـتـتميـم دورتي [328]

209 فأخْفَى زماناً عن [329] ملاحظة [330] الورى — وأبـدو كما قـد كنتُ فى حال بَـدْأتي [331]

210 وذاك مـعـادي فى قيـامـتيَ الـتي — أقـومُ لـدى المعبـودِ فيهـا بجثتي [332]

211 وليس إذا حققتَ ذا [333] بتنـاسـخٍ — فتخـتلفُ الاعـيـانُ فى كـلّ عـودةٍ

212 ولكن افـادتـه الحقـوقُ مَـرَاتِبـاً — مُعَيَّنَـةً [334] يقـضي بهـا سـرٌّ وَحـدَةٍ

213 فنَسْخِي وفَسْخِي مثل مَسْخِي [335] باطلٌ — ورسخي لمنـعٍ فيـه عَـوْدِي بهيئتي

214 ثُبـوتيَ في محوي وقُـربيَ في النـوى — وسُكريَ فى صحوي [336] ورفعي بخفضتي

Dans Tam, le 2ème hémistiche du vers 206 est le suivant : رجوعي اليها بعد حين بردتي

325) Tam : حالة

326) Mag : آخر ما

327) Tam : نشأة

328) Tam : دورة

329) Tam : فأخفي زماني

330) Mag : مطالعة

331) Tam : بدأة
Dans V, les vers 209 et 210 sont intervertis.

332) Mag : بجثة (corrigé par Maghribî)
Le vers 210 manque dans Tam.

333) V : إذا حققته
Tam : الذي حققته

334) V : حُقوق مَراتب معيّنة
B : حُقُوقُ مَرَاتِب مُعَيَّنَةً
L : حقوق مراتب مُعَيَّنَةً
Les vers 212 - 215 manquent dans Tam.

335) B et L : فنسخي ومسخي مثل فسخي
V a la même leçon où مثل est remplacé par بعد

336) : في هجري (corrigé par Maghribî)

215 وما زال كوني قائماً بحقيقتي ... كما كان لى بالرتبة الأزليّة[337]

216 فأبدو كما تبدو البدورُ كواملاً[338] ... وأخفى كما يخفى سِرَارُ[339] الأهلّة

217 فما غابَ من بعد الظهور فكامنٌ ... وما انهارَ عند الهدم فهو لبنية[340]

218 ليظهرَ مني باطنٌ[341] بعد ما اختفى ... ويَبْطُنَ مني ظاهرٌ[342] بعد كَمْنَةِ[343]

219 فيخفَى ظُهوري في بُطوني كما ترى[344] ... بُطوني ظهوراً عند تبديل خِرْقَتِي[345]

220 وأرجِعُ من بعدِ استتاريَ بارزاً ... إليه كما قد كنتُ فى بدءِ فِطرتي[346]

221 فأنهضُ حياً مثلما كنتُ قائماً ... وأعجبُ شيءٍ ذاك من سِرِّ سِيرتي[347]

222 ولم تنعدمْ[348] تلك النفوسُ وإنما ... تَغِيبُ وتبدو تارةً بعد تارةِ

---

344) B : يُرَى

345) Mag : خرقة (que Maghribî propose de corriger)
V : حرفتي Le vers 219 manque dans Tam.

346) Tam : فطرة

347) L : من ستر سترة
Dans Tam, le 2ème hémistiche du vers 221 est le suivant : واعجب شيئا سر هذى السريرة

348) Tam : وما عدت ، B : وَلَمْ انعَدِمْ بِتِلْكَ النُّفُوسْ

النور السابع

في معاني رموزٍ دقيقة في القرآن وتلويح خفي في بيان شيءٍ من المعجزات أيضاً[349]

223 فهل فيكمُ يا معشرَ الأهل ناشرٌ[350] ... مِثالاتِ[351] أسرارِ طوتها[352] صحيفتي

224 فيفهمَ ما معنى الوجودِ لذاته ... بإطلاقه من كل قيدٍ وعلْقةِ[353]

225 ويعلمَ ما معنى المعادِ وما الذي ... يُراد به من أوبةٍ بعد سَفْرَةِ[354]

226 ويعلمَ[355] ما حوّا[356] وكيف احتواؤ ها ... على مركزٍ منه بدت للإحاطة

227 وهل كان بدءُ خلقُ آدمَ[357] وحده ... من الطين أم قد كان من دَفْقِ نُطْفَةِ

228 ويعلمَ[358] ما الذنبُ الذي جُوزيا بِهِ ... هبوطاً فبانت منهما كلُّ سَوْأَةِ[359]

229 وما الوَرَقُ الغضُّ الذي غَطَّيا بِهِ ... عُوارهما[360] حتى اختفت كلُّ عوْرَةِ

230 أمِنْ شجرٍ قد كان أم من ملابس الـ ... ـجنانِ زهىا[361] بالخضرة السُّندسيَّةِ

231 وكيف استواء الله من فوق عرشه ... على الماء لا ذا الماء[362] بالأوليّة

232 وهل معجزاتُ الأنبياءِ بظاهرٍ[363] ... أتت أم بألفاظٍ لها معنويّةِ

233 وهل خرق العادات بالوحي أنفس ... معدّدة[364] فى كل تجديد دعوةِ

---

354) Tam : شفوة
Après le vers 225, inclus ici dans la 6ème allusion, viennent 17 vers qui constituent la fin de cette 6ème «allusion».

355) Tam : اتعلم ما

356) Mag : خوى -
(corrigé par Maghribî) ; L : هوى

357) Tam : بدء الخلق آدم

358) Tam : وتعلم

359) Tam : سوّة ، L. : صورة

360) Tam : عواريهما

361) Correction de Maghribî, que j'adopte, bien que tous les manuscrit aient : زهى

362) L : بل ذا الماء . Le vers 231 manque dans Tam

363) Tam : مظاهرا

364) Mag : أنس معذرة
Les vers 233 et 234 manquent dans Tam.

234 أم الكـلُّ نفسٌ بـالتعـيّنِ واحـد — مسـتـترةٌ بـاسـمٍ ورسـمٍ وكُـنـيـةِ

235 وهل كان معـراجُ النبيِّ بجسمهِ[365] — إلى القـدسِ ام بـالقـوّة المَلَكِيَّـةِ

236 وكيفَ أتى امـا رَقَى ومكـانُـه[366] — كـما كـانَ في تسخينِـهِ بـالحـرارةِ

237 ولِمْ أشْبَـهَ الروحُ الأمين فقـد أتى — محمَّـده بـالـوحيِ صـورة دحيـة

238 وجبريلُ شيءٌ منه أمْ عنه خارجٌ[367] — كـما ظنّه الجمهـورُ من غيرِ خِبْـرَةِ

239 ولِمْ خُصَّ تكوينُ السماءِ وأرضِها — بسـتـةِ أيـامٍ تَـوَالِي[368] سَـوِيَّـةِ

240 ورتقُها هل[369] كـان ام هو كـائنٌ — لـه كـلَّ يـوم فَتْقَـةٌ بعـدَ رَتْقَـةِ[369]

241 وهل ذلك الرزق الذي عند مريم — رأى زكريا كان من[370] حَبِّ[371] حِنطةِ

242 ام الوحيُ ذاك الرزق كـان أتى به — إليها ابنُها من عند أشرفِ حضرة[371]

243 وهـل كان لما كلَّم النـاسَ مَهْـدُهُ — هـو الجسمُ بـالتحقيق ام مهـدُ عـادة

244 ولِم ليلةُ القـدرِ التى جـلَّ قـدرُها — عـلى ألفِ شهـرٍ فُضِّلت لمـزيّـةِ[372]

245 ومريمُ لِمْ صارت[373] لها رونَ أُختَهُ — وبينهـما في الـدُّورِ أطـولُ مـدَّةِ

246 وما السرُّ في عيسى لغير[374] أبٍ أتَى — ولِم لُقِّبَ المختـارُ أمّيَّ[375] مكـةِ

247 وما ذلك النجمُ الذي قد[376] هوى وما — هو الطارقُ[377] المنحطُّ عشقاً[378] لرفعةِ

248 ورَقْدَةُ أهلِ الكهفِ في ظِلِّ كهفهم — ثـلاث مئين[379] مـع زيـادة تسعـة

249 أهَـل نومُ طبعٍ كان بـالعادةِ التي — جَـرَتْ أم عساه[380] نـوم جهـل وغفلةِ

250 وهل ذاك محسوبٌ بهذى[381] سِنِينِنَا — فنـدركـهُ[382] أم بـالسنين القـديمـةِ

---

celui-ci perdant toute signification malgré le أم qui remplace من

372) Mag : بمزية

373) Tam : هل كانت

374) L : ... بغير Tam : وليس له اب

375) Tam : رامي

376) قد manque dans Tam

377) Tam : الطائر

378) Tam : ليلا

379) Tam : ثلاثة مائة ، Mag : ثلاث مئة corrigé par Maghribī (correction confirmée par tous les autres manuscrits).

380) Mag : غشاء . Dans L, le mot, omis, est écrit en marge : عصاه .
Les vers 249 et 250 manquent dans Tam.

381) B : بهذا

382) B : فنمنعه

251 وهل لك علمٌ[383] بالجدارِ وقِتْلَةِ[384] الـغلام وما المعنَى بخرق السفينةِ

252 وصحبةِ موسى عبدِنا واعتراضِه[385] — عليه لِما يأتي بغير رَوِيَّةِ

253 وما هو ذُو القرنين والسدّ[386] والذي[386] — عليهم[387] غروب الشمس فى عين حمأة[388]

254 وما هو وادي[389] النمل والنملةُ[390] التى — تخاطبهم رمزاً[391] بلطف إشارة

255 تقول ادخلوا يا أيّها النملُ تسلموا — مساكنكم من حطم[392] جندٍ بدوسة

256 وما هو ذاك الهدهدُ الطائرُ الذي — يجيءُ سليماناً[393] بسرٍّ[394] سريرةِ

257 وبلقيسُ إذ جاؤا اليها بعرشها[395] — وقد نكَّروه[396] بعد نَقْشٍ بنقشةِ[397]

258 فقالوا لها هل كان عرشك هكذا — فقالت نعم يحكيهِ من غير ريبةِ[398]

259 وما ذلك العفريتُ و'ماثلُ الذي — له بكتابِ الله علمُ درايةِ

260 وكيف أتى بالعرش قبل ارتداد طر — فِهِ وهو سرٌّ دقّ عن كلّ فطنةِ

261 وما ذلك الصرحُ المُمَرَّدُ إذ غدت — تُكشِّفُ ساقيها لسديه لخوضةِ

262 وما هو جريُ الريح شهرٌ غُدُوُّها — ورَوْحَتُها شهرٌ له لا بوقفة

263 ولَمْ كانت الأسباطُ مع[399] وُلْدِ فاطمٍ — وأصحابُ عيسى خمسةً بعد سبعة

264 وما هي[400] أطيارُ الخليل وجعلُها — فويقَ جبالٍ أربعٍ من جِبِلَّةِ

265 فقلنا له صُرْها إليك ونادِها — يَجِئْنَ مطيعاتٍ[401] بأسرعِ سَعْيَةِ

266 وما هيَ تلك النفسُ ياقوميَ التى — تَدارأْتُمُ فى قتلها عن خَديعةِ

267 وقلنا اضربُوه كي يقوم ببعضها — كذلك يُحيِي ربُّنا كلَّ مَيِّتِ[402]

268 ولِمْ كان أجزاء[403] النبوة أربعين بعدَ ثلاث أُردفت بثلاثة

---

395) Tam : والعرش الذي جاءها به

396) Tam : انكرته

397) V : بنفسة

398) Les vers 258 - 262 manquent dans Tam.

399) Tam : من

400) Tam : واربع Dans Tam, le 2ème hémistiche du vers 264 est le suivant :
على الجبل المرجو في يوم وقفة.

401) Mag : تجيء مطيفات (Maghribî envisage la correction possible en (مطيعات).
Les vers 265 - 268 manquent dans Tam.

402) L : ميتة

403) Mag : إجرا

269 وذو النون إذ نادى[404] وقد مرّ مغضباً[405] لِـظَنٍّ بـه[405bis] أنْ لا وجـودَ لـرَجْعَـةِ[406]

270 لـدى ظلماتٍ فـاستجبنـا دعـاه[407] بعفـو ونجّينـاه[408] من كَـرْبِ[409] غُمَّـةِ

271 حقـائقُ لم يُنكـر دقـائقَ سـرِّهـا من النـاسِ إلاّ كـل نفسٍ غَبِيّـةِ[410]

272 فتحتُ بعـونِ الله أقفـالَ رمـزهـا وغُصْتُ عليهـا كـلّ[411] تَيَّـار لُجَّـةِ

273 وأبرزتُها من خِـدرها لـذوى النُهى يَسُـرُّ رُوَاهَـا[412] كُـلَّ نَفْسٍ سَـرِيَّةِ[413]

274 نفوسٌ تزكّت واطمأنّت بعلمها[414] عـليهـا مـن الـرحمنِ أزكـى تحيَّـةِ

275 ولم تـرَ[415] ملتذاً[416] بهـا غـيرَ كيِّسٍ لـطيفِ طبـاعٍ ذي سجـايـا[417] حميـدةِ

Mag : بدرواها que Maghribī propose de lire يلذ رِوَاها ou : يلذ رؤاها
V et L يسرُّ رواها
(il faudrait alors lire كُلُّ et comprendre : «toute âme noble les a rapportées en secret»)

413) Tam : طهورة

414) L : لعلمها

415) Mag, V, B et Tam : وَلَنْ تَرَ
(que Maghribī propose de corriger en لن ترى mais alors le mètre devient faux).

416) Tam : مسرورا

417) V : خلالي Tam : مزايا

النور الثامن

في تغير الزمان وانحراف مزاج أهله وظهور فساد الارض بالجور والعدوان.[418]

276 طغا[419] الجورُ والطوفانُ فاض فهل لكم — بني[420] العَزْمِ فى فِكْرٍ[421] لتحصيل آلةٍ[422]

277 ليُبْنَى قُبَيْلَ الْغَرْقِ[423] منها سفينةٌ — فننجو بها[423] من هُلْك أمـواج فتنةٍ[424]

278 فكنْ عالماً بالوقتِ إن كنت حاضرا[425] — أُخَيَّ فهــذا وقتنــا وقـتُ[426] فتــرةٍ

279 تَغَيَّــرت الأحــوالُ عــمّا عَـهِـدْتَـهـا — وشبَّ[427] فسادُ الأرض من بعد خَمْدَةٍ

280 وأمستْ نفوسُ الخلقِ هَلْكَى مُخيفَةً[428] — لِشَقْـوتهم[429] من بعـد أمْن وتُـرْفـةٍ[430]

281 وأضْـرَمَ نـار الغِـلِّ والحقـدِ بينهم — تخــالُفُهم[431] بعــدَ اتـفــاقٍ وألْفَــةٍ[432]

282 وعادى لبعض بعضُهم حَسَداً على — حُطام طفيف[433] من زخـارفِ زينـةٍ

283 وبـاعُـوا بـدنيـا دينَهم لغــرورهم — وجهلِهِمُ فــاستـوجَبُــوا كــلَّ لَعْنَــةٍ

284 قُضَاتُهُمُ فى حُكْمِها تَقْبَلُ[434] الرُّشَــا — حَلالاً تَرَى مِنْ أخْذِهَا مَا اسْتَحَلَّتِ[435]

285 وعـدْلُهُمُ ظلماً[436] عن الحقِّ عادلٌ[437] — بــغــيرِ مُحَــامَــاةٍ[438] وغــير حَمــيَّــةٍ

---

426) Tam : واعلم بانا الآن في وقت

427) V : وَشِبَت

428) Mag : مخيفة (que Maghribî porpose de comprendre مخيفا عليها ou de corriger en محيقة)

429) Tam : بشقوتهم

430) Mag : قوة ؛ Tam : راحة

431) Tam : لازمهم

432) Tam : مودة

433) Tam : ضعيف

434) Mag : قضاتهم في حكمهم يقبل
que Maghribî modifie ainsi :
فقاضيهم في حكمه يقبل
V : قضاتهم في حكمها يقبلوا
Tam : قضاتهم في الحكم تطلب رشوة

435) Mag : ترى من احذه... : V ؛ يرى...
Tam : يروها انها مستحقة

436) Tam : ظلم

437) Tam : مائل . Noter l'allitération (tajnîs) adl (témoin) et âdil (s'écarte).

438) V et B : محاباة L : محابات ، Tam : كرامات

286 وعــالمهم من جهلِهِ غـيرُ عــامـل   وفــاضلهم من نقصِــهِ فى غبـاوةِ[439]

287 وشيـخُهـمُ بـالرقص للنقص قــائـل[440]   إذا مـا حَـدَا الحـادي يـطير لخِفَّــةِ[441]

288 لرَغبَتِهم في جذبِ جاهٍ[442] وزُخرفِ   تمسَّـكَ[443] منهـم كـلُّ قــوم بِبِـدْعَــةِ

289 لهم صُــوَرٌ محمــودةٌ[444] غـير أنها   تــراءت بـأخــلاقٍ قبــاحٍ[445] ذميمــةِ

290 وإن ضاقت الأخلاق[446] منهم تداركوا   بتــوسيـع أكمــامٍ وتعــظيم عِمَّــةِ

291 تَجَـافَوْا عن القـرآن واتَّـبعوا الهـوىٰ   ومالُوا إلى الـدنيا بحـرصٍ وشهوةِ[447]

292 فمنهم رئيسٌ بـالتفلسفِ[448] مُـوْلَـعٌ   بـديعُ إشْــاراتٍ فصيــحٌ[449] عبــارةِ

293 تفـوق تيهـاً بـالمجـالس[450] مُعْجَبـاً   بـوضع اصـطلاحـاتٍ لـه[451] منطقيـةِ

294 وآخـرُ منهم فى الأُصـولـين نـاظـرٌ   يـنــاظــر عن وهــمٍ بلجٍّ وجُـرْأةِ[452]

295 ومنهم بتقـرير الخـلاف مسفسط[453]   يـغــالطُ فى ألـفــاظِـهِ الجـدلـيّــة

296 وآخـرُ منهم قد رأى صَرْفَ عُمْرِه   بتصــريفِ صيغــاتٍ لفِعْــلٍ وفَعْـلَةِ

297 أضاف الى تصريفه النحوَ فابتدا[454]   بــلا خَبَــرٍ فى بحث جــرٍّ وجــزمــة

298 ومنهم أخو الطاماتِ جِلفٌ[455] تصوّفٍ   يُـنَمِّسُ تـلبيســاً[456] بصـمتٍ وخَـلْوَةِ

299 يقول لقد نِلنا[457bis] بكشف سرائر[457]   لحــالاتـنــا لا قــال فيـهــا بـلفــظة

300 أراذلُ خَـدَّاعون زرقـاً[458] بخِـرْقَـةٍ   وسـجــادةٍ مــرقــوعــةٍ وبسُـبـحــةِ

---

453 bis) On peut comprendre aussi :
(«instituant le désaccord »).

454) L : فابتدوا Mag : فاغتدا

455) B : جِلف ؛ L et Mag : خلف
(corrigé par Maghribī)

456) Mag : يُدَلِّسُ تمويها : V : تُنَمِّس

457) B : بكشف سرائرًا

457 bis) Maghribī considère qu'un complément d'objet direct comme أمانينا ou مرادنا est sous-entendu. Pour ma part, je suis tenté de croire que نلنا est le passif de نال ينول , la phrase signifiant littéralement : «nous avons été gratifiés du dévoilement de mystères en raison de nos états». Maghribī pense que dans le vœu qui termine le vers, le poète souhaite à ce «soufi» la mutité ou la mort.

458) Maghribī est tenté de corriger زُرقا en رزقا qui paraît plus satisfaisant. On pourrait alors traduire (en donnant au masdar رزقًا un sens passif) : « Ce sont des imposteurs qui vivent de leurs haillons, de leur tapis de prière rapiécé et de leur chapelet».
Pourtant, tous les manuscrits donnent زُرقا
(sauf B qui donne زَرْقًا)
Selon Maghribī, «bleu» pourrait faire allusion soit au vêtement, soit aux yeux, qui dans ce cas expriment l'hostilité.
Mais أزرق signifie aussi, me semble-t-il, pâle, livide. Les Ihwāns eux aussi attribuent la pâleur aux faux dévots.

301 ومنهم فقيهٌ ليس يفقه ما الذي   يُراد به من نُسْكِ حَجٍّ وعُمْرَةِ

302 يُحاجِجُ فيما لا شعورَ له به   بكَوْدَنَةٍ ممزوجةٍ ببلادةِ

303 وآخرُ منهم بالقراءات[458bis] قد بُلِي[459]   مُعَنىً[460] بقول الشاطبيِّ وحَمْزَةِ

304 يُلَوِّي بها شدقيه[461] عند إمالةٍ   كأن به من مَيْلها ريح لَقْوَةِ

305 وبالرملِ والتنجيم والوفق[462bis] فرقة   مُمَخْرِقَةٌ[462] فيه بمكرٍ وخَدْعَةِ

306 وكلهمُ أمسى فقيرا من النُّهى[463]   وإن أصبحوا فى ظاهر أهلَ ثروةِ

307 وأكثرُهُمْ قد ضلَّ عن[464] سَنَن الهُدى   وباعَ الهُدى والدينَ أبخس بَيْعَةِ

308 فإن لم أقلْ حقًّا لهم كان باطلا   وجُوزيتُ من ربى بأعظمِ خِزيةِ[465]

309 وإن أنا قلتُ الحقَّ لاقيْتُ ما لَقِي   بنو فاطمٍ من جهل آل أمَيَّةِ

310 إذا كان حال الخاص من جهلهم[466] كذا   فكيفَ ترى جمهورهم من سَخَافَةِ[467]

311 أموتى تراهم ام نيامٌ بغفلةٍ   فيا ذا العُلى أمننْ عليهم بنبهةٍ[468]

312 لذلك ما صبَّ الالهُ عليهم   عذابا مُهيناً من أليمِ عقوبةِ

313 وأسلمهم من بعد عدل[469] وقدرةٍ   الى القهر فانقادوا بذلٍّ وكَسرة

314 وأدخلهم فى سِجنِ عجزٍ مُضَيَّقٍ   وأخرجهم من دار عزٍّ وفُسحةِ

315 وذلك عَدْلٌ منه صِرفٌ لأنه   بما كَسَبَتْ أيديهمُ من جَريرَةِ

316 وما فَرَّقُوا من دينهم واقتدى[470] كما   اقتضَاهُ هواهُ كلُّ حِزبٍ بقُدْوةِ

(que Maghribî lit خزية après avoir envisagé جزية)
L : جزية

462) L : بمفخرة
Correction au dessus de la ligne : مُخْرِقَةٌ

463) V : وكلهم فقرى من العلم باطنا
Qui est sans doute une «amélioration» du copiste.

464) V : وكلهم قد ظل

465) Mag : حزية

466) B et V : مع اهلهم ، L : مَعْ فَضْلهم

467) B et V : مع سَخافة

468) Mag : بتوبة

469) Maghribî remplace à tort بعدل par بعزٍّ

470) L : واقتدوا

النور التاسع

في بيان صاحب الوقت وعلامة ظهورع وانه وقت الظهور[471]

317 إمامَ الهُدى حتى متى أنتَ غائبٌ ... فمُنَّ علينا يا أبانا بأَوْبَةِ[472]

318 تراءَت لنا راياتُ[473] جيشك قادماً ... ففاحت لنا منها[474] روائحُ مِسكةِ

319 وبُشرت الدنيا بذلك فاغتدت ... مباسمها مُفْتَرَّةً عن مَسَرة

320 مَلِلْنا وطالَ الانتظار فجُدْ لنا ... بِرَبِّكَ[474] يا قُطْبَ الوجودِ بلُقيَةِ[475]

321 تَدَارك لِحالِ الوقتِ وارحم أُهيله ... فقد أصبحوا فى شِقْوةٍ ومَذَلَّةِ[476]

322 وعالج بلُطفٍ منك مزمنَ[477] دائهِ[478] ... فأنتَ طبيبُ الحالِ[479] في كلِّ مَرْضَةِ[480]

323 وقَوِّم له بالعدلِ ظهراً قد انحنى ... وعدِّل مزاجاً منه مال بحكمة

324 فأنت لهذا[481] الأمر قِدماً معينٌ[481bis] ... لذلك[481] قالَ الله أنتَ خليفتي[482]

325 سندعوكَ إن أمرٌ[484] عَنَانَا[483] لنصرنا[484] ... ومثلُك مَنْ يُدْعى[485] لكلِّ مُلمَّة

326 لأنَّكَ عن علمٍ لنوعك ذا أبٌ ... وأنت أبوك الشمس من غير مِرْيَةِ[486]

327 برزتَ لنا فى صورةِ العلمِ أولاً ... وأيقظتَ[487] فيها كلَّ نفسٍ زكيَّةِ[488]

328 وأودعتَنا أسرارَ كلِّ حقيقة ... وعلَّمتنا أوضاعَ كل شَرِيعَةِ

---

477) L : مَزامِنَ !!!

478) Mag : رأيه (corrigé par Maghribī)

479) Tam النفس

480) Tam : حالة

481) Mag : بهذا

481 bis) Tam : كذلك

482) L : خليفة

483) L : عيانا

484) Tam : أمر عنانا لضرنا

485) V : يدعا

486) Le vers 326 manque dans Tam.

487) V : أيقضت

488) B et L : ذكيّة
Dans Tam manquent le 2e hémistiche du vers 327 et le 1er du vers 328.

329 وقلتَ لنا قولاً وقولُك صادقٌ   سآتيكُمُ في صورةٍ مَلَكِيَّةِ

330 فَعَجِّلْ ظهوراً كيْ نراك فلَذَّةُ الـ   ـمحِبّ لِقَا[489] محبوبِهِ بعد غَيْبَةِ

331 زَرَعْتَ بزورَ العلم فى حُرِّ[490] تُرْبَةٍ   فجاءَت كما تَهْوَى بأينعِ خُضْرَةِ

332 وريِّع منها كلّ ما[491] كان زاكياً   وقد عَطِشَتْ فامدُدْ قُواها بسَقْيَةِ

333 ولم يَرْوِها إلاّ لِقاك فَجُدْ بهِ   ولو شربتْ ماءَ الفُراتِ ودِجْلَةِ

334 وها أنا فى أمواج بحرِكَ سابحٌ[492]   لأُرسِيَ[493] بشاطِي ساحلٍ أو جَزِيرَةِ[493]

335 فإن سلمتْ نفسي فلِلّه درُّها   وإلاّ فقد وَفَّت[495] لَكُم[494] إنْ تَوَفَّتِ[496]

---

493) Mag :. لأرسى
(que Maghribî propose de corriger).
Tam : لارسي على الشطئان أو بجزيرة

494) V : له
495) L : وفّت
496) L : بوقة

النور العاشر

في خوّاص النفس التامّ الذي هو القطبُ والامام الحقيقي وما امتازَ به عن أشخاص نوعِهِ من الكَمَالَات[497]

336 لكَ المركزُ المصدورُ عنه مُحيطُهُ[498] — وتعلمُ[499] هـذا كـلُّ نفسٍ عَلِيمَـةِ[498]

337 لـك النُّقْطَةُ الآتي بـدَوْرٍ[500] مُحيطها — عـليهـا ومـنهـا كـلُّ خطٍّ ونُـقْـطَةِ

338 لك النقطةُ الأُولى التي ضلْع جَنْبِها[501] — بَدَتْ منه حوّا وهى أصلُ الأُنـوثة[502]

339 وأنتَ كبـدرِ التمِّ بـالنـورِ كـامـلٌ — يـدورُ عليـك النـوعُ دارةَ هَـالَـةِ[503]

340 فنِصْفُ نفوسِ النوْعِ[504] إن حقَّقَ امرؤٌ[505] — رجـالٌ ونصفٌ منـه خُصّ بنسـوة[506]

341 ظهـرتَ لنـا فى صُـورةٍ عيسـويـة — ومن بعـدِهـا في صُـورةٍ أحمـديـةِ[507]

342 ختمتَ بها[508] الأديانَ عند كمالها — فـدار زمـانُ الـديـنِ دَوْرَةَ حَـلقـةِ

343 وقد آنَ[509] أن تبدو لنا الآنَ ظاهراً — بـلا مِـريـةٍ[510] فِي صُـورةٍ آدَمِيَّـةِ

344 تخـاطِبُنـا منهـا بمـا فيـه راحـةٌ — لأنفسِنـا أنفـاسُ لُـطْفٍ زَكِيَّـةِ[511]

345 وترفعُ هذا القهرَ باللطفِ رَفْعَةً[512] — تُبَـدِّل بؤسَ الـدهـرِ منهـا بنعمـة

---

502) V : الابوة

Dans Tam, le vers 338 se présente ainsi :

لك النقطة الأُولى ومن جنبها بدت* الى الناس حدّا

وهي اصل الأُنوثة.

(Il est évident que حدا est une corruption de حوّا)

Dans Mag, on a حوّى

que Maghribî a corrigé.

503) Tam : دور اهلة

Dans Tam, le vers 339 est placé après le vers 341.

504) Tam : القوم ؛ L : الامر

505) L : امره

506) Tam : خص منهم بنسوة

L : خصّ منه بنبوة (sic)

507) Dans L, le vers 341 est placé après le vers 343.

508) L : بـه

509) Tam : حان

510) Tam : بلا حجب

La fin de la 10° lumière (vers 344-345) manque dans Tam.

511) V : كنيسة (؟) ؛

B : كيسّة ؛ L : كسيّة

512) V : ...وترفّع... رفعة ؛ L : ويُرفع هذا القهرُ...

(sic). Les vers 344-345 manquent dans Tam.

النور الحادي عشر

في القيامة الكبرى وبيان ما يكون من علاماتها وآياتها وكل ذلك رموز[513]

346 يُقيمُ بها دَورُ[514] الزمان قيامة تخصُّ[515] جميعَ النوعِ منها بقُرْبَةِ

347 وينفخ إسرافيل[516] فى الصُورِ نفخةً فَيَصْعَقُ مَنْ في الأرض منها بِفَزْعَةِ[517]

348 ويَفْنى جميعُ الخلق طُرًّا ووجهُهُ الـمهَيْمِنُ باقٍ وحدَه بالألوهةِ[518]

349 ويذبحُ[519] عزرائيل عند فنائهم[520] بصورة كبش أملح خير ذبحة

350 ويُنْفَخُ أخرى بعدها[521] فتراهُمُ قياماً كما كانوا بثاني نَفْخَةِ[522]

351 فذاكَ قيامُ الناسِ فى يوم بَعْثِهِمْ بأجمعِهم من كلّ لَحْدٍ وحُفْرَةِ

352 حَفَايَا عَرايا[523] من جميع تعلّقٍ كما جاءنا فى شَرْحِ يوم القيامةِ

353 عيونُهُم منْ[524] عُرْيِهِمْ فى رُؤوسهم[525] يَرَوْنَ بها المعبودَ أصْدَقَ رُؤيةِ

354 ويُنْصَبُ بين النارِ والنورِ عندها سِراطٌ له حَدٌّ كحدَّةِ شَفْرَةِ[526]

---

517) Tam : برعشة

518) Le vers 348 manque dans Tam.

519) L : وتذبح

520) Tam : بعد قيامه

521) V : بعد هم

522) Mag : بانشاء نفخة (B a بثانِيَ que je corrige en بثانِي)

523) Dans V et Mag (Maghribî observe que ce pluriel n'est pas classique) : B et L : حُفَاةً عُرَاةً ، ce vers manque dans Tam.

524) B, L, V et Tam : مَعْ

525) Tam : برؤوسهم tous les autres manuscrits ont في رُؤُسِهِم

526) Les vers 354-356 manquent dans Tam.

355 صـراطٌ له الميـزانُ بالعـدلِ قـائمٌ تُجـازَى[527] بـه الأعمـالُ عن كُـلِّ حَبَّـةِ

356 وتُعْـرَضُ أعمالُ العبـاد بـأسْـرِهـا كبيـرتُهـم مقـرونـةٌ بـالـصغـيـرةِ

357 فَقَوْمٌ[528] لَهُم نارٌ[529] تَلَظَّى وَقُـودُها وقـومٌ لهـم فَـوْزٌ[530] بـلذَّاتِ[531] جَنَّـةِ

358 هُنَـالِـكَ إن قـدَّمْتَ خَيْـراً تَنَـالُـهُ وإن يـكُ[532] شـرًّا تُبْتَـلَى بـبـلِيَّـةِ

---

530) Mag : نور ؛ peut-être فوز dans une écriture défectueuse ?

531) Tam : بلذة

532) Tam : كان

النور الثاني عشر

في آلاداب والأخلاق والتحريض على تحصيل الكمالات الانسانية[533]

359	فمن يُسْدِ[534] خيراً فهو[535] مُدَّخَرٌ له	يجده وفعلُ الخيرِ خيرُ ذخيرةِ
360	تخلّق بأخلاقِ الالٰه مقدِّساً	لنفسك عن أوساخِ كلّ رذيلة
361	تَبِتْ فارغاً عن جُملةِ الخلقِ راضياً	مُحَلًّى[536] بأخلاقِ الإلٰهِ الشريفةِ
362	وقُمْ بحقوقِ[537] الدين واحفظ حدودَه	وراعِ[538] له ترعى به حَقَّ حُرْمَةِ
363	ولازم أَلِبَّاءَ الرجال وكن لهم	خدوماً لكيما تَحْظَ[539] منهم بخِدمَةِ
364	وراعِ حقوقَ الأهل والجار واحذر الـ	ـخيانةَ في سرٍّ وحفظِ وديعةِ
365	وعِفَّ بتقوىً واعفُ عن قدرة وكن	حليماً رصيناً[540] ذا وَقارٍ وهَيْبَةِ
366	وحدّثْ بحقٍّ إن نطقت تفز به	وإلّا فلا تنطِقْ بجهدك واصْمُتِ[541]
367	وإياك والسلطانَ والبحرَ طالباً	لدنيا تَنَلْها منهما بكفايةِ
368	تكن خائفاً في حال أمنِكَ منهما	وفي حال خوف مُؤْيَساً[542] من سلامة
369	ولا تكُ مُنْقاداً لطبعكَ[543] طائعاً[544]	فيُلقيك يامسكينُ في كلّ نكبةِ[545]
370	ولا تركَنَنْ يوماً الى الغيدِ[546] واجتنب	دَهاهُنَّ[547] في تدقيقِ كلِّ مكيدةِ

539) L : تُحظ ؛ Mag : تحظى grammaticalement juste, mais qui fausse le vers.
Les vers 363-365 manquent dans Tam.

540) V : امينًا رضيا ؛ L : حليما رضيا

541) Tam : بجهل وانصت

542) Mag : موسا que Maghribî propose de comprendre (بنفسك) مؤيسا faisant remarquer que يسا serait préférable;
V et L : مؤيسًا
B vocalise مُؤْيَسًا ؛ que j'adopte.
Le vers 368 manque dans Tam.

543) L : لطعمك (correction suscrite).

544) Tam : طيعا

545) Tam : بلوة

546) Mag et L : العبد

547) Mag : دهائين (pour lequel Maghribî propose soit une explication soit une corection peu satisfaisantes).

371 وإياكَ أن تمسي[548] أسيراً لقينةٍ[549] ... وإيـاك أن تغدو[550] صريعاً لقهوة

372 ولا تك جداً للمُدام مداوماً[551] ... فيُصْرَعُ منكَ العقلُ[552] أيةَ صرعةِ

373 وخُذْ باعتدالٍ من لطائفِ ذَوقِها ... وإن كنتَ ذا ذوقٍ بذاتِكَ فامقُتِ[553]

374 ولا تكُ بالشطرنج والنرد مُغْرَماً ... فترجعَ مغبوناً بأخسرِ صَفْقَةِ

375 ولا كَلِفاً بالصيدِ والخَيْلِ ذاهلاً ... ولا غَرِقاً[554] فى بحرِ لهوٍ وعِشْرَةِ[555]

376 ولا تُكْثِرَنَّ الهزلَ[556] في كل مجلسٍ ... ولا القولَ إلاّ فى أمورٍ مُفيدَةٍ[557]

377 ولا تنبسطْ[558] فى مَحْفِلٍ بِتَمَشْخُرٍ ... ولا تمزحَنْ فى مَحْضَرٍ بسفَاهَةِ

378 ولا تُكثرنَّ الجمعَ للمالِ مائلاً ... إليهِ بحِرصٍ مُفْرِطٍ وخَساسَةِ[559]

379 ولا تك مِتلافاً ولا مُمْسِكاً له[560] ... فتصبحَ ممقوتاً به شرَّ مَقْتَةِ

380 ولا تُكُ عبدَ البطنِ والفرج واستعِنْ[561] ... بتقليلِ نومٍ مَعْ كثيرِ رِياضةِ

381 وصُنْ مِنك عِرضاً وابذُلِ المالَ دونَه ... تَغِظْ[562] من يُعادِي[563] إن فعلتَ وتَكْبِتِ[564]

382 ولا تكُ في سَفكِ الدما متهوراً[565] ... فقتلٌ بقتلٍ إن خلا من خيانة[566]

383 وحاربْ إذا حاربتَ فالحربُ خُدْعَةٌ ... بفكرٍ ورأيٍ واحتيالٍ ولِينَةِ

384 وكنْ مبْدِياً للخصم[567] منكَ بشاشةً ... ولا تُبدِين يوماً لهُ وَجْهَ غِلْظَةِ

385 وقابل بحِلْمٍ منكَ ذا الجهلِ واجتهدْ ... بأن لا تُقَابِلْ منه[568] جهلاً بجهلة[568bis]

386 وخالفْ هوَى النفسِ التي طالما هَوَتْ ... بهِ نفسُ[569] حُرٍّ فى هَوانٍ وهُوّة

---

556) L : الهذل

557) Mag : سديدة ; dans Tam le vers 374 vient après ce vers 376.

558) L : تنبست ; le vers 377 manque dans Tam.

559) V : ومَحبَّة

560) V : ولا

561) Dans Tam le vers 380 se présente ainsi :
ولا تك عبد البطن والفرج دائما ، وحاشاك أن تدعى لكل ردية.

562) B : تُغِظ . Je serais tenté de remplacer تغظ (tu fâcheras) par تعظ (tu donneras une leçon à); mais aucun manuscrit n'a cette leçon.

563) V : تعادي

564) L : ونكبة ; les vers 381 et 382 manquent dans Tam. Le copiste de B s'est arrêté avant le vers381.

565) V et L : الدماء مهورا

566) V et L : جناية .

567) Tam : مبديا للخلّ ; L : للخصم مبديا (qui fausse le vers). Les vers 384 et 385 sont intervertis dans V.

568) Mag : لا يُقَابِل مِنك .

568 bis) Mag : لجهلة (corrigé par Maghribi)

569) L : طر . Le vers 386 manque dans Tam.

387 وكن فى سبيل الله جدًّا مجاهداً   ولا تَخْشَ فيه من أليمِ[570] مَلامةِ

388 فذُلُّ رجال الله فى الله[571] عِزَّةٌ   وعزُّ بني[572] الدنيا مشوبٌ[573] بذِلَّةِ

389 ولا ترهبنَّ الموت قبلَ[574] حُلوله   ولا تخشَ منه إن أتاكَ بهَجْمَةِ

390 فكلُّ امرئٍ يوماً وإن طالَ لُبْثُهُ   له أجَلٌ يأتي لوقت[575] موقَّتِ

391 ولا دافعٌ عنه له إن أتَى[576] ولو   تمنَّعَ منه بالحُصون المَنيعَةِ

392 فطعم[577] المنايا[578] فى أمورٍ عظيمةٍ   كطعم[577] المنايا[578] في أمورٍ حَقِيرةِ

393 وكن ناطقاً بالحقِّ إن شاءَ أو أبى[579]   كليمك[580] مقداماً به ذا[581] نَباهَةِ

394 ولا تخشَ إلاَّ الله فى كلِّ حالةٍ   يُعنِّكَ[582] وكنْ حُرًّا قَنُوعاً ببُلْغَةِ[583]

395 فذوالجهل لا يُرضيه شيءٌ وذو الحِجَى   يعيش بنفسٍ حُرَّةٍ مُطْمَئِنَّةِ

396 وإن نِلْتَ فى نيل المعالي مَشَقَّةٌ   فإن المعالي[584] بالمكاره حُفَّتِ[585]

397 يصحُّ انجبار النفس بعد انكسارها   إذا قَنِعَتْ في كَسْرِ[586] بيتٍ بكِسْرةِ

398 فجرِّد عن الأشياء نفسَكَ واقتنع[587]   بأيسرِ شيءٍ من لِباسٍ وطُعْمَةِ

399 ولا تَحْزَنَنْ يوماً على فقد حرمة[588]   ولا تَأْسَفَنْ يوماً على فوت نعمة[589]

400 وساعدْ إذا ما ساعَدَ الدهرُ قبل أن[590]   يفوتَك إمكانٌ بتضييعِ[591] فُرْصَةِ

401 ولا تُمْسِ[592] شَبْعاناً[593] وجارُك جائع[594]   فتُصْبِحَ موسوما بأرذلِ خَلَّةِ

402 وكنْ فَطِناً شهماً[595] لبيبا مهذَباً[596]   أديباً كريماً مؤثراً[597] عن خَصاصَةِ

---

587) V : واجتهد

588) V et Tam : على فوت حرفة

L : على فوت خرقة

588) Tam et L : على ذوق لقمة

589) V, Tam et L : على ذوق لقمة ;

Mag : على ذوق نعمة que Maghribī corrige ainsi : على فوت نعمة ; je conserve cette correction, pensant qu'un copiste ayant lu ذوق au lieu فوت a alors remplacé نعمة par لقمة (mais peut-être y avait-il فوت également à la place de فقد)

590) Tam : قبلما

591) Mag : وتضييع

592) Tam : لا تمشي

593) L : شعبانا

594) L : جائعا

595) L : فهيما (qui fausse le vers)

596) Mag : ممَهّدا (que Maghribī conserve tout en proposant plusieurs corrections dont : مهذَّبا)

597) Mag : مؤسرا (corrigé par Maghribī d'après Cor., LIX 9). Le vers 402 manque dans Tam.

403 وسـامـحْ أخـاكَ الحُـرَّ فى فعله إذا ... أتَى زَلَّـةً[598] واغفـرْ لـه جُـرْمَ هَفْـوةِ

404 وكنْ أبـداً هَشـاً[599] لـه متبسِّـماً[600] ... ولا تكُ ضحاكـاً[601] ولا ذا[602] عبوسـة

405 يَدُمْ لكَ مهما عشتَ أو عاشَ[603] وُدُّه ... وتُصْبِـحُ[604] مـعـروفـاً بعـهـدٍ وذِمَّـةِ

406 ولا تـك مكثاراً[605] إذا زرتَ صاحباً ... ولا قـاذفـاً مَنْ غـاب عنك بغيبـةِ

407 ولا ذاكـراً بالسُّـوء مَنْ قد عَـرَفْتَـهُ ... ولا نـاسيـاً يـومـاً[606] لعهـدٍ وصُحْبَـةِ

408 وسـرّك فـاحفـظه وكنْ كـاتمـاً لـه ... تَعِشْ فى أمـانٍ من أذَى ذي عَـداوةِ

409 وكن آخـذاً بالحـزمِ فى كل حـالَةٍ ... تحـاولُ[607] تسلم من سهـام نَـدَامَـةِ

410 ولا تكُ[608] حقاداً إذا صاحبٌ أسَا[609] ... إليـك وأبـدَى عـذره[610] ذا ضغينـة[611]

411 ولا نـاقضـاً عَهْـداً لخِـلٍ محـافظٍ ... ولا قـاطعـاً حَبْـلاً لصـاحب وُصْلَةِ[612]

412 ولا حـاسداً خَلْقاً على فَضْلِ نِعمةٍ ... ولا نـاسيـاً حقـاً لُمسـدِي[613] صنيعـة[614]

413 ولا تـك فى حال الغِنَى طـاغياً ولا ... إذا مَسَّ فقـرٌ مـظهـراً لكـآبَـةِ[615]

414 وإن يك خطبٌ حـلَّ فاثبُتْ ودارِهِ ... بصبـرٍ جميـلٍ عِنْـدَ أوَّلِ صَـدْمَـةِ

415 وخُذْ من صَريحِ العلمِ والفضلِ كلَّ ما ... يُـزينـكَ فى حـالَيْ مُقَـامٍ[616] ورِحْلَـةِ

416 ولا تـك ذا خُبْثٍ ومكرٍ منـافِقاً[617] ... فتُبـلَى بـذِي مكـرٍ ونفسٍ[618] خبيثـة

417 وعوِّدْ بصدقِ القولِ ما دُمْتَ قائلا ... لسـانَـك واحـذَرْ أن يَفُـوهَ[619] بكِـذْبَـةِ

418 ولا تك سفسافاً لخَوْفٍ[620] من امرئٍ ... ولا طَمَـعٍ عنْ[621] رغبـة أو لـرهبـة

419 ولا تك دخَّالاً[622] على الناس خارجاً[623] ... بصـورة إيـذاءٍ[624] ونقـلِ نميمـة

---

610) Mag : عَنْده Maghribî propose une explication compliquée pour justifier ce mot.

611) Mag : ذا صنيعة (Maghribî propose la bonne correction) ; Tam : في سماحة

612) V, Tam et L : Les vers 411 et 412 sont intervertis (ce qui donne une leçon d'ailleurs correcte).

613) Mag : لمبدي

614) Tam : نصيحة

615) Les vers 413-414 manquent dans Tam.

616) Tam : في حال المقام ; L : في حال مقام

617) Mag : مناقضا

618) Mag : نفس ومكر (corrigé par Maghribî).

619) L : تفوه . Les vers 417 et 418 manquent dans Tam.

620) V : فالخوف

621) Mag : من

622) Mag : ذجالا

623) : حاترا (= جائرا ؟)

624) Tam : بسورة ابداع . Les vers 419 et 420 sont intervertis dans Tam.

420 ولا تـك هجّامـاً على من عَـرَفْتَـهُ   فتُـدعَى ثقيـلا أهـوجـاً ذا حَمـاقـة

421 ولا تك جذّاباً بحِرْص[625] تكالُباً[626]   لأسبـابِ دُنيـا من وجـوهٍ خَسِيسَـةِ[627]

422 ولا تك كَسْلاناً عن الكسبِ واحترزْ   من الـذُلّ[628] للإخـوانِ فى نَيْل حَـاجَـةِ

423 وكن حـاملاً أثقـالَ قومِـكَ دافعـاً   بسعيـك عنهـم هَمَّ كـلِّ مُـهِمَّـةِ[629]

424 وكنْ راعياً عهدَ الخليلِ وإن جفا[630]   أخوك فصِلْ واحفظ[631] حقوقَ الاخوة

425 ولا تـك مغـروراً بجـاهٍ تنـالـه   فتَسْـلُبُـهُ الأيـامُ أعجـلَ[632] سَـلْبَـةِ

426 ولا تـك جبّـاراً اذا دَوْلَـةٌ[633] أتَتْ   ولا خَـوِراً مـنهـا إذا هـي وَلَّـتِ

427 وكن أبداً عن[634] صُحبةِ الناس هارباً   فـعـزُّ الـفـتَى فى أن تـراهُ بـعُـزْلَـةِ

428 ولا تَلْهَ[635] عن نَحْوِ الرذائـل واقتنِ الـــفضـائـلَ واجهـد فهي أفضـلُ قِنيـة

429 وكن شـاكـراً لله في كـلِّ حـالـةٍ   ولا تُظهر الشكوَى اذا النعلُ[636] زلَّت[637]

---

j'aurais été tenté de garder خلا (pour خلى) dans le sens de «couper» : «s'il coupe toute relation, réunis»; mais خلى est employé pour les végétaux et l'on ne voit guère qu'il puisse être utilisé ici.

631) Tam : بفعل أو

632) Tam : اعظم

633) L : دولت . Les vers 426-428 manquent dans Tam. Maghribî propose de corriger خَوِرًا inusité, en خَوَّارًا ؛ mais le vers serait faux, et tous les manuscrits ont خورا

634) V et L : من

635) V : تلهُ ؛ L : تلهِ

636) Tam : النفس

637) L : زلة .

لمعة

في شرح[638] طَرَفٍ من أحوالِ الناظم وما لَقِي من المشاقّ في مطالِبِهِ وبها[639] تَتِمُّ القصيدة

430 وإنّي لَمُنقــادٌ لِخِــلِّي كمــا اشـتَهَـى   عصِيٌّ على خَصْمي انجذاب[640] شكيمتي[641]

431 وإن ضنَّ[642] ذو بُخْــلٍ عـليَّ بمــالـه   ســأمنَحُــهُ مــالي ونفسـي بــرَغْبَــةِ

432 لأنّي[643] من قومٍ همُ زُبْدَةُ الـوَرَى   وهمْ بقيـاسٍ كـالمَخِيضِ لــزُبْـدَةِ[644]

433 همُ القومُ لا يشقَى الصريخُ بهم إذا   دَعَــاهم الى جَـلاء يــوم[645] كَــرِيهَــةِ

434 لنا الشَرَفُ الأعلَى[646] الذي طَوْدُ عِزِّهِ   تَـذِلُّ لــه أعـنــاقُ كــلِ قَـبـيـلَةِ

435 ونحنُ لأهلِ الشرقِ والغربِ قبلةٌ   يُـصَــلِّي[647] إلينــا سُجَّــداً كــلُّ مِـلَّةِ

436 وأيٌّ[648] يـد للفخر مُـدَّتْ ولم يكنْ   لَنَـا خَمْسُهَـا[649] يَــومَي فِخـارٍ[650] ونَجْــدَةِ

437 وقـد نَـزَّلَ[651] الـرحمنُ مـائـدةً لنـا   حَوَتْ كلَّ شيءٍ من طعومٍ[652] لذيذةِ[653]

---

642) Mag : من ؛ tous les autres manuscrits ont ظن (écrit طن dans V) ، Maghribî a corrigé à juste titre.

643) Tam : وانيَ

644) V : لزبدتي

645) Mag a جلّا ويوم que Maghribî écrit : جُلّى leçon alors acceptable; mais la leçon des deux autres manuscrits me paraît plus satisfaisante (le copiste de Mag, ne reconnaissant pas جلاء، si le hamza n'était pas écrit, a pu remplacer celui-ci par و)
Le vers 433 manque dans Tam.

646) V : الأعلا

647) Mag : تُصلّي

648) Mag : وأنّى (corrigé par Maghribî)

649) V : خمّيتها

650) Mag : يرمي فخارٌ que Maghribî a cherché à corriger ainsi : تومى لفخر .
Le vers 438 manque dans Tam.

651) V et Tam : انزل

652) Tam : طعام

653) V : مُلذة

438 تُغَذِّي[654] غِذاءً لا ترى[655] الموتَ بعدَه — فهــلْ فيـكُمُ مـن آكـلٍ يـا أحِبَّـتي

439 لقد شَرُفَتْ نفسِي جلالاً[656] ورِفعةً — وفـاقت فـداستْ[657] هـامَ كـلّ مُنِيفَـةِ[658]

440 سمــوتُ الى أوجِ العُـلَى فبلغتُــهُ — ولـكـنْ بـكـدٍّ مُـتْـعِـبٍ ومَـشَـقَّـةِ

441 وشـاهدتُ أشيـاءَ الوجـودِ بعينها — كمـا هـي في مـرآةِ ذاتي الصَّقيلَـةِ

442 وأثّلتُ[660] مَجْداً دونَهُ النجْمُ[659] شامخاً — دعــائِمُــهُ رُصَّتْ بـإحكـام مُكْنَـةِ

443 وقد تُدرِكُ[661] المجدَ المؤثَّلَ عَزْمَةٌ[662] — إذا بَـعَـثَـتْـهـا هِمَّـةٌ مـثـلُ هِمَّـتي

444 علوتُ إلى أن جاوزتْ نعليَ[663] العُلَى — وطُلْتُ الى أن نلتُ كـلَّ طَـويـلَةِ[664]

445 وضاقَ[665] بيَ الإقليمُ من عِظَمي به — فلمْ اشتـرفْ[666] فيـهِ لغـايـةِ قِيمَتي

446 فإن أصبحتْ رجلايَ تمشي على الثَرَى — ففـوق الثُّـريَّـا مُـدَّ أطنـابُ[667] خَيمَتي

447 أبيت خـليَّ البالِ[668] من ذوق كثـرة — بمـالي رخيٌّ[669] الحـالِ[670] من غمِّ قِلَّةِ

448 فلا باتَ يُـطغيني[670] الغنَى إن بَلَغْتُهُ — وَلَا بـاتَ يَثنِيني[671] عن الجـودِ[672] فـاقتي

449 وإن قـابَلَتْني من جهولٍ سفاهـةٌ — يُـقَـابلُهـا حِـلمي بـعفـوِ مُـرُوءتي

450 ولو في فمِ الضِرغامِ أصبحَ[673] مَطْلَبي — هَجَمْتُ عليه الجيشَ[674] من غيرِ خشْيَةِ

451 سَيَعْرِفُ من لم يعرِفِ اليومَ مَنْ أنا — مَقَـامي غداً إن كـان من أهلِ شيعتي

452 تُخَـاطبني نفسِي بأشيـاءَ فى الكَرَى — اذا عـايَنَتْهـا عـينُ غيـري لَقَـرَّتِ[675]

J'avais d'abord pensé à لم اشترك
mais le sens du vers m'incite à corriger
en لم اشترف .
Les vers 445-447 manquent dans Tam, tandis
que le vers 448 a été placé après le vers 430.

667) Mag : يدُّ أطناب
Maghribî explique يـدُّ
comme une contraction de ينذُ
piquet de tente. Les autres manuscrits ont مَدُّ

668) Mag : على البان
(عليّ eût été acceptable avec البال)

669) Mag et L : بمال

670) L : المال Dans ce vers 447, Maghribî
a bien remplacé البان par البال
mais il a opéré plusieurs corrections
inacceptables. J'ai adopté la leçon de V.

671) Tam : ولم يطغني نيل

671) V : ولا بتُّ تُثنيني ؛ L : ولا بت يثنيني
Tam : ولا بات ينسيني

672) Tam : الجوع . Les vers 448 et 449 sont
manifestement intervertis dans Mag.
Dans Tam : Le vers 648 vient après le vers 630.

673) Tam : كان في ايدي الضراغم

674) V : الخيش ؛ Tam : الحال

675) Mag : أقرّت ؛ L : تقرّت ؛ Tam : بعزة

453 ومَنْ خَطَبَ[676] العلياءَ يوماً ولم يكنْ — صَبُوراً على وَقْعِ الظُّبا[677] والأسِنَّةِ

454 فليسَ لـه في أن يُعَرِّضَ[678] نفسـه — لهـا وليعِشْ عنفاً[679] بـأدنى مَعِيشَـةِ

455 ومـا مـانِعي منهـا ونفسي أبِيَّـةٌ — وعَـزْمِيَ مـاضٍ واللَّيـالِي مُمِـدَّتِي[680]

456 وقـد شَمَلَتْني من إلٰهي عِنـايـةٌ — وأيَّـدني منهـا الـزمـان بسمتـة[681]

457 سخـاءٌ وعلمٌ راسخٌ وشجـاعـةٌ — وحَـزْمٌ وإقـدام وإرهـافُ[682] عَـزْمَـةِ

458 ولي حالةٌ أُخرى ظفرت بعلمها[683] — وإن عِشتُ منهـا نلتُ غـايـةَ بُغيَتِي

459 أُصَدُّ قِلًى[684] عنها فتُغرَى[685] بوُصلتي — وإن أنا يوما جُدْتُ بالوصلِ صَدَّتِ[686]

460 فيا نفسُ[687] جِدِّي[687 bis] في طلابك واصبري — ولا تقنطي[688] ان كنتِ نفس مُجِدَّةِ[689]

461 أأحبـابنـا إنَّ الليـالِيَ بعـدكم[690] — رَمَتْ بسهامِ البينِ شَمْلِي فأصْمَتِ[691]

462 تفتَّت مُـذ غِبتم[692] فؤاديَ بـالنـوى — وأيُّ فـؤادٍ بـالنـوى لم يُـفَـتَّـتِ

463 لَئِن كنتمُ يـومـاً أنِسْتُمْ بغيـرِنـا — فعندِي لكمْ والله أعظمُ[693] وَحْشَـةِ[694]

464 وإن نَقَضَ العهدَ الأَخلاَّءُ أو نَسُوا — فحفظي لذاكَ العهـدِ دأبي[695] وشيمتي

465 أقمتم بأكنافِ الغوير[696] وصَبُّكم[697] — بسيـواسَ مُلْقًى مِـن رُبَى أرْمِينِيَّـةِ[698]

466 يجوبُ جِبالَ الـرومِ في هَوَسَـاتِه[699] — يـرومُ مـرامـاً دونَـه كـلُّ صَعْبَـةِ[700]

---

687) Mag : ايا نفسُ

687 bis) Tam : حياتك واطلبي

688) Mag : تُقصرى

689) V : من نفس حرة
L : نفس ابن حُرَّةٍ
Tam : نفس عزيزة
(Mag a بجدّت corrigé par Maghribî).

690) Tam : لبعدكم

691) Dans Tam, le 2ᵉ hémistiche du vers 461 se présente ainsi : رمتني فأدمى السهم قلبي ومهجتي

692) V et L : مذ بنتم
Le vers 462 manque dans Tam.

693) L : أعلم

694) Tam : دهشة

695) V : وذكري العهد شغلي
Le vers 464 manque dans Tam.

696) V, L et Tam : العراق

697) Tam : وحبكم

698) L : ... من ربا ؛ V : ... من ديار ؛
Tam : في ديار بعيدة

699) L : في طلباته
Tam : سعيا وانه

700) Tam : غاية ؛ Mag : ضيفة
faute corrigée par Maghribî, correction confirmée par les autres manuscrits.

467 بعيدٌ[701] عن الأوطارِ[702] فَرْدٌ مُشَرَّدٌ[703] — طَرِيدٌ[704] عن الأوطانِ[705] في كلِّ بَلْدَةِ

468 فطوراً أَرَى من فوق صَهْوَةِ[706] شامخ[707] — وطوراً أَرَى فوقي جبالَ حزومةٍ[708]

469 وطوراً تراني راجلاً[709] بين رُفْقَةٍ[710] — وطوراً تراني فارساً وَسْطَ قَفْرَةِ

470 وطوراً تَرى الدِّيباجَ ثَوْبي وتارةً — تراني لفيفاً[711] في كِساءٍ وشَمْلَةِ[712]

471 ولستُ أُبالي إن أكلت لُقَيْمَةً — وبتُّ[713] وراسي مُسندٌ[714] فوق لِبْنَةِ

472 ولا فرقَ عندي بين يابسِ كِسْرَةٍ — إذا نِلتُها يوماً وبين قَلِيَّةِ[715]

473 ولا بينَ نومي فوق خَزٍّ مسردق[716] — وبينَ مَنامي[717] فوق صفحة تُرْبَةِ[718]

474 فذوقي بذاتي دائماً ومعارفي[719] — وشَوْقي وعِشْقِي للعُلَى وسِياحَتِي

475 لِسانِيَ قَوْسِي والتفكُّرُ جَعْبَتي — ولَفْظِي سِهامي والمَعاني رَمِيَّتي[720]

476 وَعَقْلِيَ سُلطَانِي ونُطْقِيَ حَاجِبي[721] — وجسميَ تَخْتِيَ[722] والملوكُ رعيَّتي

477 ونفسِي نَدِيمي والمباحثُ مُطربي[723] — وذهنيَ كأسي والحقائق خَمْرَتي

478 مُخيلتي[724] تجلو عليَّ عرائساً — بديعاتِ حسنٍ والتميُّزُ شمعتي[725]

479 وصِدقِي صديقِي والعَفافُ مُصاحبي[726] — وسِرِّي سميري والمعالي حَبيبتي[727]

480 وصبري مُعِيني واحتمالي مُساعدي[728] — وحِلْمِيَ أنصاري وسِلْمِي[729] وَسِيلَتي[730]

481 وفقري غنائي[731] واشتغالي[732] فراغتي — وما ليَ تجريدي وكنزي قَنَاعَتي

---

715) L : قتبّة (correction en marge ، قَلْيَة)
Tam : لقيمة
716) L : مروّق
Mag : مردف que Maghribî corrige en
مسردق ، مزوق dans V et Tam.
717) Tam : مبيتي
718) Tam : صخر وتربة Mag : صحفة
(que Maghribî corrige à tort en صحصح) .
L : صفحة تربتي . J'adopte la leçon de V.
719) Mag : وتعارفي
Le vers 474 manque dans Tam.
720) Tam : حقيقتي

721) Tam : حاجب
722) Tam : عرشي
723) Tam : والرحيق مدامتي
724) Mag : بحليتي (corrigé par Maghribî)
725) Mag : سمعتي (corrigé par Maghribî)
726) V et Tam : ملازمي
727) Tam : والمعاني جنتي ، L : والمعالي جبلّتي
728) Mag : معاوني
729) Tam : وعلمي
730) L : وسيلة
731) Tam : غناء
732) Tam : وانشغالي

482	وحَزْمِي وَعَزْمِي[733] صاحباي[734] ومَرْكبي	حياتي[735] وتفويضي إلى الله حيلتي[736]
483	ولا عملٌ[737] لي[738] غير علمي[737] بعفوه[739]	ولا شافعٌ لي غيرُ إخلاصِ نيتي
484	وما شِبْتُ[741] من عدٍّ[740] السنينَ وإنما	خطوب صروف الدهر شيَّبْنَ[742] لِمَّتي
485	لعمريَ إن ولّى الصِبى وأتى النُهى	فقد أخذت مني الليالى وأعطت[743]
486	تجرَّعْتُ أحداثَ الزمانِ وذُقْتها	بطعمي جناها حلوة بعد مُرَّةِ
487	فلم أرَ في الدنيا أشدَّ نِكايةً	بقلب مُحبٍّ من فِراقِ أحِبَّةِ[744]
488	فدُونكُمُوها يابنى الفَهْمِ وانشروا	مطاوي[745] قُواها نُكْتَةً بعد نُكْتَةِ
489	لعلكُمُو أنْ[746] تدركوا الفوزَ بالمُنَى	إذا ما فَهِمتم ما حوت من بَدِيعَةِ[747]
490	وإن أظلمتْ طُرْقُ الضلالِ لكمْ فقد[748]	أضاء لكم مصباح نور النُبوَّةِ[749]
491	خذوا دُرَراً منها سَنِيٌّ سنائها[750]	يَرُدُّ[751] الدَرَاري خُنَّسا بالأشِعَّةِ[752]
492	أتتكم بأدواء الجهالة طَبَّة[753]	مشرّقة تُطْفي سنا المغربية
493	تزيل[754] عَمى عين الزكي[755] وتذهب[758] الـ	ـغشاوةَ منها عاجلا فَرْدَ[756] كَحْلَةِ
494	وكم مَيِّتٍ أحيت وتُحيي بردِّها	عليه قُوَى روحٍ له بعد فِرْقَةِ
495	اتت تتهادَى كالمَهَا[757] بملاحةٍ	عراقيةٍ بصريةٍ عامِرِيَّةِ
496	لها زيُّ مسكينٍ لضَعْفِ مُعِينها	على أنَّها[758] سلطانُ كلِّ قَصِيدةِ
497	وبكرٌ أتتْ لا فارضٌ بَذْرُ[759] علمِها	اذا ما بدا أخْفَى[760] سنا[761] الفارضيةِ

---

750) Tam : لعل سناءها .

751) Tam : يمدّ .

752) Tam : بالقوى والاشعة

753) V : طنه L : طبِّئة .
Maghribî fait dépendre بأدواء الجهالة de أتتكم et considère أدواء comme comme un pluriel incorrect de دواء remède; mais je pense qu'il est le pluriel de داء maladie, et dépend de طبّة . Les vers 492-493 manquent dans Tam.

754) L : وتذيل

755) V et L : الذكي

756) V : ويرفع... فردُ... .

757) L : بهادي كاملا .

758) Mag : ولكنها . Dans Tam., les vers 496 et 497 sont intervertis, et cet ordre me paraît meilleur.

759) Tam : بدري

760) V et Tam : بدت اخفت

761) Mag : سها ؛ L : سهى ؛ il s'agit d'une étoile de la grande Ourse; il faudrait alors traduire : «éclipse l'étoile du poème...»; j'ai pris la leçon de V et Tam.

498 تخال معانِيها خلال حروفها ... كواكبَ تبدُو فى حَنادِسٍ[762] لَيْلَةِ[763]

499 كأنَّ قوافيها ورَصْفَ بيوتِها ... وما ضُمِّنَتْهُ[764] من شَريفِ فَضِيلَةِ

500 عقود لآلٍ رُصِّعَتْ بزَبَرْجَدٍ ... كزُهرِ نُجومٍ أو كأزهارِ رَوْضَةِ

501 وليستْ إذا عددتَها بطويلةٍ ... يَمَلُّ بها الراوِي ولاَ بقصيرةِ

502 ولكنها ثاء وهاء نظمتُها[765] ... بسِيوَاسَ فى ذالٍ لتاريخ هجرةِ

503 خذوها هنيئاً ياأخِلاَّيَ[766] واعملوا[767] ... بما قُلْتُهُ فيها بصِدْقِ طَوِيَّةِ

504 فكم لي بها فَضْلٌ[768] عليكم ومِنَّةٌ ... ولله كم فضلٍ عليَّ ومِنَّة

505 سعيتُ بجدٍّ بالغٍ لذوِي الحِجَى ... بكشفِ معانٍ كمْ عيونٍ قد اعْمَتِ[769]

506 فإن كنت فى سعيِي مصيباً فبِالحَرَى[770] ... وإلاّ فهذا كان مقدارُ طاقتي

ومنه ولطفه وحوله وقوته والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله وصحبه وعترته ورجاله ومن تابعه وازره وهو حسبي ونعم الوكيل.
perpendiculairement à ces lignes et, semble-t-il, à l'encre rouge :

فوبلب باصلها
فى عسه الحمعه كه سبعان
٧١٥/

à lire, semble-t-il :

قوبلت باصلها
في عشية الجمعة ٢٥ شعبان سنة ٧١٥

تمت القصيدة بحمد اللّه وعونه وكتبها من لم يذكر اللّه
ولم يذكر سواه

Dans L : تمت القصيدة بعون الله تعالى في يوم الأربعاء التاسع والعشرون شهر شعبان سنة 1170 من شهور سنة سبعين ومائة بعد الف من الهجرة النبوية على يد العبد العاصي بن ابو طالب الحسيني علي نقي في حماد (حمال ؟).

Dans V : تمت القصيدة العامرية بعون الله تعالى

1 وانت مشيد الدين في ركنه الذي — عليه اعتماد القصد يوم القيامة

2 وانت الذي تطوي السماء بحكمة — يمينك تحويها وارضك قبضة[771]

3 وانت الذي اظهرت في كل دورة — وكل زمان حجة منك رحمة[772]

4 وانت الذي اعطيت آدم شيثه — واظهرت حوا من رسوم النبوة

5 وانت الذي نحّيت نوح بمائه — ومن علمه سام بني للسفينة[773]

6 وانت الذي فيك الخليل لقد دعا — فنجّيته من نار ضد وظلمة

7 وافديت اسماعيل بالكبش سرعة — ووكّلت اسحاق النبي بحلة

8 وانت الذي أيّدت موسى بعصمة — عصاه أخاه[774] دافعا كل نقمة

9 ويوشع قد ردّت له الشمس عنوة — مقاما جليلا قوة بعد قوة

10 وانت الذي اعطيت عيسى بن مريم — لطائف اسرار العلوم الخفيّة

11 واظهرت شمعونا اساسا يشده — برشد وتبيان به العهد يثبت

12 وانت الذي قمت النبي محمدا — بعزم من الفيض العظيم المهابة

13 وايدته فيمن اقام حقوقه — ابو السادة الامجاد مولى البرية

14 امام الهدى المعروف حيدرة الوغى — حجاب به التأنيس في كل دورة

---

774) Je corrige أخاه en أخوه (عصاه ne doit pas être pris pour le bâton de moïse).

15 ومـن نسـله الامجـاد اولاد فـاطـم　　بني المصـطفى والأب[775] اصل الامامة
16 غـوامض اسـرار الجمـال وقـوة　　الهـيـة[776] لاحـت بـاشـرف حـلة
17 ظهـور استتـار بعـد اظهـار حكمـة　　واشـراق اخـفـاء بنـور الجـلالـة
18 تُـشـير الى ذاك المقـام وعـزّه　　وعـظمـتـه في الحضـرة الاحـديـة
19 بكـل زمـان فـرد ذات بمـظهـر　　بشكـل ورسم فيـه سـر الامـامـة

20 يـروه كمثـل الجنس منهم مـدانيـا　　ولكن تـدانيـه الى الجنس رحمـة[777]
21 لـه الكون طـوعا والـزمان بـأمـره　　وليس سـواه ظـاهـرا بـالخليقـة
22 هـو الحق والتحقيق في كل مـظهر　　وفي كـل عصـر يستجـدّ بـصـورة

1 واشـرقت الأكوان من فيض وحـدة　　مـنـزهـة فـوق الـسـماء بـعـزة
2 وابـدعت العقـل الكبـير بقـدرة　　وفـيض مـن الانـوار والأحـديـة
3 ومنـه ظهور النفس ان كنت عـارفا　　تـدقق كيف الاصـل عنـد البدايـة
4 جمـال تجـلى واضـح ليس يختـفي　　وعـزم تـعـالى مـشـرق بـالمسـرة
5 ومنـه بدا ذاك الـظهـور الى الـورى　　بـكـل زمـان كـرة بـعـد كـرة
6 هـو السـابق الاعـلى بعـزّ مكـانـه　　هـو الـواحـد الفـرد القـديم البـداية
7 يعـود اليـه الكـل عنـد خـلاصـه　　وعـنـد انقـضـاء المـدة الامـديـة
8 هـو الحق والتحقيق في كل مـا يرى　　من الفـيض والامـداد في كـل دورة

1	عليها مدار الدائرات وفيضها	جليا بدا من دوحة علوية
2	حجاب رقيب للنفوس بسره	به برز التالي الى الملكية
3	تحجب في ذى منظر حيّر الورى	واشرق منه السر في كل صورة
4	فريد البقا فيه البقا وهو في البقا	محل البقا والنفس فيه كريمة[778]
5	ويجمع هذا السر في الخلد شجرة	تسمّت بزيتونة أقدسية[779]
6	تقدس معناها وبان جمالها	من العزة الاولى باشرف حلة
7	فكن عارفا في سر نفسك فائقا	خبيرا باحوال الامور الحقيقة

1	واصل هيولى الشكل لاح من العلى	من الدوحة العلوية الأولية
2	وصار الى عمق وطول وعرضها	من النفس ثم الشكل ثم الطبيعة
3	وصارت تخاطيط الوجود بذاتها	معينة في فلكها محتوية[780]
4	وما مالت الاجسام الا بأنفس	وما قرت الأرواح الا بجنة[781]
5	وما دارت الافلاك الا بانجم	تلوح لنا حتى تصير آهلة[782]
6	هو القصد والمطلوب في كل دورة	وكل زمان قام لله حجة[783]

بجثة et traduire par « un corps »

782) Rime en atâ.

783) Rime en atû.

1 وأشـرق معنى مطلق الجـود بـالعـلى   وفـاض بجسم الكـل في كـل حلة

2 وفـاضت قوى للنفس فيـها تقسمت   بـاجرامهـا من اصـل بـدء السـريـرة

3 فصـارت بجسم مـطلق لا مقيـد   تفيض عليـه بـالكلمـة الأزليـة[7×4]

4 ومنـه ابتـدا التـركيب في كـل عـالم   هـو الأصـل لـلأجنـاس فيـها تسمت

5 هـو القطب والملك الفسيـح مكانـه   وأسـراره مـوصـوفـة أقـدميـة

6 وشمس شـروق السر عـين وجـوده   وبـالفلك المـوصـوف تسـري بهيبـة

7 تجـلى[7×5] بمعنى الكـل ربّـا مؤيّـدا   من الربّ فافهم رمـز هذي الحقيقيـة

8 وهذا انتهاء العرف ان كنت عارفا   ونـور شعـاع النفس فيـه مضيئـة[7×6]

9 اذا فـرغ الـدور الـذي ينقضي لـه   من الأجـل المحتـوم وفي الارادة[7×7]

---

c'est-à-dire aux versets ou à leur mystère, il écrit : «lui accorder son dû» (حقوقه) c'st-à-dire à l'idée.

de Âmir de manière à le rattacher aux siens; au lieu de « leur accorder leur dû » (حقوقها)

1 وقد دار هذا الفلك دورة قدرة   وحاط باحوال الزمان بحكمة
2 ولما تبدى في بدائع قوة   من الجهة العليا باجسام ستة
3 ترتبت الافلاك في دور سبعة   بأكنافها في دورة بعد دورة
4 وما دارت الافلاك الا بأنجم   تلوح بها من فيض نور الهداية

5 وشكل لطيف النفس ينثر مطلقا   من الفلك الأعلى البديع الاشارة
6 واصل وجود السر شفاف بارق   له فلك قد دار دورة حركة
7 ورتب أجرام النجوم بجوه   وأشرق منه الفيض في كل طرفة
8 هلموا اليه فهو منتظر الورى   وسر وجود الكل في كل آية
9 هو التاسع الفرد الجليل وعزه   سما وعلا في كل فكر برفعة
10 تظاهر منه الوحي بالنطق جاريا   على ألسن الامجاد في كل دعوة
11 دعاة الهدى بالحق قام وجودهم   وأسرارهم تسري بعزم وقوة
12 من التاسع الفرد العلي تظاهرت   مواد العلى حتى بدت بالظهيرة
13 كذلك بالافلاك لاحت بدورها   كترتيب اشكال الحدود المقيمة
14 وفي كل جرم حل عزم وجوهر   بمعنى لطيف شكله بالاشارة

15 كـواكبهـا لاحت بجـوهـر مـطلق ... لهـا من بديـع العصـر اعـظم سـطوة

16 هي السـر والاجرام شكل وجودها ... ومـظهـر اشبـاح الجـواهـر سبعـة[788]

17 فيـا عـارفـا للحق في كـل وجهـة ... حـظيت[789] بنيـل الفـوز ثم السعـادة

1 بـآخر دور الجـرم تبـدو عجـائبـا(SIC) ... مـلازمـة لـلصـورة الأدمـيـة

2 يقـوم بهـا الانسـان وهـو حجـابهـا ... وقـد لـزمت للكهف اهـل التقيـة

3 وصار ظهور الرسل في رأس حـدها ... بـأول سـتر النفس في كـل ظلمـة

4 ولمـا تـبـدى آدم بـصـفـاتهـا ... تـكمـل في مـعـنـاه حـد الـنـبـوة

5 وكان بديع العصر في الكشف قـائما ... فـلما انـقـضـى الميـعـاد وفى الارادة

6 وحمـل ذاك الشخص منـه امـانـة ... مـقـلدة في ولـده مـسـتـقـرة

7 فقـام بهـا هـابيـل عنـد تمـامـه ... وكـان لـه قـابيـل ضـدًّا وآفـة[789]

8 وكـان أسـاس الـدين شيثٌ بـدوره ... فـريـد أقـام الـدعـوة الأشـرفيـة[790]

9 وقامت حدود الـدين تُدعى لـطوعه ... وعـرفـانـه في مـقـتـضـى الأولـيـة

10 الى ان أتى نـوح بـوقـت وفـتـرة ... تبـدت بهـا في آخـر الأمـر شـدة[791]

11 فحـان من المـولى ظهـور بنـاطق ... يغـير ذاك الـرسم في كـل حـالـة

12 وقـد قـام نـوح والالٰـه ممـده ... وبـاعثـه بـالحكمـة المجـتبيـة[792]

13 فـرتب نـامـوس الشـريعـة معلنـا ... بـايضـاحهـا عن عـزم تلك الحقيقـة

14 وقـد قـام سـام بـالحقيقـة واعتـلى ... بعـزة رب العـرش ظهـر السفينـة

15 ومـا زال نور الحق بـالحجب سـائـرا ... تنقـل في اشخـاص اهـل الـولايـة

16 وجـاء خليـل الله مـظهـر حكمـة ... إلٰهـيـة مـن ذلـك الـرب لاحـت

---

791) Rime en atû.

792) المجتبية fausse le mètre ou suppose un shadda sur le yâ.

17 فقام برأس الدور يروي عجائبا ‏ بمعجـزة قد اخمـدت كل بـدعـة

18 الى ان أتاه الأمر بالوحي قائلا ‏ ان اذبح لاسماعيل عند النهاية

19 فطاع لأمر الله فيما قضى به ‏ امـورا من الرحمن للخلق رحمـة[793]

20 وافداه بالكبش الذي قد أقامه ‏ اليه من الرحمان جبريل عزة[793]

21 وجاء كليم الله موسى بعزمه ‏ يصاحبه العبد الصبور بقوة

22 وكان له هارون خلا معاونا ‏ أشاد قوى أركان دين الحقيقة

23 وقد بلغ المقصود حتى تكاملت ‏ بصورته النفس التي قد تجلت

24 وناجاه ذي (sic) الملكوت بالطور عنوة ‏ وخاطبه لطفا بأوضح لهجة

25 ولما تجلى ذو العلاء بنوره ‏ الى جبل التوحيد خلاه دكة[794]

26 وقد خرَّ موسى صاعقا نحو حده ‏ واعلن تسبيح العظيم الجلالة

27 وجاء يسوع بالرسالة معلنا ‏ فقال له الرحمن انت خليفتي

28 وكان بلا أب صحيح وأمه ‏ هي الابنة العذراء بنت الحقيقة

29 تولد منها روح قدس ومظهر ‏ به ظهر الرحمن بين الخليقة

30 حجاب لتأنيس الوجود مكمل ‏ بمعنى لطيف بالعناية جلت

31 أقام له شمعون حدا مؤيدا ‏ من النفس بالاشراق[795] من فيض حضرة

32 ومن بعد قد شاد التلاميذ دعوة ‏ وسارت بعصرٍ بعد عصرٍ وفترة

33 وما زال نور الحق بالحجب باديا ‏ الى ان أراد الله اظهار رحمة

34 فعمران بالتحقيق والنور ظاهرا ‏ محقا وعبدالله نال الوديعة[796]

35 وهذا زمان فيه مظهر صورة ‏ مكملة نورية احمدية

36 ببحث[797] وتبيان وعزم مجرد ‏ لمعرفة الرب العظيم المهابة

---

796) Rime en ة.

797) Le texte de Tam donne يبحث que je corrige ainsi.

37 ولـمـا تـرقـى بـالحـدود بعـزمـه — من العقـل بالادراك حـاز الفضيلة[798]

38 وكـان لـه التنـزيـل اوضـح حجـة — عـلى الخلق والتـأويـل سـرّ الامـانـة

39 واحمـد بـالتحـقيـق قـام بـدوره — واظهـر لـلاسـلام حكم الشـريعـة

40 وكـان لـه حـدا عليـا مؤيـدا[799] (sic) — بجـوهر قـدس الذات عـرفا وعـزة[800]

41 مقيم حقـوق الدين في فيض عـزمه — بـديـع جمـال من مـواهب هـيبـة

42 جمـال جـلال واحـد خـير الـورى — وحـدا أتى بـالـفـيض اول مـرة

43 هـو الفـرد لم يـدرك بكيف وكثـرة — ولم يحتـويـه[801] العقـل في كـل سـاعـة

44 غـوامض اسـرار ببـاطن حكمـة — إلٰهـيـة بـالـكـون لاحـت بـحـلة

45 امام الهدى تاج الولا فخـر من علا — الى وحـدة التصـديق في خـير حضـرة

46 هـو المظهـر الأسنى على كـل كـائن — هـو العلة المعـروفـة المستقيمـة[802]

47 اليـه أشـار العـارفـون بـفضـلـه — بـأن لا سـواه في العـوالم قـدوة[802]

1 وآخـر يلهـو بـالـرذائـل والخنـا — عليـه من الـرحمٰن خـزي ولعنـة[803]

2 أمـولاي قـد آن الأوان فمـدنـا — بنـظرة عـطف مـع قبـول ورحمـة

3 فهـا انا في امـواج بحرك سـابحـا — لأرسي عـلى الشـطئان او بجـزيـرة

4 فـان سـلمت نـفسـي فلله درهـا — والا فـقـد وفـت لـكـم ان تـوفـت

---

800) Rime en atâ.

801) Il faudrait يحتوه ; mais le mètre serait faussé.

802) Rime en atû.

803) Rime en atû.

1 خليلي اقبل للمناهل انها ... هي البارد السلسال تروي لغلة

2 ومن مائها عبٌّ الرحيق فانه ... هو المسك بالتحقيق يأتي بنفحة

3 له معدن من جوهر حير الورى ... له مركز يحويه في كل دورة

4 اذا ما تدانى نحو عالم قدسه ... تلوح به من قوة الجود نفخة[8][13]

5 ترى الكون مجموعا لعظمة شأنه ... حجابا تراءى كل يوم بحلة

6 هو الجوهر الحد الجليل وبرزخ ... بمفرق أمر بين بحرين وقفة[8][14]

7 ترى الكل في التحقيق في لب باطن ... يلوح بشكل لامح مثل لمعة

8 هو الذات والرب العلي بذاته ... وسر وجود النفس منه تبدت

9 هو العقل والمقصود عين وجوده ... ومنه بدت حسنا بأكمل صورة

10 تمر نفوس الإنس والجن نحوه ... لنيل المعالي والعلى والعناية

11 فيا رب انظرني بنظرة مشفق ... وقرب خطى نفسي إليك بخطوة

12 فاني انا العبد المقر بذلتي ... وانت الذي أرجو بجودك منحة[8][15]

13 على الحاضر الموجود ألف تحية ... من الجود في كل الوجود تجلت

رسالة اسماعيلية واحدة

القصيدة الصورية

تأليف

الداعي الإسماعيلي الأجل

محمد بن علي بن حسن الصوري

تحقيق وتقديم

عارف تامر

الاهداء

الى

العلّامة المستشرق « البروفسور » لويس ماسينيون ، تقديراً لجهوده العلميّة واعترافاً بفضله على الدراسات الأسماعيليّة التي املاها عليه الواقع .. والتجرد .. والحقيقة .. والتاريخ ..

« عارف تامر »

المقدمة

بقلم عارف تامر

الاسماعيلية

تعددت الأبحاث عن الإسماعيلية وعقائدها وتاريخها فملأت صفحات الكتب والمجلات، وتشعبت ثم توسعت حتى ضاقت بها المكتبات العامة وادارة الجامعات، وبالرغم من كل هذا فقد ظلّ امر البحث عن الإسماعيلية والكشف عن فلسفتها وتعاليمها ورموزها من اهم الأمور الواجبة على كل باحث يهدف الى خدمة العلم ويسعى لإيصال الطالب المستفيد الى المعرفة المنشودة والحقيقة المطلوبة هذا ما دام ان اكثر البحوث العلمية الرامية الى تعريف هذه الإسماعيلية لمّا تفي بالحاجة المطلوبة او تزيل البلبلة الفكرية التي ربما كانت مستوحاة من وحي عصبية القرون السالفة التي قلّما يتحرّى فيها جانب الحق .

هذه كلمة وجيزة اعلنها بصراحتي المعهودة مدفوعاً بالإخلاص للفكرة التي أعمل لأجلها ، وأضحي في سبيلها ، وللرسالة او العقيدة التي ادين الى الله تعالى بها ،

متخذها مناسبة سعيدة لأتوجه بالقول الى «البعض» ممن ادعوا او يدعون معرفة تفاصيل ورموز هذه العقائد ، بأن يقللوا من ادعاآتهم ، ويخففوا من غلوائهم ، ويدعوا امر البحث عن هذه العقائد لرجال الدعوة الأسماعيلية المختصين وحدهم الذين لهم القدرة التامة على الكتابة عنها وتعريفها وتفهيم نصوصها واحكامها وتأويلها كاملة صحيحة ، فكثيراً ما يكون صاحب البيت ادرى بالذي فيه ، مضافاً الى ذلك ان العقائد الإسماعيلية كما سبق لنا وأعلنا هي ذات تعاليم واسعة يحتاج طالب الوصول الى معرفتها لأوقات طويلة يقضيها بالتنقيب المتواصل والدراسة المستمرة ، فالإسماعيلية كما هو جلي وواضح فكرة فلسفية سامية ورسالة تعليمية مثلى ذات برامج واحكام واصول وفروع ليس استيعابها من السهولة بالقدر الذي يتصورونه ، كما انها لم تكن يوماً من الأيام مشاعاً بين عامة الناس .

لمحة ادبية عن العصر الفاطمي

ازدهر الأدب في العصر الفاطمي ازدهاراً قلما وصل اليه في عصر من العصور ، فبرز الى ميدان العلم والأدب افذاذ من العلماء والحكماء والأدباء فصالوا وجالوا وخدموا العلم خدمات جلّى سيبقى اثرها خالداً مدى الزمن ، وقدموا للمكتبة الإسلامية العامة اقوم المؤلفات وأندرها وأعمها علماً وفلسفة ومدنية ، وجادت قرائح الشعراء بالشعر العربي الفاطمي الذي كان في ذلك العصر وسيلة من وسائل الدعاية الدينية وداعياً للتعبير عن التعاليم الفلسفية ، وغير خاف اننا كنا قد ذكرنا ببحوثنا السابقة مقدرة الفاطميين في الدعاية واعتمادهم على العلم والثقافة لنشر آرائهم وآثارهم وتعاليمهم ، واذا كان العهد الفاطمي المعني بالبحث قد امتاز بالتفوق في ميدان المدنية والحضارة والثقافة ، فعهد الإمام المعز لدين الله يعتبر متفوقاً ومتقدماً وسابقاً بالرقي والإزدهار . لأنه كان حافلاً بمظاهر القوة والعظمة الى جانب النواحي الأدبية المذكورة ، وقد استطاع هذا الخليفة العظيم بما اوتيه من ثقافة ورجاحة فكر من نشر الدعوة الإسماعيلية والتعاليم الفاطمية في كافة الأقطار التي تشكل بمجموعها العالم الإسلامي ، فأنفذ دعاته الى الجهات

وزوّدهم بمنشوراته ومحاضراته وكتبه وتعاليمه فعمّموها في كل مكان وبثّوها بين طبقات العامة والكافة على السواء ، وهذا دليل قاطع على انه لم تكن لتلهيه امور الخلافة عن التأليف والنشر والنظر في مختلف العلوم الدينيّة ومحاضرة العلماء والنحاة والفقهاء ومناقشتهم بمختلف الموضوعات ممّا يعطي البرهان على مقدرته وتفوقه في كل علم وخاصةً بالفلسفة والحديث والتأويل الباطني ولقد ذكر القاضي النعمان بن محمد بن حيّون المغربي التميمي قاضي قضاة مصر الفاطمية ذلك بقوله :

[ان المعز لدين الله قد نظر في كل فن وبرع في كل علم ، وان تكلم في كل فن منها اربى على المتكلمين وكان فيها نسيج وحده في العالمين ، امّا علم الباطن ووجوهه فهو بحره الذي لا تخاض لجته ولا يدرك آخره ، امّا القول في التوحيد وتثبيت الدين والرد على الفرق وأصحاب البدع والملحدين فهو واحده وعلمه ومناره وعمدته ، وامّا الفقه والحلال والحرام ومسائل الإفتاء والإحكام فذلك مجاله وميدانه وصنعته وديوانه ، وامّا الطب والهندسة وعلم النجوم والفلسفة فأهل النفاذ في كل فن من ذلك عيال في يديه يخترع في كل يوم لهم الصنائع ويبدع لهم فيه البدائع من دقائق معانيه وما تحار فيه(١)].

وكان الإمام المعز لدين الله مشغوفاً بكتب الباطن خاصةً حتى كان يجد في ذلك لذة وفخراً يصغر امامها جاه الخلافة فانظر اليه وهو يقول :

[اني لأجد من اللذة والراحة والمسرة في النظر وفي الحكمة ما لو وجده اهل الدنيا لأطرحوها لها ، ولو لا ما اوجب الله سبحانه عليّ من امور الدنيا لأهلها ، وإقامة ظاهرها ومصالحهم فيها لرفضتها بالتلذذ بالحكمة والنظر فيها(٢)].

ولم يقف نشاط الإمام المعز لدين الله عند حد نشر الثقافة العامة وحدها بل تجاوزه الى نشر مبادىء المذهب الإسماعيلي فوضع نظاماً دقيقاً لتمثيل هذه المبادىء

(١) المجالس والمسايرات جزء١ صحيفة ١٩٩ القاضي النعمان .
(٢) المجالس والمسايرات جزء ١ صحيفة ٩٣ القاضي النعمان.

في عقول الإسماعيليين او المؤمنين كما كان يطلق عليهم ، ولم يدخر وسعاً في سبيل نشر العقائد الإسماعيلية بين اشياعه بواسطة قاضي قضاته النعمان بن محمد الذي كان ينتهز فرصة اجتماع هؤلاء بعد صلاة الجمعة وصلاة العيدين في مسجد المنصورية فيقرأ عليهم المنشورات والمحاضرات المليئة بالحكمة والوصايا والمواعظ وعلم الحقائق ، مضافاً الى كل ذلك ان الإمام المعز لدين الله كان يؤلف الرسائل والمحاضرات ويبعث بها الى النعمان فيلقيها على الناس دون زيادة او نقصان ، وكان من اثر ذلك ان كثر المستجيبون وعظمت رغباتهم واقبلوا من كل افق يقطعون البحار والقفار لنيل رحمته[1] .

هذا وقد ذكر الإمام المعز لدين الله نفسه ان اباه الإمام المنصور كان يشرح له بعض الكتب الباطنية الرمزيّة الخاصة بشرح معاني الحروف الأبجدية والكتب التي ورثها عن الإمام «المهدي» وان اباه المنصور كان يهتم بتدريس هذه الكتب اهتماماً بالغاً حتى انه كان يقول له : [كنت احب ان اعيش لك اكثر ممّا عشت لأفيدك وأزيدك] وضرب المعز لدين الله نفسه بسهم وافر في شرح هذه الكتب[2] .

ثم من المشهور ان الإمام المعز لدين الله قد احضر معه الى مصر كل شيء يمت الى الدعوة والمذهب بسبب وخاصةً تلك الكتب التي تتناول اصول المذهب الإسماعيلي ، وهذا ممّا يدل على ان الخلفاء الفاطميين عامة كانوا يعنون عناية بالغة بالكتب الباطنية التأويلية ، حتى ان الإمام «المهدي» حين استرد الإمام «القائم» بعض كتبه التي كانت قد سرقت منه وهو في طريقه من « سلمية » الى المغرب قرب «الرملة» قال :

« ان غزوة الإمام القائم على مصر سنة ٣٠٠ الى ٣٠١ هـ. لو لم تتمخض الآ عن استرداد هذه الكتب لعدّ ذلك نجاحاً كبيراً ، وصفوة القول ان الأئمة الفاطميين جميعهم اشتهروا بتفوقهم العلمي والثقافي ولكن الإمام المعز لدين الله كما قلنا كان

(١) المجالس والمسايرات جزء ٢ صحيفة ٦٣٢ القاضي النعمان .
(٢) المجالس والمسايرات جزء ١ صحيفة ١٦٩ القاضي النعمان .

مبرّزاً بينهم ويعدُ من افذاذ عصره في العلم والتصنيف فهو الذي دعـــا الى تلك الحركة العلمية المباركة حتى نسب اليه تأليف كثير من الكتب مثل كتاب «الروضة» الذي يتناول الكلام على بعض النواحي الفقهية ، والرسالة « المسيحيـّة » والرسالة «الممتـّعة» التي بعث بها الى الحسن الأعصم «القرمطي» وما كتبه في «المناجاة» التي يشير اليها كتاب «عقيدة الإسماعيلية» الذي نشره Stanislas Guyard [١] .

وبهذا نرى ان الأئمـــة الفاطميين قد ساهموا مساهمه ً فعـّالة في ترويج سوق الأدب ونشر العلوم حتى كان القاضي النعمان بن محمد وهو اعظم فقيه انتجه الشرق يقف من الإمام المعز لدين الله موقف التلميذ من الأستاذ وسنرى ان المعز لدين الله يحث هذا المشترع الإسماعيلي على تأليف كتابه القيـّم « دعائم الإسلام » كما سنرى انـــه هو الذي اصّل اصوله وفرّع فروعه واخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من ابائه [٢] .

ولم يقف ترويج العلوم والآداب ونشرها في العصر الفاطمي عند هذا الحد ، فقد فتح الفاطميون ابواب قصورهم ومكتباتهم للعلماء والطلاب والمشائخ وأباحوا لهم جميعاً الإطلاع على الكتب المختلفة و دراستها وانتساخها والتعلم منها والتفقه فيها . كما اباحوا لكافة الناس سماع محاضرات كبار العلماء .

هذا ومهما يكن من شيء فأن الحياة الأدبية في عهد الأئمة الفاطميين وصلت الى الذروة رقياً وسمواً ، فصار من الواجب على كل مسلم ان يعتز بها ويفاخر بالثروة الفكرية وبالآثار الأدبية التي خلـّفها لنا هؤلاء الأئمة فهي ولا شك تنطق بكل خير وفن وجمال ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فقـــد كان بين هؤلاء الخلفاء من ينشد الشعر ويتذوقه ومنهم الإمام المنصور الذي تنسب اليه هذه الأبيات :

تبدلت بعــــد الزعفران وطيبه صدا الدرع من مستحكمات السوامر
الم ترني بعت المقامة بالسرى ولين الحشايا بالخيول الضوامر

(١) Ivanow — A guide to ismaili literature.

(٢) Fyzée — Cadi An-Numan [J.R.A.S. 1934-P. 22].

وفتيان صدقٍ لا ضغائن بينهم يثورون ثورات الأسود الخوادر
اروني فتى يغني غنائي ومشهدي اذا رهج الوادي لوقع الحوافر
انا الطاهر المنصور من نسل احمدٍ بسيفي اقدّ الهام تحت المغافر[1]

ومن شعر الإمام المنصور يخاطب فيه ابنه الإمام المعز لدين الله :

كتابي اليك من اقصى الغروب وشوقي شديد عريض طويل
اجوب القفار وأطوي الرمال وأحمل نفسي على كل هول
اريد بذاك رضاء الإله واعزاز دولة آل الرسول
الى ان يرى السير اجسامنا وكلّ الركاب وتاه الدليل
فواغربتاه ووا وحشتاه وفي الله هذا القليل قليل
وما ضقت ذرعاً ولكنني نهضت بقلبٍ صبور حمول
وقد منّ ذو العرش من فضله بفتح مبين وعزٍّ جليل
وفي كل يوم من الله لي عطاء جديد وصنع جميل
فلله حمد على ما قضى وحسبيَ ربي ونعم الوكيل[2]

ويذكر ابن خلكان ان الإمام المعز لدين الله كان اديباً شاعراً وتنسب اليه هذه الأبيات :

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر
امضى واقضى في النفوس من الخناجر في الحناجر
ولقد تعبت ببينكم تعب المهاجر في الهواجر[3]

وكذلك ينسب الى الإمام المعز لدين الله هذين البيتين :

اطلع الحسن من جبينك شمساً فوق وردٍ في وجنتيك اطلاّ
وكأن الجمال خاف على الورد جفافاً فمدّ بالشعر ظلاّ[4]

(١) سيرة الأستاذ جوذر .
(٢) سيرة الأستاذ جوذر .
(٣) ابن خلكان جزء ٢ صحيفة ١٠٣ .
(٤) ابن خلكان جزء ٢ صفحة ١٠٣ .

ومن اشعار الإمام المعز لدين الله ايضاً :

ما بان عذري فيه حتى عذرا وبدا البنفسج فوق ورد احمرا
همّت بقبلته عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجرا[١]

من هذا يتبيّن ان الإمام المعز لدين الله الفاطمي كان ينشد الشعر ويعرف به وكذلك ابنه الإمـــام العزيز وابنه الأمير تميم ، ويقول ابو المحاسن عن الإمام العزيز ما يلي :

«كانت لديه فضيلة وله شعر جيّد»[٢] .

وروى الثعالبي في يتيمته قول الإمام العزيز عندما وافق بعض الأعياد وفاة والده :

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنـــام محنتنا اولنا مبتلى وخاتمنـــا
يفرح هذا الورى بعيدهم طرّاً وأعيادنـــا مآتمنا

ومن اشعار الإمام العزيز بالله الفاطمي ايضاً :

ولمّا رأيت الدين رثّت حباله وأصبح محموم الضيا والمعالم
وأصبحت الأغنام من كل امةٍ تسوم عباد الله خزم المخاطم
وتحكم في اموالها ودمائها بغير كتاب الله عند التحاكم
غضبت لدين الله غضبة ثائرٍ غيور عليها مانع للمحارم
وسيّرت نحو الشرق بحر كتائب تموج بأبطالٍ رجالٍ قماقم
يقودون جرد الخيل تخطر بالقنا وبالمشرفيّات الرقاق الصوارم
لي الشرف العالي الذي خضعت له رقاب بني حوّاء من كل عالم
بنا فتحت ابواب كل هدايةٍ ومنّا بحمد الله (خير الخواتم)[٣]

---

(١) تاريخ ابن اياس جزء١٠ ص٤٨ .
(٢) تاريخ ابن اياس جزء ١ صحيفة ٤٨ .
(٣) مجموعة اشعار الإسماعيلية صفحة١٦٣ .

وكان الإمام الحاكم بأمر الله شاعراً ايضاً وينسب اليه صاحب النجوم الزاهرة هذين البيتين :

دع اللوم عني لست مني بموثق فلا بد لي من صدمة المتحنق
واسقي جيادي من فرات ودجلة واجمع شمل الدين بعد التفرق[1]

ومن اشعار الإمام الحاكم بأمر الله ايضاً :

اصبحت لا ارجو ولا اتقي الا الهي وله الفضل
جدي نبي وأمامي ابي وقولي التوحيد والعدل[2]

ومن اشعار الإمام الحاكم بأمر الله بالفخر :

انا ابن عزيز الدين وابن معزه ومنصوره والقائم الطهر والمجد
انا ابن رسول الله وابن وصيه وزمزم والبيت الذي حف بالرفد
انا حاكم الله العظيم بأمره انا ابن فروع المجد والسادة النجد

وتكاد تجمع المصادر التاريخية الأدبية على ان الإمام المستنصر بالله الفاطمي كان شاعراً مبدعاً واديباً متفوقاً ، وتجمع هذه المصادر ايضاً انه كان متمكناً من انشاد الشعر يرتجله في مناسبات شتى ، ومما يروى ان داعي الدعاة الأجل «المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي» بعد ان عاد سنة (٤٥٤ هـ) الى القاهرة حال الوزير «ابن المغربي» بينه وبين الإمام المستنصر بالله فكان يمنعه من الدخول عليه ، فأخذ «المويد في الدين» يرسل اليه الكتب والرسائل وينشد فيه حتى بلغه قوله :

اقسم لو انك توجتني بتاج كسرى ملك المشرق
ونلتني كل امور الورى من قد مضى منهم ومن قد بقي
وقلت ان لا نلتقي مرة اجبت يا مولاي ان نلتقي
لأن ابعادك لي ساعة شيب فودي مع المفرق

(١) النجوم الزاهرة جزء ١ صحيفة ١٩٦ .
(٢) الاشاره لأبن منجب الصيرفي صحيفة ٢٩ .

فأجاب الإمام المستنصر بالله عليها بخطه ارتجالاً :

يا حجةً مشهورةً في الورى	وطود علمٍ اعجز المرتقي
ما اغلقت دونك ابوابنـا	الا لأمرٍ مؤلمٍ مقلقِ
ولا طردناك ملالاً فثق	بعهدنا وارجع الى الأليقِ
شيعتنا قد عدموا رشدهم	في الغرب يا صاح وفي المشرقِ
فانشر لهم ما شئت من علمنا	وكن لهم كالوالد المشفقِ
ان كنت في دعوتنا آخر	فقد تجاوزت مدى السبّقِ
مثلك لا يوجد فيمن مضى	من سائر الناس ومن قد بقي(١)

واخيراً فقد اصبح من الواجب علينا بعد ما اوردناه في هذه اللمحة الوجيزة القول بأن العهد الفاطمي كان عهداً زاهراً رفعت فيه منارة الأدب عالياً في السماء ، ومتى عرفنا ان قواده وخلفاءه وأئمته هم انفسهم كانوا حملة مشعال هذا الأدب ادركنا فضلهم على العلم ودعوتهم له وحضّهم على السير في ركابه وهـا ان آ ثار الفاطميين العلمية وتراثهم الأدبي لا يزال ينطق بهذه الحقائق البائنة ويعبّر عن ذلك العصر بأدق انواع التعبير ، وقد روي تثبيتاً لهذا القول انه وجدت في القصر الشرقي بالإسكندرية مكتبة تضم الف مجلد ومليونين ، ولقد تنافس سكان القصور في اقتناء الكتب النادرة فكان في كل قصر مكتبة تحتوي على عشرات الألوف من كتب الفقه والأدب والحكمة والرياضة والطب والهندسة وسائر العلوم الأخرى هذا ولقد كان الشاعر «عمّارة» اليمني صادقاً بتعبيره عندما بكى هذه الدولة العظيمة بقوله :

لهفي ولهف بني الآمال قاطبةً	على فجيعتها في اكرم الدولِ
مررت بالقصر والأركان خالية	من المكارم ما أربى على الأملِ
فملتُ عنها بوجهي خوف منتقدٍ	من الأعادي ووجه الود لم يملِ
ابكي على ما تراءت من مكارمكم	حال الزمان عليها وهي لم تحلِ

(١) ديوان المؤيد في الدين تحقيق الدكتور محمد كامل حسين.

دار الضيافة كانت انس وافدكم	واليوم اوحش من رسمٍ ومن طللِ
وفطرة الصوم اذ اضحت مكارمكم	تشكو من الدهر حيفاً غير محتملِ
وكسوة الناس في الفصلين قد درست	ورثّ منها جديد عندهم وبلي
وأول العام والعيدين كم لكم	فيهن من وبل جودٍ ليس بالوشلِ
والارض تهتز في يوم الغدير كما	يهتزُّ ما بين قصريكم من الاسلِ
والخيل تعرض في وشي وفي شيةٍ	مثل العرائس في حلٍ وفي حللِ [1]

القصيدة «الصورية»

تعتبر القصيدة التي نقدمهـا الآن لتوضع موضع التداول بين ايـدي جمهور الباحثين بالدراسات الشرقية والمهتمين بالبحوث الفلسفية الإسلامية ، من أقدم المصادر عن الإسماعيلية ومن أهم الرسائل التي تنطق بالحقائق وتمثل العقائد اصدق تمثيل ؛ ومن احسن المراجع في تاريخ قصص الأنبياء وعدد الأئمة المنحدرين من الإمام علي بن أبي طالب حتى الإمام المستنصر بالله الفاطمي ، وهي من القصائد التي زخرت بهم مكتبة المخطوطات الإسماعيلية السورية فكانت من « الأراجيز » الرائعة او بالأحرى من الرسائل الممتعة التي تشكل عنصراً هاماً في العقائد الباطنية ومرجعاً قيّما يرجع اليه عند اختلاف وجهات النظر ، ولذلك فقد كانت تتناقلها الدعاة ويحافظون على سريتها وعدم تسربها ، وليس بالغريب اذا قلت ان اكثرهم كان يحفظها غيباً بالنظر لإعتمادهم على بيانها الرائع وأصولها وفروعها ومتانة اسلوبها وترتيبها . مؤلف القصيدة الصورية هو الداعي الأجل الشيخ « محمد بن عـلي بن حسن » «الصوري» الذي جاء عنه بالمصادر الإسماعيلية ما يلي :

« هو « محمد بن علي بن حسن »« الصوري » . مسقط رأسه مدينة «صور». عاش ردحاً من الزمن في مدينة « طرابلس » داعياً للفاطميين . هبط القاهرة بعهد

---

(١) خطط المقريزي صفحة ٣٩٢

الإمـــام المستنصر بالله الفاطمي ، صنَّف قصائد كثيرة ورسائل عديدة اشهرهم « التحفة الزاهرة » و« نفحات الأئمة » . مـــات على الأرجح في حصون الدعوة الإسماعيلية السورية بجبال « السمّاق » بعد انتقال الإمام المستنصر بالله[1] .

تحقيق القصيدة

اجتمعت لديّ نسخ عديدة من القصيدة «الصورية» وبعد دراسات ومقابلات وجدت ان النسخة القديمة التي امتلكها هي اقل خطأ وأجمل خطاً وأتقن ترتيباً وأكثر تنقيحاً ولذلك جعلت اعتمادي عليها وعملت ما امكنني للتصليح وتجنب الأغـــلاط النحوية والإملائية وضبط القوافي والموازين الشعرية ، وهذه النسخة من مخطوطات الإسماعيلية في «القدموس» وهي بخط المرحوم (الشيخ محمود بن علي بن سليمان بن حيدر بن محمد بن يونس بن مؤمن سنة ١٢٤٦ هـ .

تحليل وتعريف

شاعت صناعة الأراجيز في العهود الفـــاطمية واستعملت للدعاية وللتعبير عن المواضيع الفلسفية والتعاليم العقائدية ، وقد نظم على هذا الوزن شعراء كثيرون ودعاة اجلاء عرف منهم القاضي النعمان بن محمد بن حيون وقد ذكر انه نظم قصيدتين في هذا الفن هنّ « ذات المنن » و« ذات المحن » كما ان داعي الدعاة الأجل هبة الله الشيرازي [المؤيد في الدين] نظم قصيدتين على هذا الوزن مطلع الأولى :

حمداً لربٍّ قاهر السلطان   فردٍ مليكٍ باهر البرهانِ
اتقن كل صنعةٍ واحكما   من ذا يرد ما به قد حكما

والثانية :

بديعُ شكرٍ ووسيع حمدِ   لمبدعِ الكاف الرفيع المجدِ
اكمله سبحانه اذ ابدعه   مبتدئاً واخترع النون معه

(١) «فصول وأخبار» مخطوط اسماعيلي بمكتبتي الخاصة صفحة ١١٧ .

امّا قصيدة « سمط الحقائق » الإسماعيلية للداعي علي بن حنظلة بن ابي سالم الوداعي فهي من الأراجيز الـــتي طبعت في « بيروت » باعتناء المعهد الإفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، تحقيق الاستاذ « عباس العزاوي » وبالرغم من انها جاءت زاخرة بتعابير عديدة من علوم الحقائق الإسماعيليـــة فأن مولفها الداعي الإسماعيلي الطيبي علي بن حنظلة لم يكن ذو ثقافة دينية ومعرفة علميّة فلسفية تمكنه من الإجادة والتعبير واصابة المرمى «كالصوري» هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كان مقلّداً فلم ينسّق الحقائق ولم يرتّب المراتب حسب اصولها الإسماعيلية وهذا ممّا يجعلنا نشكّ ونحكم بأن مؤلف القصيدة كانت ثقافته الدينية محدودة او ان القصيدة لعبت بها ايدي النسّاخ فحذفت منها وقدّمت وأخّرت وبعّدت وشوّهت ، واننا والقصيدة على وضعها الحالي لا يمكننا ان نقارنها بالصورية او نضعها على صعيد معها ، وعلى كل حال او مهما يكن من شيء فنترك ذلك لرأي القراء المهتمين وللباحثين فهم وحدهم سيحكمون على الأمور بمنظار العقل ، ويميّزون بين الأشياء الدقيقة ، اقول ذلك لأنتقل للقصيدة الصورية نفسها فأقول : بأنها جاءت تحفة نادرة ذات ترتيب بديع لا يختلف عن ترتيب الدعاة الإسماعيليين الكبار ، ففيها الإفتتاحية بالحمد والثناء ثم التجريد والتنزيه والتوحيد ثم التفريق بين الأحد والواحد وحدوث العالم والدهر والرد على الثنوية والثالوثية ونكران حججهم وبعد ذلك ينتقل الصوري فيعدد لنا مراتب الحدود العلوية واسمائها وأفعالها وتأثيراتها ، فأولها الأمر المطلق الذي هو فوق العقل ثم العقل او السابق والنفس الكليّة او التالي ، والحدود العلويّة التي تليها والعرش والكرسي والهيولى والطبيعة ثم الفلك والكواكب والبروج والإستقصّات والمعادن والنبات والحيوان والإنسان ، ثم نراه يهبط الى العالم السفلي فيذكر لنا الإبتداء والمعاد وعهد آدم ويخلص الى محمد آخر الأنبياء النطقاء ثم ينتهي بتعداد الأئمة الأطهار والإستغفار والحمد والثناء ، هذا وقد زخرت القصيدة بتعابير اسماعيلية صميمة وكان فيها الرد المفعم على الذين يزعمون ان الاسماعيليين يعتقدون بمبدأ الحلول incarnation والتناسخ metempsychosis اما التأويل interpretation وكافة

العلوم السرّية الإسماعيلية التي لا يعرفها الا الخواص من العلماء والدعاة الذين اوتوا بنصيب وافرٍ من العلوم الفلسفية والعقائدية فقد تأيَّدت فيها .

اجل... تكلم الصوري بقصيدته عن التجريد والتنزيه والتوحيد فقال ان الله او الأحد من وراء الوجود ومن وراء الصفات ، فهو لا يعرف ولا يوصف ولا يوجد في مكان ولا يخلو منه مكان ، فكماله نفي النقص عنه وهيهات ان يفهم باثبات صفة من الصفات لأنه لا يمكن ان تثبت كونيته او كيفيته ، والأحد هو الحد الذي فوق العقل الفعّال وهو لا يشغل بغير ذاته لأنه مستغنٍ بذاته كل الإستغناء فهو احد مثله وان كان دونه في مرتبة الوحدانية ثم يعقل ذاته فينشأ من عقله لذاته عقل دونه وهو النفس او التالي صاحب المرتبة الثالثة في الوجود ، فهو باتجاهه الى العقل ينسجم معه في مقام التجريد والتنزيه والتوحيد ويتجه الى الهيولى فيبتعد عن التجريد والتنزيه والتوحيد ويخلق الأجسام ويضفي عليها الصور على سبيل التذكرة ، من هذه الجهة تكاد تكون القصيدة « الصورية » فريدة من نوعها في الشعر العربي كله لأنها جاءت معبّرة عن فكرة فلسفية عميقة ، وتأثرت بمصطلحات فلسفية لا يفهمها الا اسماعيلي صميم تعمّق في دراسة العقائد الباطنية الإسلامية ، فهنالك موضوع التجريد والتنزيه والتوحيد والعلة الأولى والأحد والواحد والعقل والنفس والحدود ومراتبها وقصص الأنبياء ، وان جميع هذه المراتب من ادق المواضيع عند الإسماعيلية ، ولقد عالجها جميع الدعاة وافردوا لها كتباً خاصةً وفصولاً في كل كتاب ، وانهم جميعهم كما قلنا اشاروا الى ان الله ابدع القلم واطلقوا عليه اسم السابق وجعلوا له الصفات التي وصف بها الفلاسفة العقل الكلي ، وأضافوا الصفات لأسماء الله الحسنى بعد ان جردوا الله تعالى ونزهوه ووحّدوه ، فالقلم او العقل او السابق اعلا الحدود الروحانية العلوية وأسبقهم بالوجود وأقربهم الى الله تعالى ويليه اللوح او النفس او التالي وهذا الحد هو صاحب الصفات التي للنفس الكليّة عند الفلاسفة ، ثم انهم جعلوا من العقل والنفس الكلمة التي قامت بها المخلوقات وهي كلمة «كن» ثم جعلوا بعد هذا ثلاثة حدود هم الجد والفتح والخيال ،

وهنا تظهر تعاليم الأفلاطونية التي تأثرت بها الإسماعيلية ثم نظرية الفيوضات عند افلوطين التي اخذها الإسماعيليون وبنوا عليها نظريتهم في الإبداع بعد ان صبغوها بالصبغة الإسلامية مع اختلاف يسير ظاهر ، وهو ان افلوطين جعل العقل هو الكلمة بينما جعل الإسماعيلية الكلمة هي العقل والنفس معاً وبناءً على ذلك قالت الفلسفة الأفلاطونية بوجود عالم المحسوس والمعقول وهي نظرية المثل والممثول التي تبناها الإسماعيليون وقالوا بوجود حدود تقابل ذلك ، فالنبي الناطق في عصره مثل العقل والوصي مثل النفس والدعاة على مراتبهم مثل الجد والفتح والخيال ، ومن اقوالهم المأثورة :

أصل معرفة الدين هي التوحيد ، اي النفي عن الله جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية من الأسماء والصفات والحدود ، وقد ذكر صاحب كتاب « كنز الولد » الداعي الإسماعيلي « ابراهيم بن الحسين الحامدي المتوفي سنة٥٥٧ هـ في اليمن ، ان توحيد الله معرفة اسمائه فمن عرفهم نجا ومن جهلهم ضلّ وغوى ، وصرّح المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ان التوحيد لا يثبت الآ بثبوت مرتبة الوصاية والأمامة ومعرفة مقامات الحدود الروحانية والجسمانية العلوية والسفلية وتنزيه الحق عن صفات هؤلاء الحدود ، امّا الإبداع فكما قال المؤيد في الدين :

العقل وجد عن الله سبحانه وتعالى ابداعاً[١] وقد ايّده في ذلك اخوان الصفاء وخلاّن الوفاء حينما قالوا : ان العقل اول موجود فاض من وجود الباري والنفس ترتّب بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى والجسم بعد الطبيعة[٢] وقال الداعي الإسماعيلي الأجل والفيلسوف الأكبر حجة العراقين «احمد حميد الدين الكرماني» : المبدع الأول هو الواحد الذي لا يتقدمه شيء ، ذلك بأنه الملك المقرّب الذي اخبرت عنه السنة الإلهية والشريعة النبوية بالقلم[٣] وكل هذا موافق لما قاله

(١) المجالس المؤيدية جزء١ صحيفة ١١٣ .
(٢) رسائل اخوان الصفاء جزء٣ صحيفة ٤ .
(٣) راحة العقل صحيفة ٢٨٢ .

صاحب كتاب الأنوار اللطيفة : ان الله تعالى ابدع عالم الإبداع المكنّى عنه بعالم الأمر وعالم القدس وعالم اللطافة والعالم الروحاني جميعاً دفعة واحدة من غير شيء تقدمهم ولا مع شيء صحبهم واخترعهم من عالم وجود ومن عدم غير موجود...

هذه هي التعابير الفلسفية التي زخرت فيها القصيدة الصورية لوّحنا اليهـا تلويحاً... ظلّت هنالك قصص الأنبياء وهذه القصص تكاد تكون غير مختلفة عن ما جاء بالكتاب الإسماعيلي المخطوط المسمّى [اساس التأويل] للقاضي النعمان بن محمد قاضي قضاة القطر المصري في عهد الفاطميين ، وهذا الكتاب سنعمل على تحقيقه ونشره في المستقبل القريب انشاء الله .

هذا ولا بد لي وأنا اقترب من نهاية كلمتي الوجيزة من ان اهدي اجزل الشكر وأعطره للقائمين على ادارة المعهد الإفرنسي الزاهر للدراسات العربية بدمشق ولحضرة مديره العلاّمة « البروفسور » « هنري لاوست » الذي يقوم بأعظم مجهود في سبيل العلم والثقافة ويعمل على نشر اكبر عدد من الكتب المفيدة خدمة للثقافة العربية وللدراسات الإسلامية الشرقية والله من وراء القصد .

سلميّة : سوريا : عارف تامر

القولُ في الحمدِ والاستفتاح

الحمد لله معلِّ العلل ... ومبدع العقل القديم الأزل
ابدعه بامره العظيم ... بلا مثالٍ كان في القديم
وصيَّر الأشياء في هويته ... مجموعة باسرها في قدرته
فهو لها اصل كريم يجمع ... فمنه تبدو واليه ترجع
سبحانه من ملكٍ ديّان ... العقل والنفس له عبدان
جلَّ عن الأدراك في الضمائرِ ... والوصف بالأعراض والجواهر
احمده حمد مقرّ مذعنِ ... بما به يذعن كل مؤمنِ
ومنه الزكاة والصلاة تغتدي ... على النبي المصطفى محمدِ
وصنوه الحائز فضل رتبة ... والعترة الهادين من ذريته
ابو مولانا امام عصرنا ... السيد «المنصور»[1] ولي امرنا
حائز انوار المقامات الأولى ... وكل ما خصَّ به من العلى

---

١) قصد به « الامام » المستنصر بالله الفاطمي ، واستعماله لفظة « المنصور » للضرورة الشعرية .

فنوره فـاق على الأنوار وعصره يعلو على الأعصار
ذاك « معد » عدتي وذخري اذا لقيت لله يوم حشري
يشهد لي اذ تنفع الشهادة اني على الطاعة والعبـادة
وانني ما حدت عن ولايته ولا اعتراني الشكُّ في امامته
لأنه الشاهـد في زمانه يكفر من عصاه في ايمانه
صلّى عليـه ربنا وسلّما ما لاح بدر في السما وانجما

القولُ في التوحيد

وسائل رأيته مجتهـدا ان يعبد الله وان يوحـدا
قلت له اني حريصٌ مثلكَ لا خاب سعي يا اخي وسعيك
والعلم بالتوحيد اسمى العلم فأصغ لما قد نال منه فهمي
فكلّما يجري على اللسانِ من سائر الأفكار والأديانِ
وسائر الأسماء والصفاتِ للمبدعِ الأول لا للذاتِ
وكلما تجـده العقول فهي على عاتقها دليلُ
لأنهـا اشارة ومنَّه بها علمنا واخـذنا عنّهُ
ولم يجـده أثرًا مؤثرا فكيف من اوجده وأظهرا
لكنما معترف بوحـدته وانه منزّهٌ عن صفتـه
وانه المعنى الذي لا يدرك فكيف من املكه وأملك
هل ابدع المبدع الا المبدع لأجل ذا قد قيل جلَّ المبدع
اشارة منًا الى التوحيـد وذاك منّـا غاية المجهودِ
لكنه لا بد ان اشرنا اليه بالتوحيد واعترفنـا

فما به من قولنا نعني العدم بأحسن الألفاظ من رب القدم
بأنــه بجوده موجود والعقل بالتحقيق ذاك الجود

القولُ في الفرق بينَ الواحِدِ وَالأحَدِ

وسائل يسأل هل هو واحد ام احد حتى يصحُّ الشاهد
قلنا له الواحد مبدا للعدد والأحد المبدي له الفرد الصمد
والأحد المبدع وهو الأزل والواحد المبدع وهو الأول
اول من قام بتوحيد الأحد ودلَّ بالعلم عليه من جحد
وصار للاعداد اصلًا صدرت عنه ومنه انبجست اذ ظهرت
لأنَّ لولا الواحـد المقدَّم ما كان للتالي محـلٌّ يعلم
وهكذا الأعداد في التطابق حتى تقوَّت قوة الخلائق
هذا على ذا ابدًا مركَّب وذاك بالسبق له مستوجب
فالعدد الشاهد بالتوحيد وهو لعمري اعدل الشهودِ
لأنه من واحدٍ مبداه دلَّ على وحـدة من براه

القولُ في حدوثِ العَالمِ وَالرّدعلى الدّهرية

وقائل قال وجدنا العالمـا كما ترَ العين مقيماً دائمًا
وكل شيء ابدًا من مثـله يبدو وينشا[1] شبهاً لأصله
فما الدليل عندكم في الحدث حتى يصحُّ قولكم في المحدثِ

---

١) اصلها ينشأ .

قلنا لــه إنّا وجدنا كلّما عاش على الأرضِ وغطّته السما
من حيوان ونبــاتٍ نامِ وغيره من سائر الأجسام
مفتقر الى مكان يحمله يكون فيه كونه ومأكله
والأرض قد صحّ بحكمِ العلمِ بأنهــا تحمل كل جسم
وكل جسمٍ قد نما من فوقها فخلقه احدث بعد خلقهــا
فالأرض بالشمس وبالأمطار تحيا بإذنِ الملــكِ القهّارِ
وكلما ليس عليــه يطلع شيئاً من الشمس فليس ينفع
لا من حيوانٍ ولا نبــاتِ حتى ولا يبقى على ثباتِ
ولا لهذا دون هذا فعــل منفصلًا يقضي بذاك العقلُ
كذ السماء ما عرفنا فضلها ولا الى الخيرِ نسينا فعلها
لو لم تكن في الأرض في قرارها تقبل ما تلقيه من آثارها
فلو رفضنا الأرض زال بعضها ولم يضرّ قطعها ومنعها
فصحّ في البرهان ما قصدنا وصفها في كل ما وصفنــا
فجلّ ربٌّ قادر سواهمــا بقدرة واحــدة انشاهما
وانــه بائنَ عن وصفهما لعظم ما اوجــد في جبهما
وانــه اعظم من كليهما جلّ فما في صنعةٍ يحكيهما
اذ لا ترى في سائر الصنائع ما يوجد المصنوع قبل الصانع
فلا ترَ النجّارُ شبه الباب كلّا ولا الحائك في الثيابِ
لكن ترَ الدار لبانيها غدت بالفضلِ في صنعته قد شهدت
هذا دليلٌ دامغ لا يقطع في حدث العالم ليس يدفع
الّا لمن جــادل وهو يعلم وقال ان الصبح ليل مظلمُ

القول في الثنوية

فقل لمن اضحى اليه تابعا ... في قوله الصنعة تحكي الصانعا
وهي كما تظهره ازواج ... لا شك في ذاك ولا احتجاج
يا جاهل الاثنين انهما ... عن رتبة الواحد قد تقدما
فرتبة الخامس قبل الرابع ... ورتبة العاشر قبل التاسع
فكيف بالواحد قد اخرته ... بعدهما في النظم اذ رتبته
وما نرى قبلك في الناس احد ... يقدم الاثنين في نظم العدد
بل قد ترى قد صحّ في الدلائلِ ... كرتبة الواحد فضل الفاضل
وما تغطّى الشمس في اليدين ... كيف يصحّ الفضل في اثنين
انظر فليس النور كالظلام ... فعلّا ولا الإيجاد كالإعدام
ايضاً وليس الخير مثل الشرِّ ... فعلّا وليس النفع مثل الضرِّ
الخير يبقى ويُحبُّ قائله ... والشرُّ يبقى ويُذمُّ فاعله
والخير منسوبٌ الى ربِّ البقا ... والنقص والذمُّ الى ربِّ الشقا
فإن تقل كانا جميعاً اولا ... واتفقا في كلّ ما قد فعلا
ليس لهذا دون هذا سرٌّ ... يخفى ولا يظهر عنه امرُ
ومن له مشاركاً يحجزه ... فعجزه قد صحّ لا معجزه
وانه ذاك لذا مضادِدٌ[1] ... مباين لفعله معاند
وكلما يصلح هذا يفسدُ ... وبالأرا[2] يطلبه ويرصدُ

---

١) في كافة النسخات وردت مضادِدُ .
٢) حذفت الهمزة للضرورة الشعرية وهي (وبالآراء) .

ومن غدا في مثل هذا يوصف ... فأنه مؤلـه مستضعف
وإنّما ذي العزة القدير ... من لا له شبـه ولا نظير
فأسمع فهذا القول فيه منفع ... لمن لـه قلب واذن تسمع

القول في الرد على الثالوثية

والرد في الثالوث مثل الرد في ... مقالة الإثنين عند المنصفِ
لكن نزيد القول في بيانه ... ليستقرَّ الحق في مكانـه
فقل لمن صيَّر شيئاً واحـدا ... ثلاثة لمن غدون عابدا
للأب ام للإبن ام روح القدس ... بيِّن لنا الحجة حتى نقتبس
ومن هو الفاضل منهم قل لنا ... لنجعل الفاضل منهم ربّنا
فإن تقل ما بينهم تفـاضلُ ... وهم لشيء واحدٍ يا جاهلُ
وصار ما صيَّرت وصفاً مختلف ... كواحدٍ جاء بمعنى من تلف
كقولنا الله القديم الـدائم ... الواحد الفرد الحكيم العالم

القول في أنّ الأمر فوق العقل

والأمر فوق العقل اذ منه ظهر ... بأمر باريه تعـالى ان امر
وقولنا الإبداع يعني انه ... فعلاً عن الأمر جهلنا كنهه
وهو اختراع فائض من مبدعه ... قد فاض بالأمر على مخترعه
وهو على التمثيل بالموضوع ... مـآثر الصانع بالمصنوع
فالأمر والإبداع والعقل وما ... ابدعه مبدعـه واحكما
فيضاً توّلى من مفيض القادر ... متصل ليس لـه من آخر

وليس بين الفيض والأنعام فرق سوى ماصحَّ في الأوهام
فإن هذا سابق في المرتبه كذاك ما قدَّره وأوجبه
فلا يقال للعلي العالي بأنه كان بلا فعالِ
ثم بدا الفعل فصار فاعلا قد ضلَّ من اضحى بهذا قائلا
لأنَّ من قال بهذا عاجز يجزه عمَّا يقول حاجز
او يرتقي في فعله بحذقه وكل هذا الوصف وصف خلقه
فجلَّ رب مبدع الأشياء في كل ما ابدع في الأرجاء
ففضله وجوده لا يجحد في كل ما اوجده ويوجد

القول في الفرق بين المبدع الأول والمخلوق

والفرق بين المبدع الجليل ورتبة المخلوق بالتفضيل
المبدع الأشيا[1] الذي اخترعه مبدعه اول شيء صنعه
ابدعه في أكمل الكمالِ من غير شيء لا ولا مثالِ
فهو شيء ليس شيء قبله اليه يعزى حيث كان اصله
فأول الأنوار نور العقل اذ نوره اصل لكل اصل
وكل شيء بعده مسبوق لأنه من نوره مخلوق
والعقل فهو الجوهر البسيط بكل شيء مدرك محيط
أكمل فاستغنى عن الزياده لكنه اهل للافاده
فلا يقال مبدع لغيره اذ كل خير فائض من خيره
لم يوصف الباري جلَّ ذاته بعاقلٍ والعقل من صفاته

١) اصلها الأشياء .

فلا يقال ذو الجلال عاقل — لكن يقال عالم وفاضل
قد جعل العقل محلّ علمه — فصيّر الأشياء تحت حكمه
فالعقل بالعلم يظلُّ ناميا — وهو اليه لا يزال واعيا
والعقل بالعلم الشريف يكتسب — وتدرك البيعة منه والطلب
نور على نور بلا اختلاف — وجوهر في جوهرٍ شفّاف
في كل عصرٍ فله ظهور — في سيد محله خطيرُ
حتى يكون عنده وسره — يحلُّ فيهِ نهيهُ وأمرهُ
به ومنه صحّت الشهاده — دائمة وصحت العباده
فلا خلا من مرسل زمان — ولو خلا ما عبد الرحمن
كالشمس تحي سائر الخلائقِ — بها على الدهر من المشارقِ
ولو اطالت عنهم غيبتها — ماتوا اذا ما عدموا رؤيتها
والسيد السابع منتهاهم — لكنه من كونه مبداهم
عادوا اليه واليه ارشدوا — فيهِ كما قال المسيح السيِّد
شمس الشموس كاشف الطموس — مجلي كسوف القمر المحبوسِ
طوبى لمن أيدهُ في نورهِ — وفاز بالطاعة في ظهوره
والعلم روح العقل وهو نفسه — والعقل روح النفس وهي قدسه

القول في التالي وهي النفس الكلية

والنفس من جوهره مخلوقه — سابقة للخلق بالحقيقه
وهو لها الممدُّ بالتأييدِ — كما تمدُّ سائر الحدود
وكلما احتاجت الى تأييده — جاد عليها منعماً في جودهِ

فلا زمانٌ فلكيٌّ يوصف اوقاته معروفة فتعرف
لأنها فاعلة الزمان والفلك الدوّار والمكان

القولُ في الدّهرِ وَهوَ الأبدُ وَالقضاء

والدهر فوق النفس وهو العقل وهو الذي يدخل فيه الكلّ
لا عدد يحصرهُ ولا مدد لأنه عند ذوي العلم الأبد
وهو القضا[1] اذ كل شيء بالقضا كان كما شاء تعالى وانقضى

القول في النفس وهي القدَر

والقدر النفس التي منها بدا ما قدّر العقل لها وأيدا
لأجل ذا قال النبي الكامل محمد الهادي الحكيم الفاضل
فررت من قضاء ربي الأعظم الى ظلال قدره المكرَّم
لأن نور العقل لا تقبله قوة مخلوق وليس تحمله
والنفس منها كانت النفوس فهي لها بأصلها تأنيس
والعقل مثل الشمس ذات النور والنفس مثل القمر المنير
والعين نور البدر لا يضرها والشمس يغشي كل نور نورها
كذاك موسى اولّا لمّا طلب بطرفه التأييد من اعلى سبب
قال له الحد الذي خاطبه اقصر عمّا انت جهلًا طالبه
فلو تجلّا العقل في انواره ما قرّ تاليه على قراره

١) اصلها القضاء.

لكن تجلّا نوره قليلا فكاد ذاك الحدّ ان يزولا
فخرَّ موسى صاعقاً لربه مستصرخاً مستغفرًا من ذنبه

القول في الحدود العلوية

والنفس لوح العقل والعقل القلم مسطّرًا ما فاض فيه من حكم
وهي سطور سبعة افضلها آخرها لأنه اولها
منه بدت ستتها مسطَّره ثم اليه عودها مصوَّره
لأنها جسم به تمامها وهو لها روح به قوامها

القول في العرش والكرسي

والعرش والكرسي ايضاً فيهما اذ كل شيء منهما وفيهما
والأرض والسبع السموات غدت في الفلك الثامن اذ منه بدت
ومنه مبدا[1] الوحي والتأييد على يد الثلاثة الحدود
ومنه مبدا النفس للعبادِ ثم اليه العود في المعادِ
والفلَك التاسع يحتويه فجلَّ من قدّر هذا فيه
والثامن الجنة وهي المشتهى والتاسع السدرة وهي المنتهى
لا قول يبقى بعد ذا للقائل هذا اليه منتهى الفضائل
لأن من قال وراء التاسع شيئاً يراه مبدع البدائع
قيل له ـ ليس لـذا نهايه فالعقل قد دلَّ على البدايه

١) اصلها مبدأ .

القول في النفس أيضاً

وعادت النفس الى فكرتها ... واخرجت ما كان في قوتها
فأظهرت انوارها البهيّة ... وصور اللطائف العلويّة
والجدُّ والفتح مع الخيال ... فهذه الخمسة بالكمال
وخمسة فهي كأمثالٍ لها ... تدعو الى الله كذا أهلها
تذكرها بعد ان انفصلنا ... من ذكر ذي الخلقة اذ فرغنا

القول في الهيولى

ثم الهيولى وهي من حد القدر ... حاطت بالطبع انوار الصور
فاضت من النفس كفيضِ السابقِ ... بها فأضحت في محل اللاحق
وصيّرت جوهرها اصلاً لما ... جاد به موجدها وانما
فان اردت ان تعرف الهيولى ... وتدرك العلة والمعلولا
فكل شيء اصله وعلته ... هما هيولى ثم . هذا جملته
هذا هو التفضيل كيما تعلمه ... علماً على حقيقة وتفهمه
فالعقل للنفس هيولى حامله ... والنفس كالصورة فيه داخله
وهكذا الأشيا[1] اذا اعتبرتها ... حقّاً على التجريب واختبرتها
هذا هيولى ذا وهذي صوره ... منه وفيه ابدًا منحصره
وذا لهذا علة في السبق ... له كما قدّر منشي الخلق

---

١) في الاصل « الاشياء » قيلت هكذا للضرورة الشعرية .

وتحت هذا حكمة قد اخفيت | عن الورى وقدّرت وامضيت
يعرفها من عرف الأعرافا | ثم سعى بسعيهِ وطافا
ولم يدع فريضة لربه | الا قضاها عائذًا لرشده
واتّبعَ التعليم والمعلِّما | مصدقاً لقولهِ مسلّما

القول في الطبيعة

وبعدها اظهرت الطبيعة | سامعة لربّها مطيعة
اعلى من النفس التي في العالم | تجري بتقدير العلي الحاكم
في سائر الأرواح واللطائف | وسائر الأجساد والكثائفِ
والقوة الأولى التي اودعها | مبدعها للعقل اذ ابدعها
سمّيتِ الطبيعة الأولى وقد | حقّق من يعرف هذا واعتقد
لأنها من قوة النفس بدت | واظهرت ما بعدها واوجدت

القول في الطبع الخامس

وقولهم بجمعهم ان الفلك | لمّا حوا من دونه ثم ملك
طبيعة خامسة فقولهم | قولاً صحيحاً بان فيه فضلهم
لأنه اول جسم اظهرت | قوتها النفس به وصوّرت
وهو بسيط زائد البساطة | في كل شيء جازه وحاطه
اذ كل شيء دونه مركب | وما له طبع اليه ينسب
وهو لذي الطبيعة المؤلفه | لسائر الطبائع المختلفة

القول في أن الفلك مكان الأمكنة وزمان الأزمنة

وبعدها قد كان جسماً مطلقا — فصار منه كل شيء اخلقا
فالشهب والأفلاك منه خلقت — وزينت ورتبت وطبقت
كذا الزمان والمكان كانا — من قوة النفس وعنها بانا
والفلك الزمان والمكان — لذا دليل ولذا برهان
لأنه محرك الأجراما — وفيه صرنا نعرف الأياما
وذاك ان الشمس فيه تطلع — وفيه يخفا جرمها ويرجع
والأرض تحوي سائر الإمكانِ — على اختلاف الوصف والتبيان
والفلك الدوار فوق الأرض — بقدها في طولها والعرض
فهو على هذا مكان الأمكنة — من غير شكٍ وزمانِ الأزمنة

القول في فعل النفس بالأفلاك

وفاضت النفس على الأفلاك — وايدتها بقوى الأملاك
وصيرت شبه النجوم الزاهره — دائرة تحت البروج سائره
ووكلت بالسبعة الكواكب — السبعة العالية المراتب
فهي كما قد قيل المدبرات — والسبعة الشهب لها آلات
وهي لها لا شك كالأرواح — تسري بالإفساد والإصلاح
في كل ما هو ظاهر فوق الكره — وباطن معدنه قد ستره
والنفس بالقوة والتدبير — تؤيد الكل بلا فتور

والسبعة الأفلاك فيها سبعة اسمائها منظومة كالجمعة
وكل يوم ابدًا لواحد خصّ به فهو له كالوالدِ
لأجل هذا صارت الأيام افضلها السابع التمام
لا يقدر الخلق على الزياده تمَّ بهذا الأمر والأرادة
وحرّكت اجرامها ودارت كما احبّت وكما اختارت
فهي كأنسان مليح المنظر في حللٍ قد رُصعت بالجوهر
عبد لمولى ذي الاجلال والكرم جاد عليه وحباه بالنعم
يسبحُ في امواج بحر العظمه في صورة اوصافها منتظمه
فالنفس في الأفلاك كالنفس لنا قد شملتنا بالحياة كلنا
ونحن في الأفلاك قدماً كنّا لكن حرمنا الخير اذ زللنا
بسهونا عن شرف التقديس لمّا اتى ابليس بالتلبيس
ثم هبطنا مع ابينا اذ هبط بما جنيناه الى دار السخط
فالدين مثل الخلق في الممثول بكل وجه واضح الدليلِ
والدين قد دلَّ لكل مهتد على جلالِ وحدة الموحد

القول في الأستقصّات

فكان منها الأمهات الأربع لكل امرٍ مركز وموضع
فالأرض في الماء وفي الهواء والنار فوق الكل كالغشاء
كذلك الأفلاك فوق النار تحوطها من سائر الاقطار
هذا على ذا ولها ابعاد يعجز عن ادراكها العباد
وكل شيء داخل في الكرسي وهو محل النفس اي النفس
ثم سرت قوتها في الكلِ فامتزجت واشتركت في الفعل

القول في المعادن

واظهرت جوهرها المعادن زهرٌ ولونٌ ولها محاسنُ
من اسودٍ وازرقٍ واخضرِ وابيضٍ واصفرٍ واحمرِ
واصلها ماءٌ وكان زيبقا وكان في معدنه مندفقا
فصانه معدنه وسخّنه واكثر النضج له وكوّنه
وصادف الزيبق كبريت نقي وامتزجا في الطالع الموفقِ
صار الى احسن شيءٍ يطلب وافضل الأجسام وهو الذهب
وان يكن كبريته ما خلصا والسعد في طالعه قد نقصا
صار الى ما كوّنت طبائعه من جسمه اواقتضاه طالعه
من فضةٍ بيضا[1] ومن نحاس ومن رصاصٍ وحديدٍ قاس
مثل المواليد مواليد البشر وما يراه من افانين الصور
فكاملٍ خلوٍ من الآفاتِ ومبتلٍ بالنقص والعاهاتِ
ولم يجر خالق هذا الخلق في حكمه لكن قضى بالحق
ليوقظ النائم من رقدته اذا رأى القدرة في حكمته
فيكثر الزاد وما يحمله وينبع الهادي الذي يوصله
يوصله الى الهيولى الأوّلى والنعمة السابغة المكمّلة

القول في النبات

والنبت مثل الناس في اعراقهم وكلما ركّب في اخلاقهم
ثم انتشت[2] بدائع النبات وانتشرت في سائر الجهات

١) اصلها بيضاء .
٢) اصلها انتشأت وقيلت انتشت للضرورة الشعرية .

من سائر الطعوم والأثمار وسائر الأشجار والأزهار
ينفع ذا ما ضرّ ذا بالطبع وهو لهذا ضرّه كالنفع
فذا كريم كامل في فضله مستحسنٌ في قوله وفعله
وذا لئيم خلقه مليح والفعل منه سمجٌ قبيح
وذا حقير خلقه زريّ والفعل منه حسن سني

القول في الحيوان

وجاءت الهياكل العجيبه والصورة العجيبة المكبوبة
من سائر الوحوش والهوام وما به النفع من الأنعام
فأول الأجناس ما تولّدا في الأرض من حشاشها ثم بدا
وما غدا منغمساً في مائها او كل طير طار في سمائها
والرابع الهياكل العجيبة والصور الغريبة المكبوبة
والبعض ذو طبع وخلق ظاهرِ وهو من الأنسان غير نافر
يعينه على صلاح ماله يحمله والسعي في اعماله
وبعضه يجعله قربانا بذبحه يرضي به الرحمانا
يرضى بما يهرقه من دمه وما غدا يطعمه من لحمه
وهو على ذا كله منقاد اليه في طاعته يزداد
مثل الذي يؤمل الصلاحا بذاك او يرجو به النجاحا
والبعض منه نافر مستوحش له مخاليب وناب ينهش
مفترس للبعض منه البعض وبعضه يقتل اذ يعضُّ
قد شوهت سحنته وخلقه ونقصت حياته ورزقه

فزاده الله تعالى بعدا لما على الأنسان ابدا الحقدا
والخامس الأنسان وهو القاهر له كما قدّر فيه القادر
يقبل منه الوحي والألهاما وينثني يهدي به الأناما
وكل جنس فله انواعه يظهرها بطبعه اتباعه
وفيه اشخاص تعالى من لها يحصى ويحصي علمه ما قبلها

القول في الصورة الانسانية

ثم اتت بصورة الأنسانِ في احسن التعديل والكيان
وهي لعمري غاية المطلوب والسؤل والنعمة والمحبوب
لأنها لمّا ارادت شكر من جادَ عليها وحباها بالمنن
لم يك مثل العقل فيما اظهره اظهره يشكر عنه مظهره
بغير الات ولا اوانِ وكل ما مرَّ من الأزمانِ
واوجدته ناطقاً بالعدلِ فزاده في الفضل نور العقل
وعلّمته نفعه والضرّا والخير ان اراده والشرّا
وصيّرته قادرًا مخيّرًا ان شاء ايماناً وان شا[1] كفرا
لو لم يكن ذا لم يكن عقاب عليه في العقل ولا ثواب
وأيّدته بالدليل المرشد الصادق المسدّد المؤيّد
فهي تعود طائعه وصابره لربها على عطاه شاكره
في نفسه ما يشتهي موجود وكلما يكرهه مفقود
في جنّة المأوى وتحت ظلّها والنفس قد جادت له بفضلها

1) اصلها « شاء » وقيلت (شا) للضرورة الشعرية .

للعقل نور ساطع عليه وكل خير فائض اليه
وان ابى ان يتبع الدليلا وخالف المعلم الرسولا
عاد الى اسفل نار الهاويه تسجنه في قعرها الزبانيه
يسلك في السلسلة الطويلة والصورة القبيحة المهولة
مبدِّلا في النضج في الجلود في الضيق والأغلال والقيودِ

القولُ في العالم العلوي

والعالم العلوي من اعلاه بدا كما قدَّر من ابداه
وهو على الممثول والوجوب كالتسعة الآحاد في الترتيب
فالأمر وهو الجود جود الموجد والعقل وجه الصمد الممجَّد
والنفس تتلوها الهيولى السابقة الى قبول الصور الموافقه
وبعدها الطبيعة المؤلفة لسائر الطبائع المختلفة
والجسم كالأفلاك يحكي نضدها كالعدد السبعة وهي حدها
والأمهات موضع الثمانية اذ المزاجات لها مساوية
ثم المواليد اذا اعتبرتها في موضع السبعة اذ عددتها

القولُ في العالم السفلي

والعالم السفلي كان اوله ارذله اذ الأخير افضله
فالأول المعدن وهو جامد ثم النبات وهو عنه زائد
والحيوان للنبات يقضم بخطمه كما يشا ويخطم

وبعده الأنسان وهو يفتك بالحيوان كله ويملك
يستخرج الحيتان من بحارها وينزل الطيور من اوكارها
وليس ذا بجسمه وقوته لكنه بعقله وقدرته
فضَّله الله به ليعبده فأن رعى نعمته ووحّده
اكرمه واستوجب المزيدا وصار من بعد الشقا[1] سعيدا
وان اطال نومه في غفلته اخرجه من نعمته ورحلته
وعاد منكوساً الى العذاب مع من اطال المكث في الأحقاب

القول في النبات أيضاً

وآخر المعدن بالنبت غدا مبتدئاً وبادياً كما بدا
له فروع وله اغصان كما يرى في خلقه المرجان
وآخر النبت نبات باسق بالحيوان للصفات لاصق
والنخل مثل الحيوان اذ قطع اعلاه لم يرجى له ان يرتجع
كالخيل للانسان اضحت حامله ومنه للتعليم ايضاً قابله
لا سيما يوماً اذا ناداها وزاد في التأديب اذ ربّاها
وبعده الانسان وهو الأفضل في العالم الأعلى غدا متّصل
يقبل منه الوحي والألهاما وينثني يحي به الأناما

القولُ في آدم عليه السّلام

فأول الرسل الكرام آدم لأنه بكل شيء عالم
علّمه الهه الأسماء من بعد ما زوّجه حواء

---

١) اصلها الشقاء .

وقال للأملاك خرّوا سجدا ويل لمن خالف قولي واعتدا
وعاد دور الستر والتقيّه وزال عهد الكشف والمشيَّة
وكان ابليس من الخدام آخر دور الكشف للامام
وقد قرا[1] شيئاً من الحقائق علمها بحكم الحقائق
وهو من الجنّ ذوي اللطائف بما اجنوه من المعارف
لأن دور الكشف دور واسع وفيه للحكمة نور ساطع
واهله في جنة قد ازلفت واينعت اثمارها وزخرفت
وقال للكبر وللاعجاب النار لا تسجد للتراب
خلقت جسمي مفردًا لطيفا وجسم هذا مذوجاً كثيفاً
وظن ان لمّا غدا مفتونا بأنه من جملة العالينا
ولم يطع خالقه ثم فسق وصار ابليس غويًّا ومرق
حتى اذا اضحى لعيناً مبلسا من رحمة الله له قد يئسا
عاد الى آدم وهو مشهب يحلف اني صادق لا اكذب
يحلف في عهد الأمام الصادق وفي العلي صاحب الحقائق
ان الذي منعتما من اكلها لم تمنعا الا لعظم فضلها
وهي كما قال بغير شكِّ منزلة الخلد وقطب الملك
وغرّه حتى بدت سوءته وانكشفت بين الورى عورته
وافترقت عنه الحدود اذ عصا حتى غدا عندهم قد نقصا
فعندها اهبط للخطيّة الى محل الأنفس الشقيّة
وعالم الكون مع الفساد ممتحناً بالعيش في الأجساد
وصار من بعد الجنان والعلى الى محل النشْ طورًا والبلي

[1] اصلها قرأ .

اذ رام ملك الخلد دار الآخره ... وان يصير البدء رأس الدائره
وليس من يصفو كما الصفيِّ ... يوماً ولا الجزئي كالكلي
ولا تقاس النطفة القليلة ... بالصورة العالية الجليلة
وهذه الرتبة نفس الطلبة ... اذ رتبة القائم اعلا مرتبة
ولم يزل محذرًا من ذنبه ... كل نبي مرسل من عقبه
كذا على عيسى النصارى كذبوا ... اذا دعوا ذاك له فعذبوا
والله قد براه من مقالهم ... وافكهم فيه ومن ضلالهم
ولم يكن آدم عمدًا عاصيا ... لكنه للعهد كان ناسيا
لأجل ذا تاب عليه ربه ... لمّا تلقى الكلمات قلبه
والكلمات الأزليات الأولى ... اللائحات في مقامات العلى
كاف ونون بعدها وجيم ... فاء وخاء قدرها عظيم
انوار نور باهرات سجدت ... للنور نورًا ساطعاً ومجَّدت
وصار بدء الخلق والشرائع ... والعلم والحكمة والصنائع
ولم يقم بالعزم والقطيعة ... لأنه ما قبله شريعة
وكان من هابيل مع قابيل ... ما كان من قتلٍ ومن مقتولِ
لمّا رأى قربانه قد قبلا ... وقد رأى بأنه قد خزلا
فالعجب من ابليس كان باديا ... والحرص من آدم كان عاديا
والعجب والحرص جميعاً والحسد ... هما الطريق للبلاء والنكد
ثم نشا[1] الناس على اثارهم ... اذ راعهم ما كان من اخبارهم
ولا يزالون على الفسادِ ... والشوم والعود الى العنادِ

---

١) اصلها نشأ

وجدّد الله عليه النعمة بشيث لمّا صار باب الحكمة
واكثر الله له الاولاد كيما ينال السوءل والمراد
وقد بلغنا موضع القضيّة لمّا ذكرنا الخمسة السفليّة
فالأول الناطق بالتنزيل ثم الأساس صاحب التأويل
ثم الأمام بعده والحجة وبعده الداعي الى المحجّة
فآدم الناطق وهو الرأس وبعده شيث وهو الأساس
ولم يزل في كل عصرٍ هادِ من نسله يدعو الى الرشاد

القولُ في نوح عليه السّلام

حتى اتى نوح وكان الثاني للرسل ذو عزمٍ وذو بيان
ثم بنى السفينة المنجيّة وكان سام صاحب البنيّة
لأنه ممثوله فمن لجا[1] اليه في الدين بتسليم نجا
وهولعمري صفوة من عترته والخلف الميمون بعد نقلته
وحطّ فيها اهله ثم ابى حام بأن يركب مع من ركبا
وظنّ ان شامخ الجبالِ تعصمه من امر ذي الجلالِ
وان شرع آدم لا ينطوي ولا على من قال قولًا يحتوي
وهو لعمري جبل ملعون مستكبر بجهله مفتون
يظن بالحق ظنوناً كاذبه فتصبح الآمال منه خائبه
وهكذا في سائر الأعصار تعاكس الظلمة للانوار
ولم يزال الضد حيث يظهرُ والحق يخفي نفسه ويسترُ
حتى يقوم الحق في مقامه ويدحض الباطل بأنتقامه

1) اصلها لجأ .

ثم على الماء عليهم لم يدع — مرتفعاً الّا علاه وارتفع
واغرق الطوفان حام وغدا — مخالفاً للحقِّ او متعمدا
فهو لفرعون شبيه بالغرق — لمّا علاه بحر موسى فأنطبق
ولم يزل لله كل عصرِ — سفينة في بحر علم تجري
راكبها ينجو مع الزمانِ — ويهلك الآخر بالعصيان
يغرق في الشرع الجديد الآتِ — ويغتدي في جملة الأموات
ونفسه من الخطايا موبقة — في بحر نيران الهيولى مغرقة
واطلع الربُّ ففاض الماء — وأقلعت بأذنه السماء
فالأرض سام والسماء نوح — يفيض فيه مثل فيض الروح
ثم علت على الجبال واستوت — وفاز من في طاعة الله ثبت
وهم ثمانون من الحدود — يدعون بأسم الواحد المعبودِ
منهم ذكور وأناث كلٌ — ليعمر الدار اذا تناسلوا
والجبل الحامل للسفينة — حجته القوية الأمينه
حمّلها الأمانة المعظّمة — وخصّها بالرتبة المكرّمة
وهي التي منها الجبال كلها — اشفقن ان يوهن قواها حملها
وهي التي تحملها الملائكة — لأنها للكل اضحت مالكه
بقية الكشف التي اودعها — في بيته المعمور من ابدعها
وهي التي غرَّ الغرور آدما — فأصبح بها عند ذاك نادما
حملها فرامها لحرصه — لنفسه لجهله ونقصه
وحملوها النطقاء كلهم — حتى يئودوها الى مقرهم
وكل من زاحم ذاك الحاملا — في حملها كان ظلوماً جاهلا

وقام من سام بأمر الخالق ... ائمة تدعو الى الحقائق
حتى انقضت دعوة سام واتى ... في آخر الفترة جبار عتا
فقال في التنجيم والأحكام ... وجاء بالقربان للأصنام

القول في ابراهيم عليه السلام

وقام ابراهيم وهو الثالث ... من عدد الآباء وهو الوارث
من بعد ما ابصر ليلاً كوكبا ... فبات منه يكثر التعجبا
فقال ذا ربي فلمّا افلا ... اعرض عنه وتولّى عجلا
ثم رأى من بعد ذاك القمرا ... وقد زها بنوره وأزهرا
فقال ذا ربي وهذا اكبر ... من ذاك في منظره واخبر
حتى اذا عاينه قد افلا ... قال تعالى من بهذا فعلا
ثم رأى من بعد ذاك الشمسا ... بازغة بالنور تحيي النفسا
فقال ذا ربي وهذا اكرم ... هذا الذي من كل شيء اعظم
حتى اذا عاينها قد افلت ... وهي الى مغربها قد نزلت
فقال ان لم يهدني ضللت ... ربي ومنه للهدى طلبت
وهي حدود نال ما حوته ... بقوةٍ من ربه اتته
فنال حد النطق وهو الغايه ... للعالم السفلي والنهاية
وجاءه الروح الأمين بالنعم ... من عند ربِّ الجود حقًّا والكَرَم
وكسّر الأصنام لمّا جلسوا ... ليفسدوا حجته ويلبسوا
واحضر النمرود كل ماهرِ ... مقدم في علم اهل الظاهر
فأوقدوا نارهم واضرموا ... وحرروا مسائلًا واحكموا

ثم رمى في النار ابراهيم … شيخاً لهم قد جمّع العلوم

والنار عام الظاهر المعوج … تكسره عند الخصام الحجج

والبطن الماء الذي يطفيها … تحي به النفس التي تحييها

فجاءه التأييد حتى خمدوا … وانقطعوا في يده اذ بردوا

وانتدب النمرود للمناظره … وطال في القول وفي المشاجره

فقال ابراهيم ربي يقدر … بأن يميت الخلق ثم ينشر

قال انا احي بجودي والكرم … لمن اشا[1] ثم اميت بالنقَم

فقال ابراهيم ان قولك … هذا دليل مخبر عن جهلك

فأن هذي الشمس يأتي خالقي … بها على الدهر من المشارقِ

فأتِ بها الساعة من مغربها … ان كنت انعمت على الخالق بها

فعندها النمرود اضحى باهتا … حيران لا يبدي جواباً ساكتا

والشمس في التأويل هو النطق … ايّده الله بجدِّ الشرقِ

وهي اذا ما اطلعت علامه … من غربها تخبر بالقيامه

قال له ان كنت ممن يخبر … متى يقوم الحق ثم يظهر

وكم نبي ورسول يأتي … وكم سيبقى عند كل وقتِ

وليس للنمرود علماً يوصله … الى الذي عنه الخليل يسأله

لأن هذا العلم علم الأنبيا … والخلفا الابرار نسل الاتقيا

وذاك اذ يظهر من خير العرب … داعٍ الى الله اذا الوقت اقترب

يجعله الله الرسول السادسا … من اولي العزم يكون الخامسا

وخالفت امته ائمته … من بعده بغياً وأفنوا عترته

من بعدما غاب الأمام السابع … في شرقها كان الختام التاسع

(١) اصلها اشاء.

ورابع من خلفاء الفتره | يقوم بالسيف ودار الهجره
ويظهر التأويل بالأجهار | وتنصب الدعاة في الأقطار
وهو بشير بظهور القائم | للمؤمنين والسرور الدائم
وانتشرت دعوة ابراهيم | وقام في مقامه الكريم
وصار في زمانه اماما | للناس قد دامت له وداما
وكان اسماعيل فيه سرّ | لله لا يعلمه وجهر
لأن منه الصادق المؤيّد | ذاك النبي المصطفى محمد
وخاتم الأعصار والأدوار | من نسل اسماعيل من قيدار
فقال يا ربي ومن ذريتي | فأنك العالم ما في نيتي
فقال لا تفعل فتغدي نادما | لأن عهدي لا ينال ظالما
وصيّر الذبح له امتحانا | كيما يرى بعينه البرهانا
وكان اسماعيل عبدًا واثقا | بالله يوفي بالمقال صادقا
وانه قد خصّه بالكلمه | باقية في عقبه مسلّمه
فخاف ابراهيم ممّا سلفا | من ولدي آدم لمّا اختلفا
فنال ما امل منه منهما | واصلح الله له ثانيهما
فخصّ بالتابوت اسحق وقد | توكّد العهد عليه وانعقد
لأنه طوعاً لأسماعيل | وانه ذو السبق والتفضيل
وانه ما زال عن امامته | ولا اعتراه الشك في خلافته
وخصّ اسماعيل بالعلم الذي | به قلوب العارفين تفتدي
بالباطن المحض وبالأمامه | باقية فيه الى القيامه
وكان لمّا رفع القواعدا | له على قيامها مساعدا

والكبش اسحق الذي عند الندا كان لأسماعيل في الذبح الفدا
ولم يكن في باطنٍ لـه يد اذ السوآل ظاهر مجرد
ثم بنى البيت ونادى الناسا بالحجّ لمّا نصَّب الأساسا
وصيّر الأركان ما بينهما مقسومة كما اراد منهما
ركنان من اسحق قد تقدما ليأخذا قسطيهما ويخدما
فركنه الأول وهو موسى وركنه الثاني وهو عيسى
ثم لأسماعيل ركنان برا باريهما امرهما وقدَرا
فالأول الهادي لنا محمد والآخر القائم وهو الأمجد
والحق القادر ذو الجلاله امامة تلحق بالرسالة
فلم يقم من بعده نبيُّ يخلفه من نسله وصيُّ
لكن يكون فاضل مزاهله متبعاً لقوله وفعله
كمثل هرون وشمعون الصفا والعلم الزاهر صنو المصطفى
وكان من قيدار في يعقوب ما كان بين الرب والمربوب
يمده ان طلب التأييدا والمستفيد يعبد المفيدا
وهكذا خدمتهم مذ خدموا حتى انقضت خدمتهم وسلموا
كل متم لأمام عصره من نسل اسماعيل طوعاً امره

القول في موسى عليه السّلام

وجاء موسى ناطقاً بالقوة لأنه الرابع للنبوة
من سائر الأركان والأبنا[1] كما بينه جمع حدود العلما

---

١) في الأصل « الابناء » .

من بعد ما اصبح خوفاً هاربا الى شعيب يقطع السباسبا
وهو متم الدور لكن امره منخمد في قومه وذكره
قد عظمت فترته وشردت اغنامه ثم الرعاة هزمت
وقد تبقى بعضها يرعاها نيابةً وربها يكلاها
وهو يروح تارة ويغتدي منتظرًا للقائم المؤيد
فجاء موسى قاصدًا اليه معولًا في امره عليه
ثم اتى الى لقاء صحبه لأنه مفتاح باب دعوته
حتى اذا ما عاينته ابصرت قوته سرت به واستبشرت
ثم اتت الى ابيها تخبرُه قالت له قد جاء من تنتظره
فأجمعوا وسلّموا الأغناما اليه والرتبة والمقاما
من بعد ما زوّجه صفراء على شروط عقدة الوفاء
وان يقيم بعد ذاك الحرُما ليصبح الدين مقيماً قائما
وكان موسى صادقاً في وعده براً فعولًا وافياً في عهده
وكلهم مذ خدموا فأقصروا وفي رضى الله تعالى صبروا
وعاد يبغي صاحب الزمان مهاجرًا والأمر في عدنانِ
وانبع العالم وهو الخضرُ يطلب منه العلم وهو البحر
والعالم الحجة قد ارشده الى امام عصره وسنده
وفارق العالم لم يصبر معه لأنه اوحشه ما صنعه
ثم رأى النور الذي في الشجره هفت بتسبيح الكرام البررة
في الطور والطور رفيع عالِ بأذن باريه علي الجبالِ
في الجانب الأيمن من شاطيه[1] مطهّرٌ مقدسٌ واديه

[1] اصلها شاطئه .

وهي الحدود الخمسة العالينا بهم اقام ذو الجلال الدينا
نور من العقل الى النفس غدا يفيض بالجود عليه سرمدا
والنفس تلقيه الى حدودها كيما ينال الخلق فضل جودها
كمثل نور الشمس يعطي القمرا بين الورى انوارها ليبهرا
حتى اذا قاربه ناداه ان ادنو مني فأنا الإلـه
واخلع لنعليك بعزمٍ واسرعِ وجدّ في سعيك امري واسمعِ
وقال ما هذا العصا في يدكَ ان كنت تدري ما لها اوتملكَ
لأن فيها حكمة قد سترت عنك اذا احتجت اليها ظهرت
قال عليها اتوكا[1] وبها اهشُّ اغنامي عند شربها
قال القها حتى اذا رآهـا تسعى تولّى هارباً حداهـا
فقال خذها لا تخف فحالها يعود مستورًا وهذا شأنها
وبالأساس يجمع الرسول كل مجيب وبه يصول
وهو اليد البيضاء من جناحه خارجةً تعمل في صلاحه
لأنها تظهر حدود الناطقِ وتنظر الظاهر بالحقائقِ
فقال زد يا رب وانعم بالي واحلل لساني يفقهوا مقالي
واجعل اخي هرون لي وزيرا يكون بالتصديق لي ظهيرا
قال اذهبا وبلّغا لا تخفا فرعون امرًا وارشدا ولطِفا
وكان فرعون كفورًا قد بغى وزاد في عصيانه ثم طغى
ثم ادّعى مرتبة الجلال وانه وجه العلي العالي
وفيه فضلٌ ونظامٌ ونظر يدعو الى امرٍ قديم قد دثر

1) في الأصل انوكا .

فجا[٢] الى فرعون في مرتبته ... وقد ازال الخوف في سلطنته

فقال يا فرعون لذ بربي ... وارجع اليه بخشوع قلب

وقال فرعون ومن ربكما ... فهل ترى غيري الهاً لكما

فقال موسى جلّ من لايوصف ... ولا له في الخلق شكل يعرف

وقال يا موسى حفظت السحرا ... بأسره وجئت شيئاً نكرا

الم تكن طفلاً ربيت فينا ... ثم لبست بيننا سنينا

وانني أحضرت كل ساحرِ ... من كل بادٍ في الورى وحاضرِ

ليفسدوا ما كان من سحركما ... ويظهروا بين الورى امركما

وارسل الرسل الى جهاته ... ليأتوا بالكبار من دعاته

واللوح اسم الساحر العظيم ... عندهم في الزمن القديم

فقال لمّا جلسوا قعودا ... لا تتركوا عندكم مجهودا

فسحر هذين عظيم فأظهروا ... سحركم لعلنا ننتصرُ

ثم رمى موسى العصا فأبتلعت ... عصيهم لوقتها وأسرعت

والسحرُ علم ظاهر قد ألّفا ... بلا دليلٍ واضح وزخرفا

يكسره العالم بالدلائلِ ... وهو شبيه الحق عند الجاهل

فحلَّ بالباطن لما نطقا ... اساسه ما عقدوا وفرّقا

فعندها قالوا له آمنّا ... برب موسى وله سلّمنا

فقال فرعون لهم وقد غضب ... صدقتما ما جاءه من الكذب

لأقطع الأيدي وكل رجلٍ ... وأصلب الأجساد فوق النخل

وذاك ان يأمر اهل دعوته ... ان يشهروهم قبل وقع نقمته

٢) اصلها فجاء .

قالوا رأينا رشدنا عيانا فلا نبالي بعدها ما كانا
وسار بالأسباط موسى واتصل الى رضى رب العباد قد وصل
وسخّر الله لموسى البحرا يشقه ولا يخاف ذعرا
واتبع الملعون من لجاجه موسى فعاد البحر في امواجه
وقيل للبحر عليه فانطبق وقد علا فعلّا عليه وغرق
والبحر في تأويله بحران عذب وملح وهما مثلان
بينهما لا يبغيان برزخ والبرزخُ العهد الذي لاينسخُ
وانقطعت دعوته ثم عفت واتصلت دعوة موسى وصفت
وهكذا يفعل رب العالم بكل شيطان كفورٍ ظالم
يحسد من قد خصّ بالأمامه على الذي نال من الكرامه

القول في عيسى عليه السّلام

وجاء عيسى وهو ذو اللطافه لأن موسى قام بالكتافه
لمّا غدا يحكيَ شرط شدته محمدًا في شرعه وقوته
وذاك يحكي صاحب الزيتونه وصاحب السرائر المكنونه
ثم اتى بالنور والثبات بحكمةٍ في الغيب والآياتِ
وقولهم عنه الرواة قد نقل بقولهم ان المسيح قد قتل
كذا يقال في المسيح الأعلى وقد علاَ عن قولهم وجلّا
وهو مسيح المسحا المعظّم وامه زين النساء مريم
وحجة السابع اسبوعين مرتوي بالعلم من وجهين
ومريم الصغرى قديماً اخذت من زكريا ببيان واغتذت

لأنه كان لها كفيلا مرتباً براً بها وصولا
وكان في المحراب قد اوقفها وللصلاة كلها عرّفها
وكلّما فاتحها يراها قد عمّها بجوده مولاها
فيمتلي منها سرورًا وفرح ويشكر الله على ما قد منح
لعلمه بأنها باب الفرج وانها تنقذه من الحرج
وقال لمّا ان علاه الكبرُ ثم رأى اعداءه قد كثروا
واشتعل الرأس شيباً وبدا يعيش عيشاً تعباً منكّدا
قال ابتهالي يا الهي اني قد شاب رأسي لعلو سني
فجد وهبني وارثاً وليًّا يخلفني في ما يشا[1] مرضيًّا
فجاءه جبريل بالبشير بسيدٍ مطهّرٍ هصور
وقال خذ شكرًا فأن ربك سمّاه يحي وهو يحيَ امرك
ثم اتى الروح الأمين مريما فأوجست في نفسها ان تسلما
فقال لا تخشي مكاناً واعبدي شكرًا لرب العالمين واسجدي
الى الذي من فضله قد خصّكِ بسيدٍ ثم به فضّلك
قالت ومن اين وما لي بعلُ ولاعلاني في البغاء فحلُ
فقال ان الله جلّت قدرته اراد ان يظهر منك آيته
بجعله في الخلق مثل آدم بلا ابٍ وداعياً للقائم
وكان يحي اولًا قد سبقه فهو له اكرمهم في الشفقه
وهو الذي عمّده وقدّسه وعمّه بصنعه وبرنسه
فمريم يحي ويحى مريم تأويله يعرفه من يفهم
حتى اذا تمّت شهورًا كمّلا وحان ان يظهر ما قد فعلا

[1]) اصلها « يشاء » .

جاءت الى النخلة والسريِ تطلب فضل الواحد العليّ
والنخلة الحجة تجني ابدًا والطلع فيها قد غدا متّقدا
باسقة وطلعها نضيدُ اشبه شيئاً طلعها الخدود
وفي الآراء الماء والأمام تحيَ بها الحجة والأنام
وقال يا مريم ما شئت اطلبي ثم كلي رزق الاله واشربي
وعن جميع الانس كلّا تنطقي وفاتحي للمؤمن المصدِّق
ثم اتت في قولها تحمله وتنظر البرهان من يجهله
فأجمعوا بجمعهم اليها وانكرت ما صنعت يديها
وطالبوها بدليل ينبي بأنّ هذا الأبن ابن الربِ
قالت لهم سلوه عمّا شئتم ان تطلبوا هذا فقد هديتم
فقد اتى من موتكم يحييكم وبالهدى من العمى يبريكم
قالوا فمن نسأل مبتدياً طفلًا غدا في مهده صبيًا
يعنون ان المستفيد كالصبي وشرع موسى مهده فيه ربي
فقال ان الله قد حباني بالفضل والأحسان اجتباني
وخصَّني بالفضل والخطاب وكل علم جاء في الكتاب
فآمنوا البعض وبعض كذّبوا وازمعوا أن يثبوا وألبوا
وطاح في اقطارها وساحا يطلب ما يجده صلاحا
وكان ربٌ وقته قد غابا خزيمة واغلق الأبوابا
لعلمه بالفترة العظيمة والمحنة الهائلة الجسيمة
وضده كان اخاه بالنسب لمّا غدا يطلبه على السبب
لأجل هذا لم تتم دعوته في وقته ولا استقرّت هجرته

ولو اتمّ الأربعين عمره لكان قد قام وتمّ امره
لكنه قام بها سمعان من بعده فويلس الديّان
اذ ابرأ الأبرص وهو الملك ولو اطاعوا امره لم يشركوا
فنافقوا وطاوعوا الأبالسة وكل غاوٍ يطلب المنافسة
واتسعت دعوته ثم علت كلمته بين الورى واتّصلت
حتى تولّت وانقضى دورها وحان ان يظهر قولاً غيرها
وذاك أن كان المتم جرجس وضدّه ضدٌّ لعين رجس
فجمّع الجيشان والعبيدا وحشد العدة والعديدا
ثم اتى بفيله وقدّمه ليخرب البيت به ويهدمه
والفيل ضدٌّ ظاهريٌّ عجم لا يعرف الباطن ذو تهجم
يقوم في الفترة عند الظلمة يريد ان يخرب بيت الحكمة
ويدعي مرتبة المتم بغير تأويلٍ وغير علم
وكان رب الوقت عبد المطلب وهو الذي به المتم قد غلب
لأنه اجيب لمّا ان دعا على الذي رام المحال وادّعى
فأرسل الله من السماء طيرًا ابا بيلًا على الأعداء
يرميهم بقاتل الأحجار فأصبح الكفّار كالبوار
والطيرُ اعلى حجج التأويل لأنها تأيّدت من « ايلى »
«وأيلي» اسم الله طول الدهرِ وهو الذي يدعى بكل عصر
بعلمه تعلو الدعاة والحجج فتقتل الأعدا[1] بتأكيد الحجج
وصار ما قد كان من اسحق من بعد أخذ العهد والميثاقِ

[1] في الأصل الأعداء.

في بيت اسماعيل بيت النور　ومعدن الفرحة والسرور
في شيبة الحمد الأمام الكامل　السيّد العالي المحل الفاضل
وسلّم الأَمر المتمّ طائعاً　اليه في الوقت وصار تابعا
كذا المتمّ السادس المسكين　في كل عصرٍ ابدًا يكون
يغلبه عدوه ويقهره　ويلطف الله به وينصره
فخصّ بالنبوة الشريفة　والرتبة العالية المنيفة
نجله السيد عبد الله　ذوالفضل والسؤدد والتناهي
لأَن منه افضل الأَولاد　محمد الداعي الى الرشادِ
وخصّ بالأمامة المطهَّرة　عمران لمّا كان رأس الدائرة

القول في محمّد «صلعم»

وكان ميلاد النبي المصطفى　في ذلك العام الذي فيه الوفا
ثم نشا[1] فكان خير من نشا　وخير مخلوقٍ على الأرض مشى
ومات للحين ابوه وأمه　وكان ذو الكفل الكريم عمه
من بعد ما خيّر في عمومته　فأختاره من بينهم لخيرته
لعلمه بأنه الولي　وانه من نسله الوصي
حتى اذا توّج بالجلالِ　وصار في مرتبة الكمال
زوّجه خديجة المبجّلة　لأن منها فاطمة المفضّلة
من بعدما صاحب حيناً ميسره　وهو الذي افاده وأبصره
ثم اتى زيد وعمر بعدُ　فاض عليه فتحه والجدُّ

---

1) في الأصل نشأ .

ثم سرا مع الخيال فأرتقا وصار في النطق اجلَّ النطقا
اسرا به من بيته الحرام فصار اعلى الخمسة الكرام
ثم دنا فكان كالقوسين وجلَّلته نعمة الأصلين
فهذه منزلة ما نالها سواه خلق وحوى جلالها
فأنزلت يا ايها المدثر قم انذر اليوم فأنت المنذر
فقام يدعو اهله والجيره وكل ذي فضل من العشيره
واصبحت خديجة قد سبقت وحقَّقت ايمانها وصدَّقت
ثم تلاها الأنزع البطين لأنه الناصر والمعين
فسلَّم الأمر الذي تسلَّمه منه اليها عاجلًا وقدَّمه
وكان فيما بينها وبينه خمسة اوقات تقرُّ عينه
بها تصير الصلوات الخمس احيا كما بالنفس تحيا النفس
تأويلها يعرفه من يفهم ان كان للتأويل رمزًا يعلم
واقترن المبغض بالحسود به من الكفَّار واليهود
واجتهدوا في قتله واشتركوا ولو استطاعوا قتله لفتكوا
لكن حماه منهم مولاه فقام بالفدية واجتباه
فقال لمَّا ان رأى ابا لهب ما خصَّه الله به وما وهب
يا قوم مالي كله ابذله في اللّات والعزّى لمن يقتله
وعاهد القوم على مرادهم وانه باقٍ على اعتقادهم
وانه يعلم ما يبرمه من امره وعلمه ويحكمه
ثم اتى مذعناً مصدقا وعاجلا بانه قد وافقا
لأجل ذا صار له في الغار مصاحباً بالليل والنهار

ليظهر مـا يعلمه من شأنه ويطلع القوم على مكانه
وكان ماقد اظهره منجزعـه يريد ان يعلمهم بموضعه
فهذه ان حسبوها منقبـه فأنها في كل عال مثلبه
فقال لمّا جلسوا في الأَبطح ان عتيقاً قد مضى لا يفلح
فن لهـا مبتدرًا قال عمر انا الذي اكفيكم هذا الضرر
فقام يثني عطفـه تمردا وقد غدا بسيفه مقلّدا
فدقّ باب الدار والرسول مبتهـلًا لربه يقول
يا رب أما عمرٍ يتمّهم او بأبي جهـل به يختمهم
فوافقت في عمرٍ لمّا دعـا اجابة من ربه فأستمعا
فقال من منكم اليه ينزلُ فلم يجبه جمعهم اذ فشلوا
فقال مولانا الأمام حيدر انا الذي اكفيكم ما تحذروا
بل ليس للجبّـار الّا انا حتى اذا قاربه ثم دنا
علق عضديه فكادت نفسـه تخرج منه ويزول حسّه
وقال قلها قال اني اشهـد بان رب العالمين اوحد
وانك الداعي الى الرشادِ رسوله الصادق في العباد
وعاد يبـدي لعنة وكفرا لا يعبد الله تعـالى سرًّا
لمّا رأى من قلّـة الأنصار وضعفهم وكثرة الكفّار
والسيف في يمينـه مجرّد وسار في اولهم يوحّد
يؤمـل القوم بان يعجلوا حتى يقولوا للنبي يقتلوا
فلم يقم في وجهه منهم احد وانجز الله له ما قد وعد
فخافهم لمّا رآهم عادوا وخاف ان يعلم ما ارادوا

فأظهر الألفة والوفاقا ... واضمر العدوان والنفاقا
وانزلت تبَّت يدا ابي لهب ... بلعنة الله لـه تب وتب
ان بهما رام الوصول والظفر ... بخير خلق الله من نسل مضر
انفقه الملعون كي يسره ... فلم ينل ما سرّه بل ضرّه
ولم يزل في الله جوّا صابرا ... حتى غدا بأهله مهاجرا
ثم اتى من فورة المدينـة ... تقدمه العزة والسكينة
وجاءه الأمر بفتح مكة ... فسار في جيوشه المشتبكة
من بعد ما صار الوصي اليهم ... يقرا[1] براءة كلها عليهم
ثم رقا علوه الى الهبل ... لمّا له خير النبيين حمل
فحطّه وصار بالأقـدام ... يداس طول الدهر والأيام
وانعقد الأسلام والأيمان ... وزالت الأصنام والأوثان
واسلم الناس على ضروب ... واختلط الصادق بالكذوب
وكلهم جاؤوه لمّا سلّموا ... واستسلموا لأمره وسلّموا
وبعـد ذا وقائع مذكورة ... معروفة بين الورى مشهوره
فـأنزل الله على نبيّهِ ... ان يظهر النصَّ على وصيه
فخاف من اصحابـه لعلمه ... بكيدهم وما نووا من ظلمه
وقيل لا تشرك فأن اشركت ... ليحبطنَّ الله كل ما عملت
فقم وبلّغ لا تخف فرحمتي ... تنالك اليوم وكن في عصمتي
فقام في يوم غـدير خمِ ... وقال حكم الله غير حكمي
من كنت مولاه فذا مولاه ... فوالي يا ربي الذي والاه
فمن له والى فقـد والاكَ ... حقًا ومن عاده قد عاداكَ

1) في الأصل « يقرأ » .

يا رب قد بلغت ما امرتني … فأشهر وعجِّل ما به وعدتني

واطّلع الله على ما قد نووا … لعبده وما به من الحق طووا

وانهم سينكثون عهده … ويغدرون بالوصي بعده

ويطلبون اهله بالثار … تبًّا لأهل الغدر والأضرار

ثم قضى الله له سبحانه … واختاره يسكنه جنانه

وان تعود نفسه الزكيَّة … لسعيها راضية مرضيَّة

فلم يقولوا مات حتى اجتمعوا … وابرموا واتقنوا ما صنعوا

وقدموا اولهم وأخروا … من رفع الله وغدرًا اظهروا

ثم ادَّعوا بأنه ما وصّا … وانكروا يوم غدير النصَّا

وعجَّلوا ظلم البتول الطاهره … لأنهم قد كذبوا بالآخره

واعتقدوا ان النبي كاذب … وان ما سارت له الكواكب

وما يتم امره من بعده … فأغتنموا الفرصة بعد فقده

وصيّروها دولة ومحكمة … دائرة بينهم مشتركه

حتى اذا حانت وفاة الأول … عادت الى الثاني برأي مجمل

فليت شعرى ما الذي يراه … فيه من الخير الذي وصّاه

وهو يقول لم يوصّي احمدا … فمن يذم منهم ويحمدا

من ترك الأيضاح وهو الرحمة … وهو الذي اوصى بحفظ الأمة

ليس ذا من اوضح الدلائل … ببعضهم للسيد الحلاحلِ

اذ قتَّل الآباء والأعماما … حتى اقام الدين والأسلاما

كذاك لمَّا كان موت الثاني … اقيم سوق الزور والبهتانِ

ولم يوصّي احمد معيَّنا … وقال اني ما وجدت ديّنا

لو كان حياً سالماً اقمته خليفةً فيكم وما اخّرته

لا غفر الله بها من ظالم قضى على الكلّ بفضلٍ سالمِ

وفيهم من كان يوم الخندق قال النبي الطهر قولًا مشفقِ

قد برز الأيمان وهو كله لكلية الشرك وهذا فضله

ثم بنى الشورى فويل الأمه من ستةٍ اختارهم بزعمه

وقال ما قال ابن عوف اقبلوا ومن له رام الخلافة فأقتلوا

وكل هذا من دقيق الحيلِ كانت من الشيخ على قتلِ علي

فحاطه ربُّ العلى وصانا وانقلب القتل على عثمانا

لانه اول شيء عمله وفي غدٍ لا بد يلقى عمله

ردّ الذي كان النبي طارده وقد نفى اصحابه وباعده

وذاك قد اوهنه اذ حضنه واغلظ القول له وكذّبه

لمّا رقى بالعجب مرقاة النبي ولم يخف مهلك كل معجب

واصبحت ائمة الضلال تحكم في الأجساد والأموالِ

وصار مروان له موآزرا وحاكماً في ملكه وآمرا

فأنكروا الأمر عليهم كلّهم ثم اتوه خيلهم ورجلهم

وطالبوه الأعتزال عنها فقال لا انزع نفسي عنها

وظنّ ان الدار تحمي جانبه وقومه يثنون عنه طالبه

وقال لمّا قابلوه الكلُّ ليس لها الّا عليٌ اهل

فقال لا فعل فقالوا ما لنا من غنى عنك فدبر حالنا

ثم اتوا قصدا اليه وشكوا ما نالهم واستعطفوه وبكوا

فلم يجد من ذاك بدّاً فسمح وبايعوه بسرور وفرح

واذ رأى طلحة هذا قد وجم ... وقال يد شلّت وامر لا يتم
لأنــه كان لها مؤملا ... فنكبوا عنه فأضحى خجلا
ولم يزل ينعق بالأشرار ... قوموا وشدّوا في طلاب الثار
حتى قضى موتاً بأرض البصره ... وفي قلبه ضغينــة وحسرة
واستأصل الخالق اصحاب الجمل ... بسيف خير الخلق فلّاق العلَل
فقطّع الأيـدي والرقابا ... وجندل الخلّان والأحبابا
وقام سوق الحرب في صفّين ... بكل رجسٍ مارقٍ لعينِ
حتى اذا اشفا على ان يهلك ... ويظفر القوم به وتهلك
قال له صاحبــه ابن العاصي ... عندي الك الحيلة في الخلاص
تدعو الى التحكيم والأصلاحِ ... واحمل كتاب الله بالأرماح
وقد فشا في العسكرين القتلُ ... وكلّهم قد سئموا وملّوا
حتى اذا مـا نشر المصاحفا ... لم يرَ فيمَ قالـه مخالفا
فقال مولانا لهم اذ هجموا ... مكيدة لا تفعلوا فتندموا
قالوا له لا بد من تحكيمنا ... فما رأينا الخير في تسليمنا
حتى اذا ابصرهم قد مرقوا ... واتبعوا ضلالهم ونافقوا
قال لهم فـأنني بريءُ ... من فعلكم والله لي وليّ
خلّوا ابن عبّاس وخلّوا الاحنفا ... وقدموا شيخاً كبيراً خرفا
تمّت عليـه حيلة من عمر ... ان ابنه يضحى ولي الأمر
وحدثته نفسه الخرافـه ... ان ابنه يصلح للخلافه
واختلفوا وافترقوا ايدي سبا ... وكان في ذاك الخلاف النسبا
فقل لمن اعـاب بالتحكيم ... للسيّـد المفضّل الكريم

وقال مهلًا يا علي اذ غضب ... وكاد ذاك الى القوم يثب
فمثلها يدعى اليها بعدي ... ما لك مما قلته من جدِ
ولم يزل كل لعين عادِ ... يرميه بالأضغاث والأحقادِ
حتى اتته ضربة ابن ملجم ... لا كان من رجس ٍلئيم ٍمجرم
فمات واستشهد بالصيامِ ... صلّى عليه الله من امام
جاهد فيه واقام دينه ... ثم فدا بنفسه امينه
اذ كان قد نام على الفراش ... لمّا اتته عصبة الأوباشِ
وانتقل القتل الى الحسين ... لمّا رأوه حائز الفضلين
وانه يجمع علم الدين ... من ظاهرٍ وباطنٍ مكنون
واثبت الله عليهم حجته ... به كما شاء تعالى نقلته
والشمس ان رأيتها قد كسفت ... واحتجبت عن العيون واختفت
فذلك الكسوف لا يضرّها ... لكنه يستر عنّا نورها
كمثل شيء يستر المصباحا ... عنك اذا ما زال عنها لاحا
فيا حدود الدين والحقائق ... ويا حجج الله على الخلائقِ
ماذا لقيتم من حدود الظاهرِ ... وكل شيطان مريدٍ كافرِ
سلّطهم عليكم شيطانهم ... فغرّهم وغرّه سلطانهم
وظنّ ان حقهم قد ابطله ... باطلهم تبًّا له ما اجهله
ولا رأى الشمس التي قد غابت ... في شرقها من غربها قد آبت
واشرقت ان طلعت اشراقا ... حتى ملت[1] انوارها الآفاقا
واصبحت ظاهرة في القاهرة ... بالنصر والعزّ عليهم قاهره
وصار بعد عزه بالذلة ... قد بدّلت كثرته بالقلة

[1] اصلها ملأت

والحق نور الله ليس ينطفي — لكنه يظهر ثم يختفي
كيما يشاء الله قد اظهره — وقام في الوقت الذي قدّره
لكننا في فترة القيامه — ويل لمن تلحقه الندامه
وقام زين العابدين بعده — قد عزّه الله وزلّ ضدّه
اذ رام ان يقتله فما وجد — من عصمة الله سبيلًا فأنكمد
فتمّم الله تعالى نوره — وارغم الله به كفوره
زيتونة قد قدّست وبوركت — اشرق نور زيتها ثم زكت
لأنه النور الذي لا ينطفي — وفيه للحق يقين قد خفي
قامت بأمر الله لا شرقية — في شجرة الدين ولا غربيّة
لا حجة كان ولا اماما — اقامها اذ اوجب القيامه
ثم تلاه الباقر العليم — والصادق المؤيد الكريم
فأكثر التلويح في كلامه — واشتدّت المحنة في ايامه
وكان اسماعيل قد حباه — بالنصر والتوفيق واجتباه
كأنه هرون في انتقاله — من قبل موسى حاله كحاله
اذ كان وصّى من يموت قبله — على يقين كان هذا مثله
والنصّ فيه ثابت لا يخرج — من عقبه وقت وليس يعرج
وثم ايضاً حجة لا تدفع — ظاهرة كالشمس حين تطلع
ان الأمام قائماً بالحكمة — بين الورى مؤيدًا بالعصمة
وكلما يفعله صواب — لا شك في ذاك ولا ارتياب
فعلمه والعلم من صفاتِهِ — بموت اسماعيل في حياته
اوجب ما كان من النصوص — ليعرف التحقيق بالمخصوص

وان يكن وهو الأمام ما علم | فلم يكن مؤيدًا ولا عصم
حاشاه من ظلمٍ وسهوٍ وغلط | ومن هوًى يشوبه ومن شطط
وثم قولٌ قالهُ من يجحد | بفضل اسماعيل وهو يقصدُ
بأنه مات وخلّى الأمرُ | وصيَّه موسى وهو سرُّ
ثم نسى ما قاله نبينا | محمد صلّى عليه ربنا
ان الأمامين الحسين والحسن | فضلها باقٍ على طول الزمن
وليس بعدهما لمن سمع | امامة في اخوين تجتمع
فليس موسى وحده اخاه | قد كان ثم اخوة سواه
فما لهم لم يدعوا لمّا انتقل | دعواه ان كان كما قالوا فعل
وبعد هذا قد رأينا كلنا | وصحّ في نقلكم ونقلنا
قول النبي انني مخلف | للثقلين فيكم فأئتلفوا
هذا كتاب الله وهو آيتي | واهل بيتى بضعتي وعترتي
لا فرق فيما بينهما اذ يردا | عليٌّ فيمن يرد الحوض غدا
وانهُ لا بدَّ من امام | يقيم فينا سنن الأسلام
للصدقات والزكاة يأخذ | وامره بالعدل فينا ينفذ
وتهتدي بهديهِ العباد | ويستسنُّ الحج والجهاد
ولم يرَ من عقب موسى قائمًا | اقامه الله ليهدي العالما
ولم يقم دعوة آل المصطفى | واثبت النور الذي قد انطفى
واظهر الأسلام بالحسام | وانف من يستاء في الأرغام
حتى غدا ذكر عليًا قد علا | وفاز بعد عزهم اهل الولا
غير الأمام السيد المهديّ | من نسل اسماعيل والوصيِّ

فأن زعمتم انه ينتظر وانهُ قد غاب ثم يظهرُ
فما على من مات في جهالته لوماً اذا ما مات في ضلالته
وانما اللوم على الأمام اذ حجب النور عن الأنام
وان زعمتم ان ربَّ العالم غيّبهُ والله غيرِ ظالمِ
ما كلّف العباد وهو ارأف سبحانهُ وطاع من لا يعرف
وصحَّ في البرهان والدليل ان الهدى في بيت اسماعيل
وانه الوارث دون اخوته مرتبة الصادق في خلافته
وقام في مقامه المحمود محمد السابع ذو الحدود
فسلّم الأمر اليه الصادق وهو بهِ في كل حالٍ واثق
فصار فيه قوة التربيع مجموعة وقوة التسبيع
وصار بالقوة روحانياً من بعد ما قد كان جسمانياً
وانتشرت دعوته واسفرت من حكمةٍ مكنونةٍ قد ظهرت
وكان سلطان بني العباس في ذلك الوقت شديد الباس
وهو الذي اوجب خوف مقته غيبةِ اسماعيل قبل وقته
وغاب من خيفته محمد ولم يزل يطلبه ويرصد
والله قد ظلّله بكنفه ثم كلاه واختفى في كهفه
واسترت من بعده الأئمة والظلم قد عمَّ الورى والظلمه
ثم انقضى الصوم وجاء العيد وقام فيها مهديها السعيد
والحق القائم عيد الفطرِ والقائم الدائم عيد النحر
بينهما سبعون يوماً عددا من قبل التعليم فيهم سعدا
اولها المهدي وهو قد ظهر والآخر القائم وهو المنتظر

وبينهم ائمة وهي الظلل بيوت نور الله اصحاب الدول
وباقيَ العـدة ابواباً لهم تظهر اذ تدعو اليهم فضلهم
قد عرف القائم من يعرفها وهو الذي آياته يكشفها
اذ الأسابيع لها مراتب يعرفها بالعلم كل طالب
افضلها سابعهم لقربه من صاحب الكشف بأمر ربه
اذ هو لا شك امام الدين والخلف القائم باليقين
وما متمُ الشرع في الحلالِ كالخلفا لصاحب الكمال
والقائم الخامس بعد المهدي فهو اعتمادي وعليه قصدي
اذ قلت ذاك الوتر كان الوترا او ليلة القدر فكان القدرا
والسادس المنصور منصوراً كما سما على الاعدا[1] علواً وسما
ذاك الأمام قاتل الأبطالِ لمّا اتو في عصبة الضلالِ
وخاتم السبع المثاني الغرِ وبدر دين الله اي بدر
ذاك الأمام السيد الفرد العلم رب العلوم والكمال والحكم
وهو الذي اتابه في الترويه لأنه ممثول يوم الترويه
ما قبله يوماً من الأيام يعزى اليه الحج في الأسلام
وفيه يأتي كل من حجَّ منى وهو بلا شك كما قيل المنى
وهو العزيز بن المعز المرتجى به فيرجو العارفين الفرجا
لأنه الثامن بعد السابع وذو الكمال كله في التاسع
ممثول يوم النحر وهو المنتقم في سيفه للمارقين مصطلم
وفيه وضع الحمل والظهور ويظهر المكتوم والمستور
وقام امر الله في عالمه وحكمة العادل في حاكمه

١) في الأصل الاعداء .

فخرّب الكنائس المشيّدة — في ارض مصر واقام الاعمدة
ثم بنى وبيّض المساجدا — لمّا غدا لله فيه عابدا
ثم نهى عن شرب كل مسكر — وكل ماء فاتر مخمَّر
ثم رأى من اصوب الصواب — قتل الخنازير مع الكلابِ
ثم رأى حبس النسا[1] ونادا — وشدّد الأمر به وعادا
فلم تكن امرأة لهيبته — تظهر بين الناس قبل غيبته
وهي اشارات لأمرٍ يأتي — عند تمام الدور والميقاتِ
واظهر الدين الأمام الظاهر — وهو بحكم الله فيه صابر
فنافقت قبائل الأعراب — طيٌّ وكعب وبني كلاب
ولم يزل حتى يقوم ميلها — وشتّت الله تعالى شملها
وقام مولى عصرنا المستنصرُ — وهو الذي للمؤمنين ينصرُ
به يتمُّ الله وعد جده — اذ جده في النطق مثل حده
حتى يقيم الله من اولاده — عدلًا يقيم الحق في عباده
لأجل ذا قال الأمام جعفر — يدفنُ منّا نفسه ويسترُ
ثلاثة بهم كمال امرنا — تخالفهم اربعة من غيرنا
ثم يقوم الولد النفيس — والسيد المؤيد الرئيس
ذاك الأمام قائم القيامه — لا شكّ في ذاك ولا ملامه
ويقتل الخنزير كلب الروم — وتنشّ بنداد خليف اللوم
وكل جبارٍ من الملوكِ — ويجعل المالك كالمملوكِ
ويمحق الأنصاب في اقطارها — ثم يقيم العدل في امصارها
وتطلع الشمس بنورٍ قد بهر — وتنجلي الظلمة عن حد القمر

1) في الأصل النساء .

ويغلب النور على الظلام وتشرف الأرضين بالأمامِ
وتكسف الشمس التي من قبل كان لها في الكائنات فعل
ولم لعمري مرّةً قد كوِّرت واخفيت عن الورى واظهرت
وكم سماء طويت وبدِّلت ارضاً بغير ارض ثم زلزلت
ويبطل القول الذي بالسكر يفعل بالأرواح فعل الخمرِ
وتبرز الحور من الخدور وتنشر الموتى من القبور
وتنمي الآثار والرسوم ويكشف المستور والمكتوم
وهو الذي تضحي به النفوس غذائها التسبيح والتقديس
وينقضي الستر ويمضي دوره وظلمه على الورى وجوره
ويرجع الدين بعلم محضِ والدين في الحسِّ كغصنٍ غضِ
ويبطل التركيب والتكايف حين يجيء الرب والصفوف
وتظهر النفس لمن اطاعها ومن رأى خلاصه اتباعها
وترجع النفس التي اطمأنت الى الذي من قبل فيه كانت
وتبعد الأخرى عن الثواب الى محل الهون والعقاب
مع كل شيطانٍ كفورٍ ماردِ مكذب لربه معاند
يسبح في بحر الهيولى مغرقا لا منقذ ينقذه من الشقا
وهكذا ان زالت الأدوار تمضي وتأتي بعدها الأكوار
حتى تعود الأنفس الجزئية كما بدت في الرتبة العليّة
قد خلصت من كدر الطبائعِ ومن محل الهون والتواضع
وتبلغ النفس اجلَّ الغرضِ وينقضي من حملها ما ينقضي
اذا حوت بالسعي والتلطفِ منزلة العقل الأجل الأشرف

واصبحت راجعة قوتها ... الى التي لربها رجعتها
واعرضت عن الكثيف المظلم ... واشتغلت عنه بشكر المنعم
وتخرب الطبيعة المنجّسة ... وتعمر الطبيعة المقدّسة
والحمد لله العليّ الفضلِ ... رب البرايا واله الكلِّ
والحمد حمد الواحد العليّ ... والشكر شكر العالم السفليّ
بهم اليهم ابدًا توسلي ... ثم عليهم دائمًا توكلي
وسلّم الله تعالى وحبا ... سيدنا الطهر النبي المجتبا
ثم على وصيّه والأهل ... افضل من خصّهم بالفضل
ثم على الأئمة الكرام ... اعلاهم الله على الأنامِ
وخصّ مولانا ابو تميم ... بأفضلِ الصلاة والتسليم
ونجله مولى الهدى المستنصرُ ... وهو الذي يقضي وحقًا يأمر
وعبدك «الصوري» يامولى الورى ... كم ليلةٍ حرّم عينيه الكرى
معتمدًا للفظه ونظمه ... بجهد ما ادركه من علمه
فما اصاب فكره من ذاك ... فأنه منك ومن نعماك
فجد له بالعفوِ والغفرانِ ... يا مالك المنة والأحسان
واغفر له فأنه مقصِّر ... ولم تزل للمؤمنين تغفر
وصلي يا ربيّ على المختار ... محمد المخصوص بالأنوار
وآله الأطهار سادات الورى ... من نسل مولانا الأمام حيدرا
صلّى عليه ربنا وسلّما ... ما غربت شمس وليل اظلما

« تمّت »



الفهرس

البحوث التي كتبها عارف تامر عن الاسماعيلية

« اربع رسائل اسماعيلية » منشورات دار المكشوف بيروت – لبنان ١٩٥٣
« حول رسائل اخوان الصفاء » مجلة العرفان المجلد الرابع والثلاثون نيسان ١٩٤٨
« الحاكم الفاطمي في منشور مخطوط » « » المجلد الخامس والثلاثون صفحة ١٣٠٧ ١٩٤٨
« ادب الاسماعيلية » » » » » » » ٩٧٤ ١٩٤٨

Bahram B. Musa — the Supreme ismailia Agent [New-ismailia — uganda-Kampala. Nº 4, 21 mars 1954].

The ikwanul - Safa and the Kallanul wafa [New-ismailia - uganda - Kampala. Nº 9, 1er Juin 1954].

لمحة من تاريخ الجهاد المقدس – بين صلاح الدين وسنان والصليبيين
جريدة الزمان الدمشقية عدد ٣٦٤ تشرين الثاني ١٩٥٣

بين صلاح الدين وسنان والصليبيين–براعة الملك الفاتح تقضي على مناورة الصليبيين
جريدة الزمان الدمشقية عدد ٣٩٢ ١٨ كانون اول ١٩٥٣

لمحة من التاريخ الاسماعيلي – سنان راشد الدين او شيخ الجبل
مجلة الاديب مجلد ٢٣ عدد مايو ١٩٥٣

دراسات تاريخية اسماعيلية – الامير مزيد الحلي الاسدي
مجلة الاديب مجلد ٢٤ عدد اغسطوس ١٩٥٣

ما اغفله التاريخ عن الفرقة الاسماعيلية الباطنية السورية
مجلة الحكمة عدد ٤ سنة ٣ شباط ١٩٥٤

« تأويل القرآن في الاعتقادات الاسماعيلية »
مجلة الحكمة عدد ٧ سنة ٣ شهر نوار ١٩٥٤

صفحات من التاريخ او الفترة المنسية من تاريخ الاسماعيليين السوريين
مجلة الحكمة عدد ٩ سنة ٣ تموز ١٩٥٤

صفحات اغفلها التاريخ عن الفرقة الاسماعيلية السورية
مجلة الحكمة عدد ١١ سنة ٣ ايلول ١٩٥٤

دراسات تاريخية ادبية اسلامية – الشاعر المغمور الامير مزيد الحلي الاسدي
مجلة الحكمة عدد ٣ سنة ٤ كانون ثاني ١٩٥٤

رسالة

التحاميد الخمس

تأليف

داعي إسماعيلي مجهول

تحقيق

الدكتور عارف تامر

دراسات اسماعيلية

تحقيق وتأليف: د. عارف تامر

منشورات أكاديمية الكوفة - هولندا

الإهداء:

الى المدرّسة الجامعية العراقية الدكتورة.. ف... ش... التي عرفتها قارئة جيدة للاسماعيلية، ومتفهّمة لتاريخها وآدابها وفلسفتها، ووفيّة لمن ساعدها وأشرف على دراستها وتحصيلها، وعلى أطروحتها التي تقدمت بها «الجامعة عين شمس» المصرية ونالت عليها شهادة الدكتوراه بامتياز.

«عارف»

هذه الرسالة:

ظهرت هذه الرسالة القيمة المسماة «التحاميد الخمسة» بين المخطوطات الاسماعيلية لدى أحد الأقربين المخلصين في بلدة «قدموس» الذي رغب أن يقدمها لي مشكوراً. وبعد قراءتها وجدتها من أقوم وأعمق الرسائل الاسماعيلية الفلسفية، ممّا جعلني أفكّر بتحقيقها ونشرها، ولكني اصطدمت بعدم وجود نسخة ثانية، وكان أن قمت بحملة تفتيش وتنقيب، فعثَرت في نهاية المطاف على عددٍ من النسخ في مدينة «مصياف» تحمل نفس العنوان، ولكن بعد التدقيق والمقابلة وجدت اختلافاً في الأصل وبعداً شاسعاً بين النسخ المذكورة وهذه النسخة، مما جعلني أؤكد أن نسخ مصياف ليست اسماعيلية أو أنها محرَّفة، بدليل اختلاف لغتها واصطلاحاتها فضلاً عن أن كلماتها وتعابيرها تطغى عليها «الصوفية» المطعّمة بالأفكار الباطنية المتطرفة كالغلو والحلول والتقمص والتناسخ، وكل هذا لا تقول به الاسماعيلية الأصيلة الصحيحة، بل تنكره وتكفّر كل من يقول به.

إن الرسالة التي نقدمها الآن وحيدة ونادرة وقيِّمة وتختلف عن الرسائل الأخرى التي ذكرناها. ولا شَك أن مؤلفها من كبار الدعاة الذين ضربوا بسهم وافر في مجال العلوم الدينية والفلسفة الاسماعيلية، بل وأؤكد أنه من المجاهدين الذين آثروا إبقاء أسمائهم مجهولة خدمة للعقيدة التي آمنوا بها، وزهداً في الشهرة الزائلة.

هذا كل ما يمكن قوله تعليقاً على الموضوع الذي نحن بصدده... والله من وراء المقصد.

شهر شباط ١٩٩٦م

«د. عارف تامر»

١

التحميدة الأولى

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله الذي اصطفى من عباده كل داعي، وجعله إلى الخيرات وقبول أوامره ونواهيه داعي. وصلّى الله على نبينا محمد الذي جعله مُبدِع الوجود ناطقاً وبشيراً ونذيراً وراعي، وعلى الأئمة الذين من عرفهم حق معرفتهم صار لهم ملحقاً وتابعاً وساعي، وسلّم تسليماً جميلاً عليهم أجمعين.

أما بعد... فقد اطلع بعض المحققين العارفين على حقيقة بدء الوجود، وشهدوا أنّ الباري المتعالي هو غاية الغايات، ومبدع الذات، ومخترع الصفات، والمنزه عن الأدوات والذوات، والجاعل حدوده دالة عليه، ومشيرة إليه.

فاعلم أيدَك الله بروح منه: أنّ النطقاء، والأسس، والأئمة، والأبواب، والحجج، والدعاة المحقين لهم أسماء ممثولة، وحدود معقولة، أوجدهم مُبدِع الوجود، وأنّ باري البرايا، اصطفاهم لتخليص الخلق من أسر الطبيعة والارتقاء بهم إلى المنزلة الرفيعة، وأن الأوصياء الظاهرين للعيان المعروفين لدى أهل البرهان، هم:

«هُنيد، فالغ، تارخ، عدنان، خزيمة، عمران، وعلي صاحب ذو الفقار».

فباري البرايا المجرَّد عن الأسماء والصفات لا يخلو منه مكان، ولا يحوزه زمان. فهو سبحانه وتعالى إلهي الذات، سرمدي الثبات، ولو لم يأتي بحدوده لما كان للخلق وصول إلى معرفته وتوحيده. فآدم أتى بالولاية لأنها أصل الدين والغاية، وأتى نوح بالطهارة لأنها من الدين الأفضل بالإشارة، لأنّ النجس في دينه هو الناقض لعهده ويمينه، والطاهر من الشكوك والشبهات هو المنعوت من باري البرايا بالذات، لأنه تنزّه عن التحديد والتعطيل والعدم. ثم أتى ابراهيم بالصلاة، وهي الصلة بين العبد ومولاه، ومنها المواظبة على عودة الطالب إلى معدنه الشريف. أمّا تاركها فينسلخ عن المعرفة عند انفصال نفسه عن بدنه، ثم أتى موسى بالعصا والزكاة وهي تأديب المنقطعين من المستفيدين، لأنَّ عصاه هي بعض آياته، ومنها ينال المستفيد العلم الذي هو زكاة عمله، ثم أتى عيسى بالصوم وهو دليل على انتباه الفاضل المتكامل وصحوته من النوم، لأن السكران هو الجاهل بما عنده، والنائم هو الغافل لحدِّه، ثم أتى محمد بالحج إلى البيت الحرام تنبيهاً للطالبين الراغبين معرفة الحقيقة، فهو السالك للسبل القويمة، والقاعد للسماح والغفران لأولئك الذين ران على قلوبهم، ثم يأتي القائم المنتظر بالجهاد حسّاً على الاجتهاد، لأنَّ القائم بأمر المتعالي المبدع مفيد الحكم، والناطق بما يفيض به من النعم.

وإن جميع هؤلاء لباري البرايا حدود ممثولة، وهو سبحانه أب لهم ومفيد، أمّا الموجود المحسوس المنظور بالعيان، والمنعوت بإمام العصر والأوان، فهو ممثول العقل الثاني، وأما مبدع الإبداع، ومخترع الاختراع، ومقيم الإرادة والمشيئة، وخالق العقل والنفس والهيولى، فهو موجد المخلوقات، ومظهرهم على أحسن نظام. وأمّا الحدود الذين أبدعهم فقد نظروا إليه بعين الجلالة والتعظيم، ونزهوه عن التحديد والأسماء والتجسيم، وعرفوه أنه مُبدِع الوجود، ومركز الدلالة، والفاعل فعل إبداع الخلق والوجود، والمعلم الخالق للحدود، وباري البرايا سبحانه، الجاعل حججه علينا، وخيراته وبركاته واصلة إلينا، فهو الذي أمدَّ العقل بلطفه وإحسانه، والعقل

أمدَّ الإرادة ببيانه وبرهانه، وأمدَّت الإرادة المشيئة بما أمدها العقل من القوى، كما أنَّ العقل فاض على النفس، والنفس فاضت بمادتها على جميع الموجودات ومنها السبع والاثني عشر والمعدن والنبات والإنسان، وإن المؤسس المحقق المفيض لهذه الفضائل هو أول الفكر وآخر العمل، لأنَّ باري البرايا المتعالي هو المترجم باللسان عن الإرادة والمشيئة والقلب والجنان، والعقل والنفس هما الحقيقة والإيمان، وهؤلاء في المعنى واحد، وفي اللفظ اثنان، إذا المعنى هو المالك لجميع الآلات اللطيفة الروحانية، والعقل قريب من القوة الحافظة إذ هي لباري البرايا ملاحظة، والإرادة قريبة من القوة المصورة للعلم، والمشيئة قريبة من قوة المتخيلة المتجردة من الشكوك والشبهات، لأنها من الإرادة كالإرادة من الذات، والعقل أيضاً قرين لقوة الذاكرة، لأنها لمن أولاها النعم شاكرة، والمعنى حاكم على جميع هذه القوى ومدبرها ومستعملها كما يريد، وإن المبدع سبحانه وتعالى لما سبق في علمه إيجاد الوجود أبدع العقل وسمَّاه الأول والسابق والمبدَع، ثم إنَّ المبدَع أوجد ست متمين وكان هو السابع وتسمَّى «المطاوع» ثم جعل منهم ست متمين وكان هو السابع وتسمَّى «الحفيظ»، ثم جعل منهم ست متمين وكان هو السابع وتسمَّى «الشفيع»، ثم جعل منهم ست متمين وكان هو السابع المقبل وتسمَّى «الكفيل»، ثم جعل منهم ست متمين وكان هو السابع وتسمَّى «الأمين»، ثم جعل منهم ست متمين وكان هو السابع وتسمَّى «الإمام»، فتمَّ بذلك عدة الوجود، وهكذا كانت ذوات الإبداع «تسعة وأربعين» وكان هو «الخمسين». فقبل آدم سبعة أئمة في العدد هم: «المبدَع، المطاوع، الحفي، الشفيع، الكفيل، الأمين، الإمام» فهم في المعنى واحد، وباري البرايا هو التمام والكمال سبحانه وتعالى تنزَّه عن الأسماء والصفات، وعلَّم حده الأول الأسماء، وأطلعه على علم ما كان وما سيكون، وإنَّ المؤمن المحق هو في المنزلة العليَّة الرفيعة، وهو الإبداع الجليل لأنه كشف للمستجيبين الدليل، والمؤمن المحق هو الحفيظ والشفيع، لأنه للذات بصير، وللناطق سميع، والمؤمن المحق هو الكفيل والأمين لأنه حامل توحيد رب العالمين، والمؤمن المحق على الحقيقة هو الإمام بالكمال والتمام.

هذا... واعلم أيدَكِ الله وإيانا بروح منه، أنك ما دمت جئت إلينا سامعاً مستجيباً وقابلاً مستفيداً، فإنَّ المبدِع المتعالي لم يبدع العقل إلاَّ بعد ظهوره له بالصورة الإلهية دفعة واحدة بلا زمان، فنطق بالتنزيه وتولَّد في تلك اللحظة نور إلهي تسمَّى «الوحدة» ومنه تولَّد نور ثاني تسمى الإرادة والهيولى فكان صورة لها، ثم لحظت بنورها فتولَّد نور ثالث تسمَّى «المشيئة» والإرادة هي هيولاها، والمشيئة صورة، فتولَّد نور رابع تسمَّى «العقل» والمشيئة هيولى والعقل صورة لها، ثم خلط العقل نوره بنوره فتولَّد نور خامس تسمَّى «النفس» والعقل هيولى لها والنفس صورة، ثم لحظت النفس نورها بنوره فتولَّد في تلك اللحظة نور سادس تسمَّى المركَّبات والنفس هيولى لها والمركبات صورة لها، وكانت اللحظة التي ظهرت عن المبدع سبحانه للصورة الإلهية على معرفته، فصار بهذا الاطلاع صاحب الأمر والخلق والإبداع، وظلَّت كيفية الظهور خافية

حتى على أهل المعرفة.

فاعرف يا ابني رتبتك التي اقتبستها عن أهل التأويل، ووقفت بها على كافة الأقاويل، وتبيّن منزلة مفيدك المنعم عليك الذي رقّاك إلى هذه الرتبة العليّة، ونقلك من الحواس البشرية إلى النعَم الروحية لتسلم في دينك من العوارض والأوهام، وتنقل إلى دار النعيم والأعلام.

واعلم يا ابني أيّدك الله بروحٍ منه، أنَّ الواجب يقضي عليك أن تدلي بكل ما يجول في نفسك، وما يخطُر في فكركَ، عن الدين، وعن النبوءة الناطقة، وعن الوصاية السابقة والأمامة اللاحقة حتى تكون في القدرة للإجابة وإعطائك ما تستحقه رتبتك من العلوم. ولي عليك عهداً وميثاقاً أن تجيب على أسئلتي دون زيادة أو نقصان، لأنَّ أمور الدين كما ترى مجهولة في أكثر المخلوقات، وإن الخلافات بين الأمم أسبابها انصراف الناس عن الأئمة الأطهار الذين أقامهم الله وفوّض إليهم حفظ الشرائع والتمسك بظاهرها وباطنها، وهكذا فسدت أحوال الناس وانحدروا إلى مواطن الضلال عندما عدلوا عن طاعة الرسل والوارثين الأئمة أولياء الله، وعندما حكموا حسب عقولهم وما سمعوه من ساداتهم وأسافلهم طلباً للدنيا وبعداً عن الرسول وكتاب الله عز وجل. فالدين يا ابني وجد لترك القبائح والشهوات، وهو علم خفي ومستور لا يحمله إلاّ ملَك مقرَّب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن. وأخيراً:

فإنَّ رغبتي إليك أن تدلي بما ذكرته لك بالأمس عن الفرائض، وهل تقوم بتأديتها كاملة مع تأويلها ومعانيها؟

المستفيد:

لقد سبق لي أن أدليت لك بكل ما طلبته مني عن الفرائض ومعانيها وتأويلها في الظاهر والباطن، وإني لا أزال بحاجة إلى المزيد.

المفيد:

كن على ثقة بأني سوف لا أدخر وسعاً من إطلاعك على كل ما يساعدك على الارتقاء إلى رتبة أعلى. فإلى الجلسة القادمة.

والحمد لله الذي جعلنا من أسمائه وصفاته، وجعل نقلتنا بعد ذلك إلى ذاته، وصلّى الله على سيدنا محمد الذي نال فوائد مُبدِع الوجود وبركاته، وعلى مولانا الإمام علي الذي بواسطته ارتقينا إلى منازل العلم ودرجاته، وعلى الأئمة الأطهار من ولده الذين بمعرفتهم تخلص نفوسنا من التكرار وسلم عليهم أجمعين.

التحميدة الثانية

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله الذي أطلع أولياءه على معرفة أسراره الخفيّة، إذ لم يستحق الدخول إليها إلاّ من كان حافظاً لّدينه صافي النيّة.

وصلّى الله على نبيه الذي كان مخلصاً في تولية حاضر وقته الذي نعته من جرّاء إخلاصه

بخير البريّة. وعلى صاحب «ذو الفقار» الوصي على صاحب الأوليّة، وحامل الأسماء الروحانية، وعلى الأئمة من ذريته الذين من آمَّن لهم وأطاع أوامرهم ونواهيهم رفعوه إلى أعلى المراتب السنيّة بما اطلعوا عليه من النواميس الإلهية وسلم عليهم أجمعين.

المفيد:

أعود إليك يا ابني لأحدثك حديث الأمس. فاسمع ولا تنسى شيئاً ممَّا سأقوله لكَ.... اعلم يا ابني أن إقامة الفرائض وحدها دون معرفة لا تؤدي إلى مرضاة الله، ولا يكون منها ثواب إلاَّ إذا جاءت عن طريق الأئمة. فهؤلاء أقامهم الله لحفظ شريعته وصيانة دينه. فهم سبعة بين كل ناطق دور وناطق بعده، وإن ترتيبهم كترتيب السموات والأرضين والكواكب وغيرها من الموجودات، وهم أصحاب التأويل، والوارثون علم النطقاء بالأدلة والبراهين. وأمَّا النطقاء فعددهم أيضاً سبعة وكل واحد لا بد له من صاحب يأخذ عنه تعاليم دعوته ويحفظها على أمته، فيكون له ظهيراً في حياته ثم يخلفه بعد وفاته، ويتخذ له ظهيراً يخلفه، ويسير على هذا المنوال إلى أن يأتي على شريعته سبعة ويقال لهم «الصامتين» لأنهم ثبتوا على شريعة واحدة، فإذا انقضى دور هؤلاء السبعة، يبدأ دور ثاني من الأئمة يفتتحه نبي ناطق ينسخ شريعة من مضى، ويخلفه سبعة وهكذا حتى يقوم الرسول السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع المتقدمة، ويكون صاحب الزمان الأخير، ونهاية الأدوار والأكوار.

المستفيد:

لقد نورتني أنار الله قلبك بأنواره، ورزقك بفضائله، وأعلى قدرك بقدرته. ولكن عليك أن تنعم عليّ بعلم يخلصني من أسر الطبيعة ويرفعني إلى مراتب الدعوة الرفيعة.

المفيد:

اعلم يا ابني أن المستجيب مثلك يرتقي في درجات الدعوة الهادية حسب قدرته وخدماته، وما يبذله من جهد في تحصيل العلوم وإطاعة الأوامر والانقطاع إلى الخدمة، فبعد أن يستقيم على الطريقة ويحفظ أسرارها ويطيع الحد الذي يأخذ عنه، يسمح له بالتحرك نحو عالم الحقيقة، وعندئذٍ تنهال عليه الأسرار الإلهية أولاً فأولاً على التدريج حتى إذا أنيرت بصيرته وظهرت صورته أطلق من الوثاق ومنح رتبة «مكاسر» ونصب لجميع الفرق «مناظراً» فإذا نجح في مهمته وبلغ في المعرفة مبلغاً حسناً أقيم «مأذوناً مطلقاً» فإذا ازداد معرفة صار «داعياً» للبلاغ، وأذن له بالتأييد في الإبلاغ، فإذا اتصل به التأييد الكلي من جانب حد الخيال صار «باباً» ومجمعاً شريفاً وحجاباً يتسلَّم الصورة من الأفلاك جميعها، ويتصل بصورته الشريفة، وفي صورها ومقام هذا الحد هو «الباب» أو الحجة العظمى.

إن المستجيب يا ابني يمكنه أن يترقى في الدعوة حتى يصل إلى مرتبة الحجة العظمى «الباب» كما قلنا، وهي المرتبة التي لا يمكن له تخطيها، لأن المرتبة التي تليها هي «الإمام» التي لا ينالها إلا من يتحدَّر من عترة «أهل بيت» الرسول الكريم الذين فرض الله علينا طاعتهم،

والأخذ عنهم والاقتداء بهم.

المستفيد:

لا أستطيع أن أعبّر لك عن شكري لما أنعمت عليَّ به من فوآئد العلوم وروائع المعرفة، ولكن لا بد لي الآن من عرض ما في نفسي من المسائل التي استطار منها لبي، وخشيَ قلبي فلم يأخذني منها قرار لما فيها من عجائب الأسرار، وأعتقد أنها من العلوم الغريبة، فاختلج سري وفكرت في أمري، فلم أجد من يطلعني على هذا السر الخفي، والعلم الجلي، وليس عندي دواء لإزالة ما في قلبي من القلق وما بعينيَّ من السهاد والأرق إلاَّكَ، فأنت بغيتي واتكالي عليك في الشدائد لإفادتي الاطلاع عن المغيبات والفوائد.

المفيد:

اعلم يا ابني وفقك الله إلى الثبات، وعصمك في دينك من الزيغ والزلل والنكبات: أنَّ المؤمن المحق إذا صَفت نفسه من كدر الجهالات والارتياب، وتخلّق بأخلاق ذوي الألباب انفتح له من العلم ما كان مغلقاً من الأبواب، وسمَت رتبته على من عصى وأفادته إذا كان معاقباً ورحمة إذا كان مثاباً، عندما تصفوا نيته عن الغم عليه ويتوجه بقلبه إليه، وأنت فقد ارتقيت إلى هذه الرتبة السنيّة، ووقفت على العلوم الحقيقيّة وأخلصت طاعتك لمن خلّصك من التشويه فيما تطلب وتسأل عنه من المخفيّات. فقل لي: ما الذي ترغب فيه من العلم الجلي حتى أطلعك عليه بمشيئة مُبدِع الوجود، فإنَّ أسرار باري البرايا خفيّة مستورة وخلف حجاب فلا يطلع عليها إلاَّ من دخل عليها من الباب.

المستفيد:

أريد من فضلك يا مولاي أن تعرفني أي من الاستقصّات الأربعة سبق، وكيف أبدع الباري العقل الأول؟ وهل كان سابقاً للاتصال به أم مسبوقاً، وما العلة في وجوده بلا زمان، وهل كان ظهوره والأشياء موجودة، أو غير موجودة، وكيف عرف ظهوره من غير وجود الأشياء بالتحقيق. أريد معرفة هذه المسائل الغامضة عن الخليقة، وهذه الرموز الخفيّة؟

المفيد:

اعلم أيّدك الله وإيانا بروحٍ منه، أنَّ هذا العلم هو سر المُبدع الذي لا يزول، فإنه لن يناله إلاَّ ملَك مقرّب أو رسول مرسل. فهو العلم الذي تلقاه آدم من ربه فتاب عليه لمّا غواه ضده، وألقاه إليه، وهو العلم الذي نجا به نوح في السفينة، وفرَّ من الكافرين بما أنكروه من نواميس مبدع رب العالمين، كما أنه العلم الذي توجّه به إبراهيم بعد اتصاله بالثلاثة حدود، فرقّاه مفيده إلى معرفة ابتداء هذا الوجود، وهو أيضاً العلم الذي نجا به موسى لمّا أنس من جانب الطور ناراً. فكان به عند ربه مختاراً، ثم هو العلم الذي وصل إلى مريم وهي في المحراب لمّا سألها زكريا فقالت: ﴿هو من عند الله إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾. فألقته مريم إلى ولدها يسوع فكان لها به طاعة وخضوع وهو العلم الذي كان محمد بحاجة إليه، فأرسل إليه الواسطة

بأمر باري البرايا سبحانه ليلة المعراج. إنَّ إطلاعك على هذه المقالات إذا قدرت على حملها فزت في الدنيا والآخرة.

المستفيد:

مولاي... بحق من أيَّدك بالتأييد العظيم، وأطلعك على معرفة هذا الأمر الجسيم، لا تتركني خالياً من المعرفة، وأجبني الإجابة الكافية على هذه المسائل، فقد تبيَّن لي أنها السر المصون والعلم المخزون، وقد طرقت دون الخلق بابكَ. فلا تضنَّ أو تحجب عليَّ حجابكَ، فقد خبرتني وامتحنتني وعرفتني قبل ذلكَ، لهذا فأنا بكليتي بين يديكَ، وها إني أسلِّم أمري إليك، وأرضى بما تحكم عليَّ فاجبر خاطري بما تحكم يا مولاي، حفظك الله ورعاك.

المفيد:

إنَّ هذا صعبٌ مستصعبٌ، وسرٌّ من الأسرار مستور مقنَّع ما حمله إلاَّ ملَك مقرَّب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحنه الله، وما حمله إلاَّ من أراد الله أن يحمله، فمدَّ يدك إلى معاهدتي على ما أريد، إذا كنت تريد حمل هذا العلم العسير.

المستفيد:

إنَّ لي بصحبتك عدة سنين يا مولاي، وقد أطلعتني على معرفة مُبدِع العالمين. فهل رأيت من ريب أو فتور؟ هذا ويجب أن تعلم أني بهذا مأخوذ وغيور. فقل لي بما عندك ممَّا سألته؟ وأعاهدك على كتمان هذا العلم إلاَّ عن أهله.

المفيد:

اعلم يا ابني أيَّدك الله بروحٍ منه. إنَّ الجود الساري فيك، الباصر، الذائق، الشام، اللاَّمس، السامع، هو الناطق بهذا العلم الغريب الذي لم يعطى إلاَّ لأهل التأويل، ولم يسمع مثله في الأقاويل. فقل لي أي مسألة تريد من هذه المسائل، واعلم أنَّ الجود الساري فيك، الباصر، الذائق، الشام، اللاَّمس، السامع، هو ما ذكرته لي الآن، وهو مطلبي وهدفي بإعلامك عنه وشرحه إليك.

المفيد:

اعلم يا ابني أيَّدك الله وإيانا بروحٍ منه، أن الحكيم الفاضل قال: «إنَّ الله أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه، وبدينه على وحدانيته، وقد نظرنا فلن نرَ في الوجود شيئاً يخرج على الاستقصَّات الأربعة، ثم نظرنا إلى الاستقصَّات فوجدناهم ذوات أجسام ونفوس، فكان الجسم واحد والنفس واحدة، ثم نظرنا إلى ذاتها فوجدناها في حالاتها الأربعة. فهي الماسكة للأجزاء الحالة في جميع الموجودات، ثم نظرنا إلى الأصل فيهم فوجدنا ألطفهم الذي ظهر عنهم وعندئذٍ كان ابتداء ظهور العقل عن الباري جلَّ وعلا ـ سبحانه لما سبق في علمه أن لا بد لهذا الوجود من مدبر قدير.

المستفيد:

قد شفيت قلبي وعلتي بجودك وبيانك يا مولاي، وأزلت حيرتي بعظيم برهانك، فعرفني هل كان سابقاً بالاتصال بالباري جلّ جلاله، أم مسبوقاً إليه، وما العلة في وجوده بلا زمان بالأدلة عليه قبل أن تعرفني كيف كان ابتداء هذا الفضاء المنظور، وما في نفسي من سطور؟

المفيد:

اعلم أيّدك الله وإيانا بروح منه. أنَّ الزمان بالحقيقة هو حركة دوران الفلك بالتكرار، وإنَّ الباري أوجد الاستقصّات والطبائع الأربعة والامهات، ورسم في العقل قبل أن يرسم في النفس بلا ذوات، لأنَّ المُبدِع جلَّ جلاله مبدع لطيف، ظهر العقل عنه لما سبق من اطلاعه عليه، فهو ابتداع الظهور، ولم يجعل سبحانه للإرادة ولا للمشيئة ولا للعقل أو للنفس أي بعد عنه فهم أسماؤه وصفاته، والعقل هو الأول السابق بالرضى والخضوع، وصاحب الأولية والشفاعة.

المستفيد:

إنَّ اتصالي بك يا مولاي في البداية لم يحقق لي الرغائب كلها، ولم يوجد بي حاجة إلى المعرفة. والآن: لا تحرمني من موضوع الابتداء وكيف كان؟

المفيد:

اعلم يا ابني أيدك الله وإيانا بروح منه. أن كل شيء كان منشئاً كائناً، وكل كائن موجود. وإنَّ الباري جلَّ وعلا لمَّا أبدع العقل جعل له مكاناً وقال له كلمته العليا «كُنْ» وهي مركبة من حرفين محدودين. فنظر الباري جلَّ جلالة نظرة روحانية ظهر منها هذا الكون الواسع دفعة واحدة بلا فكرة أو ارتياب، وأنشأت في تلك اللحظة الأمهات والأركان، ثم تصوَّر الفلك وصورة الإنسان والمعدن والنبات والحيوان وذلك في لمح البصر والعيان، وقد سبق في علم الباري أن العقل أعلى درجة من الدهر، فهو المحق صاحب المجد والفخر، وقد جعل له سبحانه هذا الجليل وأبقاه إلى الأبد يتوارثه الممثول عن مثله، والباري سبحانه هو صاحب الدهر، فلا تقطع ذكره ولا تنساه. لا إله إلاَّ هو.

المستفيد:

لقد نطقت يا مولاي بعلوم إلهية وحكم ربَّانية لا يقدر عليها غيرك من المفيدين، فلا شك أنك من المؤمنين الموحدين.

المفيد:

اعلم يا ابني أني وقفت على معرفة هذه الأسرار التي لا يطلع عليها إلاَّ الأتقياء الأبرار الراسخين في العلم. فإن قيل لك ما الدليل على أن باري البرايا واحد من غير عدد، ولا يطلع عليه أحد. فاعلم يا ابني أنَّ مُبدِع الوجود فرض علينا أن لا ندفع العلم إلاَّ إلى مستحقه بعد أخذ العهد عليه؛ ممَّا أوجب على المفيد أن يكون لديه خصال حميدة، ومنها الرأفة والتواضع، ويجب أيضاً أن يكون أيضاً صامتاً ناطقاً كريماً إمامياً مخلصاً صدوقاً ومحيطاً بما ظهر

وما بطن. فالصمت سجيته وحسن الخلق شيمته والوفاء طبعه، باراً بإخوانه، مخلصاً لخلانه، وكل هذا من خصال الأنبياء والأئمة الأطهار.

هذه الخصال من كانت فيه، فقد قوي أثر النفس فيه كما قلت، ونحن قد أخذنا امتحانك ممَّا نطق له لسانك، فأنت أهل لهذه الحكمة فحق أن تسبغ عليك النعمة. واعلم يا ابني أن أفضل الحواس الخمسة النطق لأنه المعبر عنهم، وذلك أنَّ كل ما يجول في الفكر يعبر عنه النطق إذا سلم من أعراض الطبيعة بما سبق وهو القائل: سمعت ونظرت فهو رئيس الحواس الخمس، ولا يأتي الأمن إلاَّ من جهته، لأنَّ رتبته في الشرف أعلى، وبه تكمل الصورة وتصبح الأشياء محصورة ضمنها، وهو نطق روحاني وجرماني وجسماني، وظهوره بارز للعيان بإحاطة وإدراك واشتراك.

المستفيد:

فما هو الدليل يا مولاي أن رتبة النطق في الشرف أعلى من رتبتهم، ونحن نرى لكل حاسة رتبة خاصة بها لا يشاركها فيها غيرها؟

المفيد:

اعلم أيدك الله وإيانا بروحٍ منه. أنَّ هذا العلم دقيق المعنى، وبعيد المرمى، إلاَّ على المرتاضين بالعلوم الإلهيةَ التي هي سر الأسرار، وإن المشرف عليها هم المخلصون والأبرار. فاعلم أن النطق يختار من هذه الصورة حاكماً فيها كما يختار الملك رجال دولته، وهذه إشارة روحانية لطيفة، وذلك أن اليد تقول لمن قابلها تعالي بغير نطق مسموع، والعين تقول كذلك بغير نطق مسموع، والحركات جميعها على هذه الصفات. فالنطق ليس هو بآلة اللسان فقط وإنَّما هو بجميع الحواس، والإنسان يتحدث مع صاحبه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بجميع حواسه، والنطق يبدو منها لأنه أفضلها بتصرفه فيها، فلمَّا كان ذلك كذلك، وكان البرهان العقلي والجود الإلهي والعلم الرباني والتأييد الملكوتي.

إنَّ المُبدِع جلَّ جلاله وتقدست حدوده جعل العقل الكلي والنفس الكليّة والجوهر الكلي والسمع والبصر والاسم واللمس والتخيل والفكر والحفظ كلها أدوات ظاهرة للدلالة، ووجه آخر يؤكد ما قلناه وشرحناه أنه ليس هناك حاسة من الحواس الخمس إلاَّ ولها فضائل خاصة بها وناطقة عنها نطقاً روحانياً: أنها طيبة الرائحة أو غير ذلك، وبقية الحواس تعبِّر حسب رؤيتها أو لمسها أو ذوقها والمترجم عنها حاضراً ومسموعاً هو النطق المعبر عنهم جميعهم بالنطق الجامع، وهو أفضل من جميع الحواس بما يبديه من مخفيهم وظاهرهم وهو أيضاً نطق روحاني وجرماني جارٍ في جميع الأعضاء. فلمَّا وجب ذلك استدللنا على أن العقل هو الحاكم على جميع الحدود، وهم له عبيد وجنود، وأنَّ الباري سبحانه هو صاحب الإرادة والمشيئة والعقل والنفس والسمع والبصر والشم والذوق واللمس والتخيل والتصور والحفظ والفكر، كما أنه مُبدِع الناطق والأساس والإمام والباب والحجة والداعي والمستجيب فلا تفريق ولا كثرة. فهو واحد من غير

عدد لم يشاركه بإبداعهم أحد.

فاجتهد يا بني كي تخلص من عالم الكون والفساد، بما اطلعت عليه من الحكم الإلهية وتخلَّق بخلق الأولياء، وإياك وورود الكبرياء، فلا تغربق ولا كثرة كما قلت لك.

والحمد لله . . . الذي منحنا بفضله وإحسانه هذه الفضائل، وجعلنا من المؤمنين المستجيبين، وصلَّى الله إلى نبيه محمد الذي أمر أن لا يقهر اليتيم، ولا ينهر السائل. وعلى مولانا أمير المؤمنين صاحب ذو الفقار، وابنه الإمام الحاضر صاحب الأوائل والأواخر. وعلى المؤمنين المحقين الذين من عرفهم حق معرفتهم لم يجحد فضلهم ونال نعيماً غير زائل، وسلَّم عليهم أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

التحميدة الثالثة

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله الذي لم يمن بمعرفته إلاَّ على من ارتضاه، وقد جعله دليلاً وعقلاً أوليّاً، ومنَّ عليه بمعرفته وقدرته. وصلَّى الله على محمد نبيه الذي خصَّه بتبليغ رسالته. وعلى مولانا الإمام علي الذي من عرفه حق معرفته قرَّبه وناجاه وصار له حجة ناطقة في صبوته وشبابه وشيخوخته. وسلَّم عليهم أجمعين تسليماً يعمُّ المحقين المستجيبين الذين جعلهم الله ممن فاز بجهاده، وجعل العلم التأييدي منهلاً ومشرباً لهم، وبارك للمؤمن في يقظته وحكمته رقَّاه في درجات العلم، وأطلعه على المبدأ والمعاد ومعرفة المُبدِع جلَّ وعلا.

المستفيد:

أنت يا مولانا مخلصي من تشويهات الطبيعة، وجاعل علم الوجود عندي شريعة. فقد أطلعتني أمس على معرفة غاية الوجود بتفضلك وإحسانك. وكل ما أتمناه أن تكمل لي إحسانك وتزيد أنعامك وترقيني إلى أعلى منزلة وتوقفني على معرفة سر الأسرار الذي يقوم به المحقون الأبرار.

المفيد:

إنَّ هذا السر هو ضمير أئمة الهدى، فلا تسل عن الظاهر، بل توجَّه إلى الخفي المستور، لأنَّ أهل الظاهر ينظرون إلى الإمام بعين النقص، فأول ما يجب عليك هو معرفة الهلاك والفناء. والثاني رؤيتي وأنا متقلِّد السيف، فالعارف هو المحق المهتدي، والثالث هو الظاهر للحق عياناً. فمن لم يعرف ذلك فهو شقي ومتعب وجاهل الأمور هل هي قديمة أم محدثة، والرابع هو السبيل والنظر إلى الأنفس المجردة للعيان كالأجسام بالنسبة للطبائع والأركان.

المستفيد:

لقد نطقت يا مولاي بمرادي، وكأنك قد اطلعت على ضميري وفؤادي، وحقك إنَّ معرفة هذه المسائل هي إرادتي وبها كمال سعادتي، وعندما تنعم بها على عبدك الفقير إليك والملهوف عليك فتكون قد أحسنت إليه، ونقلته من عالم الكون والفساد إلى عالم الإبداع والأرواح.

المفيد:

اعلم يا ابني أيّدك الله بروحٍ منه... أنَّ المانع نفسه من الشهوات والمخالف للهوى والمؤدي إلى المهلكات، إذا اجتهد بصفاء نيّة، وسعى في خلاص السريرة فحينئذٍ يكون متبصراً ثم يصير صابراً محسناً، ثم يصير أيضاً صادقاً وفائزاً وموقناً وبعد ذلك مخلصاً مجيباً واصلاً ومتصلاً وواقفاً على هذه المعارف، فلا يحتاج إلى واسطة غير ربه، وتسقط عنه التكاليف لأنه قد شغل بمولاه عمّا سواه، وعرفه بهذه الظهورات. فحينئذٍ ترتفع عنه التكاليف التي تحجب العبد عن مولاه، فإذا عرفه وعرف ظهوراته لم ينشغل بغيره. فإنَّ هذا العلم هو سر الإمام الموجود الظاهر للوجود الذي لولاه لم تكن ظهورات للحدود في عالم الدين. فالخلق يدلون على معرفته، ومن استحق منهم الوقوف على هذه المعارف المأخوذة عن حدود الإمام، ولم يأخذه في معرفة المُبدِع لومة لائم.

واعلم... أنَّ العقل أفضل الموجودات، فليس بينه وبين مبدعه واسطة، فهو لا يفارقه ولا يمكن الوصول أو النجاة إلاّ بواسطته لأنه الحامل للعلوم وللمعارف الربّانية، فإذا اتبعت هذه الوصايا وتحققتها وكتمتها في ضميرك واطّلعت على هذه الظهورات وأسبابها، تدخل مع المؤمنين الداخلين من بابها.

المستفيد:

بواسطة رعايتك لي وثقتك، اصطفاني باري البرايا المتعالي من خلقه واجتباني بما أطلعني عليه من المعارف المستورة. والمعرفة الخالدة. فالشكر له على الدوام.

المفيد:

اعلم... يا ابني أيدك الله وإيانا بروحٍ منه. أن الواجب يقضي عليَّ أن أعيد على مسامعك ما كنت أسمعتك إياه أمس، ولكن بشرح أوفى وبيان أوضح. فالباري المتعالي منزه عن التشبيه. فهو لا يعرف ولا يوصف ولا يسمّى ولا يمكن أن ينسب إليه اسم أو صفة أو نعت أو وجود أو عدم وجود، فلا يقال له حي ولا قادر ولا عالم ولا عاقل ولا كامل ولا تام ولا فاعل، لأنه مُبدِع الوجود العالم التام الكامل الفاعل، ولا يقال له ذات لأن كل ذات حاملة للصفات. ولا تدركه الأبصار ولا العقول، لأنه غيب الغيوب ومبدع الوجود. فالمبدع فوق الكائنات، وهو ليس بكائن ولا يكون. إنه يمنح الكينونة وهو فعل الكينونة ذاته. أمّا التوحيد فهو تجنب الوقوع في شرك التعطيل من جهة وشرك التشبيه من جهة أخرى. فالمُبدِع هو في آن واحد ـ عدم ـ وجود، وليس بعدم ـ وجود ـ لا زماني وليس بلا زماني. فكل نفي لا يكون صحيحاً إلاّ إذا نفِيَ هو الآخر. والحقيقة هي وقوع هذين النفيين في آن واحد، وهذان لا يكتملان إلاّ بعمليتي التنزيه والتجريد. فالتنزيه هو الإبعاد عن المُبدِع الأسماء والأعمال التي تنسب إلى الحدود أصحاب الرتب السماوية والأرضية، وأمّا التجريد فهو جعله مفارقاً للظواهر التي تنشأ عنه، وطالما أن المبدع منزهاً عن كل اسم وصفة. فإن الأسماء الحسنى إنّما يتسمّى بها الموجود الأول أو العقل الأول الذي هو

محل لجميع الصفات المثلى والأسماء الحسنى. فهو الوجود الأول والوحدة الواحدة والأزل والعقل الأول والمعقول الأول والعلم والعالم والقدرة والقادر الأول وهو الحياة والحي الأول.

المستفيد:

لقد فهمت ووعيت كل ما نطقت به يا مولاي، وأصبح عليَّ أن أذكرك ببيان عن كيفية بدء الخلق، وكيف كانت النشأة الأزلية لعالم الإبداع.

المفيد:

سألبي طلبك، ولكن عليك الحفظ وعدم التحدث بهذا العلم إلاَّ للإخوان المرتاضين فاعلم أيدك الله بروحٍ منه. أنَّ المُبدِع المتعالي أبدع الإبداع دفعة واحدة على شكل أشباح نورانية، وصور متساوية في الكمال الأول الذي هو الوجود والحياة والقدرة. ثم إنَّ واحداً من تلك الأشباح نظر بذاته إلى ذاته وأبناء جنسه فعلم أن له مبدعاً مغايراً له ولهم فأثبت له الألوهية والوحدانية، وعندئذٍ اتصل من مبدعه التأييد الإلهي والعلم الجاري الذي هو كلمة الله ويسمَّى «الأمر» وذلك العلم الذي جاءه من المتعالي الذي هو كماله الثاني، وبهذا العلم صار عقلاً أزلياً محيطاً بكل شيء عالماً بما كان وما سيكون فاتخذه المُبدِع حجاباً وصار «الاسم الأعظم» الذي به وحده يتوسل إلى المتعالي.

ثم انتبه شبحان آخران من تلك الأشباح إلى نفس ما انتبه إليه هذا العقل الأول، ولكن أحد الشبحين سبق الآخر فنظر بذاته إلى ذاته والى بني جنسه، كما نظر العقل الأول، فعلم كما علم أن له مبدعاً فوحَّده ونزهه، وقدَّس العقل الأول ـ السابق ـ له فاتصل بواسطته بالنور الإلهي الساري والعلم الجاري فحصل على كماله الثاني، وصار عقلاً أزلياً كاملاً لا فرق بينه وبين الأول إلاَّ بمرتبة السبق، فكان هو السابق، وكان الثاني هو التالي، عندئذٍ اتَّحد السابق بالتالي واتخذه حجابا وباباً وأقام الدعوة بأن خاطب الأشباح النورانية ودعاهم إلى تأليه المتعالي وتوحيده، فاستجاب له سبعة أشباح الواحد بعد الآخر، وكلٌّ منهم وحَّد المتعالي ونزهه، واعترف برتبة العقل الأول وبكونه السابق، وبالفعل الثاني وبكونه التالي. وهنا اتصل بالأشباح السبعة النور الساري والعلم الجاري من خلال العقلين الأول والثاني وبواسطتهما فحصلوا على كمالهم وصاروا عقولاً سبعة هي عقول الكواكب السيَّارة السبعة، ولكن الشبح النوراني الذي سبق الإشارة إليه أنه قد انتبه هو والشبح الذي صار التالي إلى نفس ما انتبه إليه العقل الأول «السابق» فارتكب خطأً إذْ اعتقد أنه وزميله في مرتبة واحدة، فأراد أن يتخطاه ويتصل بالعقل الأول مباشرة مستعجلاً الاتصال بالعلم المحيط ومعرفة الحقائق قبل الأوان، فكانت نتيجة محاولته القفز إلى الأول متخطياً الثاني فانقطعت عنه مادة السابق أي مادته الإلهية النورانية، فأظلما ذاته وسقطت مرتبته وصار عقلاً عاشراً بعد أن كان الثالث وهو العقل العاشر الفعَّال. وعندما استيقظ من غفلته وعلم أنه ارتكب خطيئة اعترف بها وأعلن التوبة وتوسَّل بالعقول السابقة له التي حنَّت عليه ورمته بأشعتها النورانية ممَّا سمح له الاتصال بالنور الجاري والعلم الساري فأشرقت ذاته وتخلَّص من

تلك الظلمة وبلغ كماله الثاني، وانتظم في سلك العالم الروحاني، وهذا العقل الثالث الذي أصبح عاشراً هو آدم الروحاني أو آدم الملكوتي. ولمّا كان كل عقل من هذه العقول السماوية «الملائكة» تتبع في مصيرها مصير العقل الذي توجد فيه، فإن الأشباح التي في ضمن العاشر قد زلّت بزلته، ولم تتوب مثل توبته فانقسمت فرقاً ثلاث: فالفرقة الأولى وحّدت المتعالي وقدّست العقل الأول، ولكنَّها تخطت الثاني فظلّت على زلتها ومنها حواء الروحانية زوج آدم الروحاني، والفرقة الثانية أقرَّت بالمتعالي ولكنها لم تعترف بالعقل الأول ولا بالعقل الثاني وظنّت أنها وإياهما في مرتبة واحدة، وفرقة لم تستجب لنداء العقل أصلاً فتنكرت للدعوة وتكبرت واستكبرت ولم توحِّد المتعالي، ولا التزمت بأحد العقول، فلما تاب العقل العاشر آدم الروحاني كلف بتخليص هذه الفرق الثلاثة الضالة من الأشباح النورانية التي كان يحملها في ضمنه فخاطبها، ولكنها لم تستجب له فازدادت صورها ظلمة وازدادت مراتبها سقوطاً، وهكذا تراكمت تلك الأشباح الصورية كتراكم الغيوم والضباب، وتحركت حركة ثانية فلزمها منها العرض وكان مبدأ حركتها رطوبة ومنتهاها برودة، ثم تحركت حركة ثالثة فوقعت في العمق وهكذا صارت تلك الأشباح من خلال حركاتها وبواسطتها هيولى وصورة، وكانت هذه الحركة بقصد من العناية الإلهية التي علمت أن لا خلاص لتلك الأشباح الضالَّة إلاَّ بقيام دعوة مماثلة للدعوة التي قامت في دار الإبداع، وإنَّ هذه الدعوة الجديدة لا بد منها من مكان وزمان وامتحان ليتطهَّر من يتطهَّر ويصير لطيفاً صافياً فيصعد، ويبقى في الظلمة من يبقى ويرتكس ويزداد كثافة وظلمة، ثم عمدت العناية الإلهية إلى ذلك الركام من الأشباح الذي صار هيولى وصورة فصنعت من جزء منه وهو جزء الفرقة الأولى عالم الأفلاك أو العناصر الأربعة، أمَّا الباقي وهو الفرقة الثالثة فقد انعقد لشدة ظلامه حتى صار كالصخرة فجعلت منه العناية الإلهية الأرض، وبتأثير الآباء ـ عالم الأفلاك على الأمهات ـ العناصر الأربعة أخذت المعادن والنباتات والحيوانات في الظهور، ثم تلا ذلك ظهور الإنسان.

المستفيد:

شكراً لك يا مولاي، فقد نقلتني إلى عالم الحقيقة، وزرعت في فكري المحبة إلى العلم والمعرفة. وبقيَ عليك أن تحدثني عن نظام الوجود العلوي، وعن مبدأ المثل والممثول؟

المفيد:

هذا ما كنت أريد أن أتحدث به إليك. والآن يجب أن تعلم أن النظام الديني هو مثال على العالم العلوي. والدعوة الاسماعيلية العادية تقول: إن الحدود السفلية تماثل العقول السماوية، والحدود العلوية تماثل عالم الأجرام والكواكب وعالم الجسم. وهناك موازنة بين عالم الممثولات الذي هو عالم العقول السماوية التي أبدعها المُبدِع المتعالي... ابتداءً من العقل الأول حتى العاشر، وبين عالم الأمثال الذي هو عالم الدين المسمَّى «الصنعة النبويّة» فإذا كان يوجد في عالم الصنعة النبوية عالم الدين هو ناطق الموجود الأول في هذا العالم، فإنه يجب

اتخاذه مثلاً والقول بوجود ممثول في عالم الألوهية هو العقل الأول وفلكه هو الفلك الأعلى، وهكذا بالنسبة لعالم الكواكب وللجسم.

المستفيد:

لك الشكر يا مولاي على ما أعطيتني، وإني أصبحت عاجزاً عن إيفائك ما لك عليَّ من واجبات، ولا طلب لي منك إلا الاستمرار والمزيد من العلوم، وكل ما أطلبه من المتعالي الكريم أن يمنحك الصحة والثواب.

المفيد:

اعلم يا ابني أنَّ الاتكال على المريد الطالب ذات أبعاد ومراد، فإذا اتصل وأطاع وسمع من واسطته والمنعم عليه بالمعرفة سلم وصار في دار النجاة مع الأبرار المتصلين بالملكوت الدائم الذي لا يخلو من قلوبهم التفكر به. أولئك الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً، ألهم بهم الفكر حقائق الأمور بما اتصل بهم من معرفة صاحب الستر والظهور، واستأصلوا بما استودعه المقصرون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، يرون الدنيا بأبدان أرواحها متصلة بالمحل الأعلى، فهم خلفاء الله في أرضه ودعاة خلقه إلى سنته وفرضه وأصحاب جزره والآمرون بطاعته، عرفوه بإبداعه للوجود وظهوراته وانقسام هذا الظهور وعلاماته.

واعلم يا بني أن الإنسان إذا اجتهد في طلب العلم الإلهي الرباني المخصَّص به العالم الروحاني وعرف الإمام وسره وأفعاله ومرتبته المجهولة عند الجاهلين، ونظر في معدنه وعرف مستقره، فأقبل عليه وأركن بنفسه إليه ركون من ظفر بغاية مطلوبه، وأخضع خضوع اعتراف وإقرار لمن جرت عليه النعمة بغير جحود ولا إنكار، وتمسَّك به تمسك تقوى وافتخار، وتحقُّق أنه الممثل للعقل في عالم الدين اللاحق بعالمه العلوي، وتصوَّر بصورة كماله الكلي فتضاعفت أنواره وإدراكه للموجودات بالمشاهدة، وحكم على المركبات حكم إحاطة واردة، وتشبه بمعدنه الكريم بجوهريته وصفاته، ولاحظ مبدع الكل واطَّلع على قدرته ومبدعاته، وهذه صفة من أخلص لربه بسريرته دون مخادعة في صغيرة أو كبيرة.

المستفيد:

قد فهمت يا مولاي ما نطقت به من العلم الجليل، وصار عندي ما تقوله بقبوله أدنى دليل. فعرفني ما هو «القضيب» فإني أقبل منك بغير شك ولا ارتياب، فإني محسوب عليك ومسلِّم كل أموري إليك.

المفيد:

اعلم يا ابني أنَّ هذا القضيب هو قضيب الرسول، وهو ممثول له مدلول، وأنت عليك الآن ألاَّ تعتقد من العلم إلاَّ ما كان ظاهراً جسيماً فتكون به وإليه ساكناً، وبعد ذلك تنتقل إلى باطن العلم اللطيف الذي به الرحمة. وهذا القضيب هو التأييد الذي أتى به الإمام إلى الرسول ولكن الجاهلين يعتبرونه من المعادن الأرضية ولم يعلموا أنه من ممثولات العلوم الإلهية. فاعلم هذا

السر فتكون بمعرفته من المهتدين.

المستفيد:

إني عاجز عن شكر نعمتك يا مولاي... فلا تقطع عني إفادتك فإني وحقك على السر مأمون، وبما تلقيه عليَّ مستور مكنون. فانعم عليَّ بمعرفة السيف فإنك قد قلت من عرف ذلك فيكون قد اهتدى.

المستفيد:

إنَّ الناطق بالقرآن يا ابني قال معلناً: وإذا مسَّ الإنسان الضر دعانا إلى جانبه إمَّا قاعداً أو قائماً. فلمَّا كشفنا عنه ضرَّه مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضرٍّ نعرض إليه، وإذا أجملنا هذه الآية وقلنا: إنَّ باري البرايا المتعالي تكلَّم به لطفاً بعباده، فقد عددناه من جملة الأجساد، وإن هذا المعنى يعود إلى المفيد والمستفيد، فكان القائل هو المفيد والإنسان هو المستفيد. ومنه الضر إذا دخل إليه شك أو ريب في دينه ومذهبه، وجهل معرفة معاده ومنقلبه ودعانا والدعاء هو الطلب لإزالة ما بقلبه من الشكوك والأوهام والإفادة بما قد جهل من معرفة الإمام لينال بذلك التمام والكمال، وهو مع ذلك يخادع ويجحد، وأمَّا ما علمه عند انفصال جسده عن نفسه، فإنَّ هذا العلم سليب ومبيد، والمفيد يكشف عن الأسرار المستفادة بحسن نيته وجميل اعتقاده واحتساب ما يفعله عند مبدع الوجود. قال: «فلمَّا كشفنا عنه ضره» أي لمَّا أزلنا عنه شكه كأنه لم يدعنا ليعرض عنَّا، وقال الله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم».

المستفيد:

بحق المطلع على ضميري، مبدع الوجود ومقيم الحدود، زدني علماً فإني لم أحجم عن طاعة الحاضر الموجود، ولك أشرك أو أعبد سواه معبود، فأنا لك شاكراً ومعترفاً، فقد أوقفتني على ما لم أقف عليه، أو تنطق به ألسن المفيدين، فلا تحرمني من هذا السؤال الثاني وما فيه من المعاني.

المفيد:

اعلم يا ابني... أنه لمَّا كانت قد ظهرت الأمور والأشياء المجموعة في الأئمة السبعة الذين لم يلحقهم عصرهم آدم، وقد أتت من بعدهم الرسالة والإمامة في شخصين من ولد آدم. ففي عصره كانت آيته الأنباء، وفي عصر نوح كانت آيته السفينة، وفي عصر ابراهيم الفداء، وفي عصر موسى العصا، وفي زمن عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وفي عصر محمد آيته المعجزات التي أظهرها وهي: انشقاق القمر نصفين، والتقاء الشجرتين وغيرها ممن هو الظاهر في آخرهم، وهكذا احتجبت هذه الآيات بصورة الموجود. فالشريعة والتنزيل والباطن والتأويل والتجريد والتنزيه ومعرفته حق المعرفة والسبعة مراتب الخاصة بالأئمة السبعة. فالأول هو العقل، والأنبياء هم الحدود. ففي عهد إبراهيم اعتبر الإمام ممثول النحر في كل عيد، وإحياء الموتى عند عيسى هم حدود الإمام الطالبين المعلم الموجود، وانشقاق القمر لمحمد هو

ظهور الإمام بذاته للحدود، وتقلده السيف دليل على سره الذي لم يطلع عليه إلاّ من كان تأييده محدود، والظهور بالسيف للنطقاء وللحجج وللدعاة وللحدود، وكل هذا معناه ظهور ممثول الوجود الأول صاحب اسم السابق أو العقل الأول.

المستفيد:

إنَّ المشركين والمنافقين يا مولاي يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهم في حيرتهم قائمون، وإذا ألقوا الذين آمنوا قالوا آمنَّا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا؛ إنَّا معكم إنَّما نحن مستهزئون، إنَّ الله يهزأ بهم وهم في طغيانهم يعمهون. فهل تنبئني عن من هذه حالهم وصفاتهم، فإني بريء من حيرتهم وضلالهم.

المفيد:

اعلم يا بني أيَّدك الله وإيانا بروحٍ منه: أن المشركين في بدء أمرهم جهلوا الباري سبحانه وتعالى وأقروا بالمبدَع، وأصروا على التحاسد والتباغض والخداع فمدَّ لهم وأمهلهم بما قد قدمت أيديهم ليزدادوا طغياناً فوق طغيانهم، وليصير الأولياء والمحققين على الامتحان، فأوجد المفكرين في كل عصر وزمان فركضوا إلى من استجاب لهم بخيلهم وأرجلهم للمشاركة في أموالهم وأولادهم وذلك كي يتبين الناس الرخيص من الثمين والطيب من الخبيث. فمن اتبع الهوى وكان في قلبه مرض يصبح في الدرك الأسفل لأنه جحد فضل الفاضل المانن عليه. قال الله تعالى: لا تقعد بعد الذكر مع القوم الظالمين. فعليك أن تعلم يا ابني أنك في المحل الأعلى المشرف على الملأ، وعليك البقاء على التسليم والطاعة فتنجو من العذاب الأليم.

المستفيد:

لقد تحقق لي كل ما قلته وبليغ ما أذعته. فأخرجني من العدم إلى الوجود، وأسبغ عليَّ المعرفة، وأبعد عني الحيرة.

المفيد:

اعلم يا ابني أن سر الأئمة لا يذاع إلاّ للمستمعين، وقد وعدوا بالعذاب لكل من اذاع سراً وباطلاً. واعلم أيضاً أن السعيد من وقف على النظام والطاعة وعرف الحق والباطل وأطاع الحدود.

المستفيد:

لقد صحَّ عندي يا مولاي. . . إن رجوعي وإنابتي إليك واجبة فلا تدعني دون وعظ وإرشاد ومنَّ عليَّ بما منَّ الله عليك. إنَّ الله يمنحك الأجر والثواب.

المفيد:

إنَّ الله تعالى قال: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ وذمَّ تعالى الآخرين الذين قست قلوبهم، وكل هذا قد شرحته لك، وكشفت عنه أمامك فلا تكن من الجاهلين الذين

المستفيد:

يا مولاي... إنَّ الباري المتعالي هو المطلع على السرائر، وعلى ما في الضمائر وهو خالق الرحمة في قلوب المؤمنين. فالواجب علينا تأدية الأمانة إلى أهلها.

المفيد:

اعلم يا ابني... أنه لمَّا كان أول النبات متصل بآخر المعدن، وانتسابه انتساباً معدنياً، ونفساً نامية نباتية حيوانية، وكان أول الإنسان متصل بآخر الحيوان، وآخره متصل بأول الكلمة، وانتسابه إليه انتساباً حيوانياً معدنياً ونفساً نامية حسيَّة ناطقة، وكان العقل هو زبدة الإنسان ولطيفه، فهو عالي على الذات، ومانع عن الصفات، فالمحقين أسماء وصفات، ووقوفهم على حقيقة معرفته كونه معادلاً من حيث مناسبة الأجسام الظلمانية المركبة المضحكة فهو نور باقي إلهي غير متلاشي ولا فاني، وهو كالشمس الطبيعية التي تنير السماء والأرضين وتحمي الكائنات والموجودات.

المستفيد:

أعاذني الله من الجحود والإنكار. فهل لك يا مولاي أن تطلعني على معرفة الجود والأنفس المجردة عن الأبدان. فهذا العلم يلزمني ما دمت في هذا الكون وغايتي أيضاً تفقيه الإخوان.

المفيد:

اعلم يا ابني أيَّدك الله وإيانا بروحٍ منه. أنَّ هذه المسألة لها علم خاص. فاصبر وسلِّم أمرك تنال كل ما تبتغيه وتصير مع الذين قال الله فيهم: ﴿إن الله عنده أجر عظيم﴾ فهو المنعم على عبيده بإنعامه وخيراته.

وصلَّى الله على نبينا محمد الداعي إلى معرفة وصيه وإمام زمانه، وعلى الوارث المؤمن المحقق أمير المؤمنين وصاحب ذ الفقار «علي» المترجم عن الحق، والداعي إلى معرفة ناطق دوره صاحب التنزيل، وسلَّم تسليماً كثيراً. والحمد لله رب العالمين.

التحميدة الرابعة

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله الذي عجزت عن معرفته أفكار العارفين، وقصرت عن إدراك مبدعاته عقول الواصفين، مُبدِع المسمَّى بالاسم، وخالق النفس والجسم. وصلَّى الله على محمد نبيه الذي أرسله إلى سائر الجن والإنس، الداعي إلى حقائق الإيمان، وعلى وصيه الإمام صاحب ذو الفقار علي النفيس مظهر التسبيح والتقديس، وعلى الأئمة من ذريته ممن عرفهم حق معرفتهم كان في قومه رئيس، وسلَّم تسليماً كثيراً.

المفيد:

أيهاالمستجيب إلى دعوة الحق، ثبتك الله وهداك إلى طاعة إمام الزمان، وألهمك حقائق

الإسلام والإيمان، وهداك إلى طريق النجاة، ووفقك إلى مسالك الحياة. عليك بالبحث والاجتهاد لمعرفة المنذر والهاد. فالسعيد من عرف خالقه، وأطاع رازقه، وخضع لباريه، واعترف بفضل معلمه ومربيه، فاستحق ثبات النعمة وإدامتها عليه، فما أسعد عارفها وأشقى مخالفها، فقد فتحت لعارفها أبواب الجنة بوجود الفاتح والمخالف، لتكمن الحكمة عندهم كمون النار بالزناد، وكل هذا لجحودهم الخالق وإنكارهم المُبدِع.

يقول بعض العارفين الصادقين المحقين متسائلاً. إنَّ الحكمة تأصلت بمن ألبسه الله أثواب النعمة، وخرج عن طاعة ولي الله إلى حاجته في أماكن شاسعة، وفي أرض الله الواسعة، ومثله أنَّ حكيماً متصلاً عارفاً انتهى به السير إلى بعض المدن، فدخل جامعها يطلب أهل العلم والحكمة فيه، فوجد قوماً يتناظرون في العلوم، ويرتاضون ويتفاكهون. فجلس يستمع إلى كلامهم فلمَّا انتهوا أقبلوا عليه ومالوا إليه وسألوه عن اسمه قائلين: حييت يا غلام بأفضل تحية وسلام. فأجاب: ليس الاسم لي بل أنا للاسم فقير مملوك والى معرفته صعلوك. فقالوا: يا غلام هل أعجبك من كلامنا شيئاً؟ قال: أعجبني كله. فقالوا: إن العجب ينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم فأخبرنا ما هو المحمود منه وما هو المذموم؟ قال: المحمود منه ما كان لله أو يدعو به إلى الله، والمذموم ما كان لغير الله فيدعي به لغيره. قالوا: قد حسن عندنا كلامك ومنطقك وبان لنا صدقك، فإنا نريد أن تظهر ما نستدل به على مذهبك. فأجاب: اعلموا أن الله الذي خلق بقدرته فسوَّى، والذي قدَّر بجوده فهدى، عجزت الأفهام عن معرفة كنهه وتاهت العقول في إدراك قصده، فلا هو ظاهر موجود فيعرفه غير أهله من أهل الجحود، ولا هو غائب مفقود فتجهل معرفته الحدود، انحصرت فيه العلوم المكنونة والأسرارة المستودعة المخزونة التي هي الأسرار التي يتوارثها السادة الأخيار فهم أمانات يؤيدونها وحدود لا يتعدونها، فهم قواميس الزمان وسفراء الرحمن صانوها بعهود وجللوها بمواثيق ثم كللوها فلم يبلغها فكر المحتالين ولا حيل الظالمين، قد شرَّف الصدق مذهبها ووطأ الحق مكسبها فتبارك الذي جعل الليل والنهار، خلقها لمن أراد أن يتذكر وزاد شكورا. فاعلموا أن الله حق ومعرفته واجبة لمن يعمل بعلمه ويسلِّم إليه في السرَّاء والضرَّاء أمره إليه، فغشيَ القوم البكاء، وعندما نهض قائماً أرادوا أن يتبعوه فردهم وخافوا أن يكون أتباعه غير موافقين لغرضه، فاتبعه أصغرهم سنَّاً وأكثرهم عقلاً فقال له:

أيها الحكيم العالم الأوحد والفاضل الأمجد. نطقت فبلغت وترجمت فأحسنت وتحليت بأحسن حلية، ودللت عليه بأحسن قوة، وقد رجوتك أن تكون لي دليلاً ومولىً فاضلاً وجليلاً، فأكون لك عبداً ذليلاً. فقال له: قال الله تعالى: ﴿إنَّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ فإن كنت راغباً فلي عليك شرط إن وفيته بلغت مناك، وأزحت عناك.

المستفيد:

اشترط عليَّ بما تريد، وبالله التوفيق، واعلم أنك ستجدني إنشاء الله من الصابرين.

المفيد:

إن الشروط ثلاثة: أولاً لا تطلبني حتى آتيك، وثانياً لا تسألني حتى أبديك، وثالثاً لا تكشف سري لأبيك.

المستفيد:

السمع والطاعة لله ولك أيها الحكيم. ثم ترك الغلام وذهب فبقي الغلام يذوب ويضعف ولا يستطيع سؤآله أو السلام عليه، فلمّا طال الأمر وعلم العالم صبره على تحمل الابتلاء والمحن وقيامه بشروطه استحضره وعطف عليه، فخرَّ الغلام إلى الأرض ساجداً. فقال له العالم: لماذا فعلت هذا يا غلام قبل أن تسمع مني الكلام؟

المستفيد:

شكراً لله تعالى ولك على ما قدمته لي.

المفيد:

أنا لا أستحق منك هذا الشكر، لأني لم أؤدي لك ما عليَّ من واجبات.

المستفيد:

أفعالك يا مولاي كلها فضائل، وإني أعلم أن استدعائك لي هو سبب سعادتي فأنت البداية والنهاية. فشكراً على ما زودتني فقد أضفت لي المنة التي لا تبرح قلبي.

المفيد:

اعلم يا ابني أيّدك الله وإيانا بروحٍ منه. أنَّ عليك ما دمت ألزمت نفسك بالطاعة أن تتوجه إليَّ بقلبك. وتسعى إليَّ بسمعك، وتقبل إليَّ بكليتك فاسأل عمّا بدا لك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وعليك أن لا تأخذ العلم بالتقليد ولا بوجه التمليق.

المستفيد:

يا مولاي. . . كل ما أطلبه أن تطلق لي لساني، وأن تأذن لي في المجال ولا تؤآخذني في التقصير فأنت بي خبير.

المفيد:

قل ما بدا لك؟

المستفيد:

يا مولاي. . . بماذا فضّلك الله عليَّ، وأغناك عني، وأفقرني إليك؟

المفيد:

اعلم يا ابني أيّدك الله وإيانا بروحٍ منه. أنَّ الله تعالى عادل في قضاياه منصف في تدابيره، وإن الخلق ثبتت معصيتهم بما قدمت أيديهم وذلك لتثبت الحجة عليهم بالكتب المبيّنة، فقد بعث إليهم الرسول الأمين، وكانوا يا ابني كأسنان المشط لا يزيد أحدهم عن الآخر، فلمّا أنكر بعضهم وجحدوا الرحمة رجع البعض منهم إلى ربهم، ومنهم من أصرَّ على ذنبه، وإن مثل هؤلاء كرجل

له عدداً من الأولاد أعطاهم والدهم رأس المال بالتساوي. فبعضهم فرَّط بحق الله فافتقره، وبعضهم احتاط على رأس ماله فحافظ، فدعت الحاجة الفقير إلى مسألة الغني، ثم دعوا ودعينا، فعقدوا وأجبنا، وسمعوا وسمعنا فنسوا وحفظنا، وأمروا وأمرنا، فعصوا وأطعنا، وسئلوا فأبلسوا وملكنا. فهذا سبب غنائي عنك وفقرك بي.

المستفيد:

فرَّجت عني كربتي، وأزلت حيرتي. فما الدليل على أن دعوتك لي لاتباع الحق دون سواه، ونحن قد وجدنا أراؤهم مختلفة ومذاهبهم متضادة. كل يقول بيدي الحق، وينكر عليه خصمه، فمن أين يصح لنا معرفة الحق من الباطل.

المفيد:

إنَّ الخلق متساوين في الدعوة، ولا يثبت المدعي بلا بيِّنة أوشهود، وعلى المدعي أن يقدِّم الدليل والبرهان.

المستفيد:

وما هي البيِّنة والشهود يا مولاي. أريد معرفتهما.

المفيد:

هما آيات من كتاب الله، أو أخبار عن رسول الله.

المستفيد:

إنَّ كتب الله السماوية عديدة، فأيها تأخذ بتوراة موسى أو إنجيل عيسى، أو قرآن محمد؟.

المفيد:

والله لو علم أهل التوراة بما في التوراة لدلهم على الإنجيل، ولو علم أهل الإنجبل ما فيه لدلهم على القرآن، ولو أخذ المسلمون بحقيقة ما في القرآن لدلهم على إمام الزمان. إذن يجب علينا أن نستدل بأقرب الكتب إلينا وأقرب إلى أفهامنا.

المستفيد:

مولاي العالم الأوحد.. افتح لي هذا الباب، واشرح لي ما نطقت به، فلعلِّي أجد السبيل إلى المعرفة والى الدليل.

المفيد:

عليك أن تعتبر صور القرآن، وتنظر إلى سطورها، والى الكشف والبيان فيها، فكلها دالة ومشيرة إلى إمام الزمان. وفي قوله تعالى كفاية:

﴿يوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم﴾

وقوله تعالى:

﴿إنَّما أنت منذر ولكل قومٍ هادٍ﴾.

المستفيد:

أريد يا مولاي المزيد من الدلائل عن الإمام؟

المفيد:

عليك يا ابني أن تعتقد بأنه لا وصول إلى المعرفة إلا بتعليم «معلِّم»، فالعلم يأتي إمَّا عن طريق العقل والنظر، وإمَّا عن طريق المعلِّم الذي هو الإمام. ولمَّا كانت المعتقدات التي يتوصَّل إليها العقل متكثرة ومتناقضة فقد ثبت عجز العقل عن الوصول إلى الحقيقة الواحدة، وثبت بطلان الآراء المتباينة التي يصلون إليها.

إذن لا بد من معلم واحد معصوم من الوقوع في المعاصي والأخطاء، فلا يجوز التعلم من عدة معلمين حيث أن كثرة عددهم تؤدي إلى تنوع الآراء ممَّا يدل على بطلان التعلم منهم، فعلامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل الكثرة:

١ ـ معلم صادق يعرف الحق.

٢ ـ الأرض بحاجة إلى من يقيم سنن العدالة.

٣ ـ محبة نفسه أكثر من نفس المحب.

إنَّ ناسوت الإمام الطبيعي للإمام جسده البشري العادي المكوَّن من لحم ودم وعظم الذي يجري عليه الموت والحزن والفرح والسرور. أمَّا الناسوت الخاص فهو جسد لطيف لا تدركه الأبصار، وليس كبقية أجساد الناس الآخرين إذ أنَّ هذا الجسد إنَّما من مغناطيس كوني يمارس عمله على أجساد الموجات الأثيرية عند موتها وتكونها إلى فضلات. إنَّ الإمام له ناسوت طبيعي خاص، وناسوت خاص ذو مظهر خاص. والإمامة هي مثال عن الصورة الإلهية، كما أنها المظهر الإلهي الأصيل، والإمام هو الحجة العظمى والكفيل الذي ينوب عن الألوهية في الأرض، وهو صاحب المرتبة الثانية في عالم الدين، والوارث للمرتبة الأولى في عالم الدين. فالأولى يطرأ عليها فناء وارتحال، وفي هذه الحالة يتسلمها الوصي وبهذا يكون ممثول العقل الأول والثاني. هذا ويجب أن تعلم أنَّ الآيات دلَّت على وجود الإمام في كل عصر وزمان، فمن دلَّ على الإمام الموجود كان عليه أن يعلم أنه على حق، لأنَّ المعلم هو السبيل، وكل سبيل لا يؤدي إلى هدف فليس هو سبيل، والعلم ثلاثة أقسام. فمنه ما هو واقف عند من مضى، ومنهم من ينتظر ما يأتي، ومنهم متمسك بالحاضر، وهذا الممسك بالحبل من طرفيه، ومثلهم كمثل الأزمنة الثلاث: زمان مضى وزمان حاضر وزمان مستقبل. فالزمان الماضي سقط من التكليف، وذلك أن الإنسان لا يغنيه أكل أمس أم أكل اليوم، ولا صلاة أمس من صلاة اليوم، ولذلك حكم بما يأتي لأنه لا يجد الإنسان لذة الطعام إذا لم يأكله، والزمان الحاضر ضروري لمن كان وجوده في الزمان الحاضر، فقد تمسَّك في الأزمنة الثلاث، ومن لم يتمسَّك في الزمان الحاضر فقد فاتته الأزمنة الثلاث. فيجب عليك أن تكون مصدقاً لما مضى وطائعاً للحاضر الموجود، ومقراً بمن يأتي به.

هذا . . . واعلم يا ابني أعانك الله . . . أنَّ العالم محدث والدليل على ذلك أنهم كانوا بعد أن لم يكونوا، وإنهم كانوا بعد الأزل والحوادث حاكمة عليهم فهم عاجزون غير قادرين، فلمَّا عجزوا أو عجزهم أثبتوا أنهم محدثين مصنوعين مفعولين، وقد دلَّ حدوثهم أن لهم محدث لا يشبه شيئاً من صفاتهم لأن الصفة لا تشبه الصانع أبداً.

المستفيد:

والله . . . لقد أزلت همومي. ولكني أريد جلاء هذا الأمر. فما هو الدليل على صحة توضيح الرسالة مع العلم أن المرسل غير محدود، فكيف السبيل إلى الاتصال به والأخذ عنه؟

المفيد:

اعلم يا ابني أن المقدور عاجز عن مشاكلة القادر، لأن القادر منزه عن صفات المقدور وهو دونه، وقد وجدت الإرادة والإرادة أن يعرفه ويثبت الحجة عليه باتصال فهمنا إليه ولا سبيل إلى الوصول إلاّ بواسطة، فأوجدت الحكمة أن يصطفي القادر أشخاصاً قد تخلصوا من العوائق وصفَت جواهرهم وأضاءت نفوسهم فهم فيه سنجانسين للخلق في أجسادهم مشاكلين للقادر بلطائفهم.

المستفيد: .

لا عدمت لطفك وإحسانك لي. فهل من سبيل إلى معرفة عذاب النفوس المنكرة الجاهلة بعد الفرقة الجاحدة لمن ولأها النعمة بعد مفارقتها وقبل عودتها.

المفيد:

لو لم يكن أسوة لما جرت على مثلها والسؤآل، وها إني أوضح لك هذا إن شاء الله. فاعلم أن النفوس الطيبة لا يكون عذابها في حر الأثير أو برد الزمهرير، وإنما هو للجاهلين المنكرين المبلسين الموبقة أفعالهم وجهالاتهم المتراكمة وأخلاقهم السيئة وعلومهم الحسيّة وشهواتهم الرديئة وعصيانهم لمولاهم ورجوعهم عن إطاعة إمام زمانهم، فهؤلاء تصبح أنفسهم هياكل ينالوا منها العذاب في الموضوعين الموسومين وجهلهم أنهارهم وليلهم فيمكثون إلى أن تضمحل تلك الهياكل ثم يعودوا بعد ذلك إلى المعدن ثم إلى النبات ثم إلى الحيوان.

المستفيد:

وماذا يكون بعد ذلك يا مولاي؟

المفيد:

اعلم يا ابني أن هؤلاء يظلون في العوالم المذكورة يتقلبون إلى أن تصفو نفوسهم من أكدار الطبيعة يصعدون عندئذٍ إلى عالم الأرواح حيث الراحة والخلود الدائم. يا ابني إنَّ الإنسان إذا أخلص وحصلت له الصورة الإنسانية سلم من الآفات والعوائق، واشتاقت نفسه إلى العلوم الإلهية والمعارف الربانية فعند ذلك يتصل بالمولى اتصالاً كلياً، وإن كان ضد ذلك عاد إلى ما كان عليه بسماعه ورد جوابه، وعلى كل حال لك الفضل العام والإحسان التام بما سألت عنه

ومن الله العون.

المستفيد:

كل ما أرجوه بعد هذا البيان أن تعرفني عن سبب الزيادة في أعمار الأئمة ونقصانها؟

المفيد:

لقد سألت عن أمرٍ عظيم وسر دقيق ومعنى عميق، ولإني أرى أن التريث بالإفصاح عنه لا بد منه الآن، وعلينا الانتقال إلى موضوع آخر.

المستفيد:

هل بالإمكان يا مولاي إيجاد السبيل لمعرفة النفيس بالحقيقة؟

المفيد:

اعلم يا ابني علمك الله الخير وجعلك من أهله أن النفس بالحقيقة فعلاً إلهياً أظهرها المبدع عند ظهور الوجود وسماها النفس، فسرَت قواها في الموجودات أجمع، لأنَّ الموجودات كان وجودها دفعة واحدة، لأن المبدع سبحانه أول ما أوجد العقل الكلي وهو أصل الموجودات وكانت مخاطبة العقل للشخص الإنساني بقوله: أنت خالفت وجحدت وكنت كهؤلاء المتولدات الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، فإذا أطعت وشكرت كنت من المنعم عليهم. فعليك بالاعتراف بالمعلم الصادق واكتساب أجل المعارف والعلوم التي هي معرفة العقل وهو السر الخفي المكتوم. ولمَّا كانت هذه المعرفة أجل المعارف علمنا أن النفس التي يتنفَّس بها الإنسان، ويستحق بها الإنسانية هي صورة معاده، وهي الكلمة والعقل الكلي في كل عصر وزمان لأنه أولهم وأسبقهم وهؤلاء الحدود صفت نفوسهم من كدر الطبيعة واعتدلت قوالبهم عند ترقيهم في الأسباب كسامعين عارفين بالمعارف الربانية الناطقة بالحقيقة والناظرين فيها والخافية معرفتها عن الخليقة فثوابهم تخيرهم فيما يشاؤن من الظهورات التي لا تعمل فيها الاستقصَّات، ولا توليها الأمهات، ولا للطبائع فيها محال، ولا تدخل عليها الحوادث أو تقع تحت حكم الزمان. وعلينا أن نعلم أن كل جاهل يكون محجوباً عن النظر إلى إمام الزمان يعدُّ من البهائم بل أضلُّ سبيلاً بما قدمت أيديهم، وما ربك بظلَّامٍ للعبيد. فاعرف ذلك وفقك الله إلى الخير.

المستفيد:

قد ثبت لي ديني بما عرفتني، وأحييتني بعد موتي، والآن أشتهي أن تعرفني مبدأي ومعادي ومعبودي بلفظ وجيز فهذا السر عندي في حرز حريز؟

المفيد:

اعلم يا بني... أنه لمَّا كان العقل هو الموجود الأول، كان مبدأ المستفيد من مفيده المنعم عليه في الابتداء. فهو الناطق بلسانه في الحكم والمعتمد عليه فيما يلحقه من الأمراض والآلام. وإن مبدأ المفيد من صورة الوجود هو أنه المستمد من الجود الساري إليه.

يقول مولانا الإمام جعفر «الصادق» (ع) أن العقل هو الدليل والسبيل إلينا. فانظر إليه فهو

المعبود والمبدأ والمعاد. واشكر الذي أفادك وأوقفك على الحقيقة.

المستفيد:

وما هو العقل يا مولاي؟

المفيد:

اعلم يا ابني وفقك الله إلى عمل الخير. أنَّ المولى سبحانه لمَّا سبق في علمه صفاء الخلق وقلَّ صبرهم على النظر إليه بحد الاقتدار ظهر بينهم بخمسة أشياء فاحتجبت بخمسة لطفاً بهم وتحنناً عليهم، فالذي ظهر بينهم في الولادة والأكل والشرب والزواج والموت والذي احتجب عنهم في الأم والأب والأولاد والإخوة والأهل المقربين، وهو سبحانه فوق هذه الخصال، وإنما المُبدَع العقل، ومن العقل فاضت الحدود وتلقوا العلوم الإلهية ونطقوا بها وعرفوها إلى أولي الألباب كقوله تعالى: ﴿ألستُ بربكم﴾؟ قالوا بلى. فاجتهد لكي تكون من التابعين أصحاب المعرفة، وانظر إلى مولاك الحاضر الموجود الذي هو ممثول العقل الأول في عالم الدين. والحمد لله رب العالمين.

التحميدة الخامسة

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله الذي اختفى عن الخلق بكثرة ظهوره، وحجب أبصارهم عن النظر إلى ملكوته العظيم بإشراق نوره، وعجز عن معرفته المقصرون، وعن الإحاطة بجبروته المبطلون، كقوله في الكتاب المكنون الذي لا يمسه إلاَّ المطهرون: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾.

وصلَّى على سيدنا محمد نبيه، وعلى الأئمة المتطلعين إلى معرفة النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، وعلى مولانا ووصي رسولنا علي بن أبي طالب يعسوب الأبرار، وعلى الأئمة من ذريته الذين من عرفهم كان من الملائكة المقربين. سلامهم علينا ورحمتهم إلى يوم الدين.

المستفيد:

سهرتُ يا مولاي أدامك الله ليلة من الليالي أفكِّر في قدرة الله العالي، وكانت ليلة مشتبكة النجوم، مشرعة الغيوم. فجال فكري في سريان نجومها وسياحتها في أفلاكها. فقلت: لا شكَّ أن لهذه الصنعة صانع حكيم، ومدبر عظيم ليس هو من شكلها ولا من مثلها فبينما أنا جائل أتفكر وأتعجب بما رأيت، لم أشعر إلاَّ والفجر قد لمع، وضياء الصبح قد بزغ. فأخذت أفكر فيما رأيت وألهج بذكره تعالى، وبينما أنا غارق في بحر ما رأيته وقلبي كالح كالطائر المهاجر، وإذا بالمنعم المليح الابتسام صاحب الوجه الحسن، والصادق اللهجة، والذي هو كالبدر ليلة تمامه. فلمَّا رأيته انجلى الغم عن قلبي، وعلمت نفسي أنه ابن جنة النعيم فقلت: ما هذا بشر إن هو إلاَّ ملاك كريم، فسلَّم عليَّ بأحسن سلام وأجبته بخير الكلام، ثم سارعت فقبلت يده وقلت له: مولاي أراك على غير السبيل، وأنت وجدك دون رفيق إلا تعلم أن من سلك طريقاً وعراً بدون دليل، فقد ضلَّ عن سواء السبيل. فعرفني يا مولاي ما هو الدليل؟

المفيد:

اعلم يا ابني أيّدك الله وإيانا بروحٍ منه. أنَّ الدليل هو الذي يوصلك إلى الطريق المستقيم، ويخلصك من العثرات، ويعرفك معنى الإبداع الذي تحيرت في معرفته أصحاب العقول، وتميّز الفاضل بالاطلاع عليه وعلى حقيقته من المفضول.

المستفيد:

هل وقفت يا مولاي على معرفة ما أنت وصفته واطلعت عليه وشرحته؟

المفيد:

اعلم يا ابني أنَّ من لم يعرف معنى صورة الوجود للعيان، نزع الله عنه اسم الإنسان، وأدخله بجهله عالم الحيوان. وعندما يتجرّد من هذا الهيكل الفاني يعود إلى الذل والهوان.

المستفيد:

هل لي يا مولاي على يدك فرجاً. ومن هذه الضائقة فرجاً؟

المفيد:

إنَّ هذا العلم يا ابني لا ينال إلاَّ بالمواثيق والعهود، إذ به يصل الطالب إلى معرفة المعبود وهذا هو الطريق الوسط عن الغير مسدود لقلة الخطّار وهو من المعارف الذي لا وصول إليها إلاَّ بالاجتهاد.

المستفيد:

بحق من منَّ عليك بالوجود، وجعلك لنا الاسم المعبود، إلا ما جعلت لي منك خطّاً، وفرضت عليَّ فرضاً أن أكون لك في جميع الأحوال أرضاً.

المفيد:

اعلم أيدك الله وإيانا بروحٍ منه. أنك لا تنال من هذا حتى أشدَّ وثاقك، وأرفع عند التسليم إليك ميثاقك.

المستفيد:

افعل بي ما تريد يا مولاي. فأنا لك من جملة العبيد.

المفيد:

اعلم يا ابني أنك قد سألت عن أمرٍ عظيم وخطب جسيم لا يصل إلى معرفته إلا أصحاب النفوس الزكيّة والعقول الصافية التقيّة. فإذا كان لك قوة على حمل ما ألقيته عليك من المعرفة، وإلاَّ فلا تحمل نفسك ما لا تستطيع أن تسلكه.

المستفيد:

إنَّ نفسي بما قلت قد أقرّت بالقبول يا مولاي، وإذا كان في قلبي ريب أو جحود فيكون في بعدي عن ولاية الإمام الموجود.

المفيد:

اعلم يا ابني أيدك الله وإيانا بروح منه. أنّ الله أمر واسطته بامتحان من يحبه ليبلو صبره وعلى ما يمتحنه ويبلغ المستمد الغرض من مرتبته.

المستفيد:

أرجو من مولاي المنعم عليَّ أن يمتحني بامتحان لا يطيق عليه الصبر، فسيجدني إنشاء الله من الصابرين. وسوف لا أعصي لك أمراً.

المفيد:

ولكني يا ابني لي عليك شرط إن أنت وفيت به بلغت نفسك من المعرفة أمانيها.

المستفيد:

قلت لك يا مولاي اشرط عليَّ ما شئت من الشروط. فليس لديَّ ممّا تأمرني به قنوط.

المفيد:

عليك يا ابني أن تبيعني نفسك ومالك، فتبلغ غاية آمالك، ولا تكشف لأحد سري فهو المراد من أمري. فإن كان في قلبك شيء تريد الإيضاح عنه فاسألني ولا تخفيه، وأنا عليَّ أن لا أخفي عليك ما أعمله. فكن لما ألقيه إليك متأهباً وحاضراً.

المستفيد:

يا مولاي... ليس لي أي طلب سوى معرفة باري البرايا، فإنها أعظم العطايا. فبعد أن تعرفني على هذه الصورة التي عجز الحكماء عن معرفتها، فامتحني بما شئت فستجدني كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿إنّا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوّاب﴾.

المفيد:

يا بني استمع إليّ وبالله التوفيق، فلن تجد لك مثلي شقيق، لأني سأوقفك على أوسط طريق. فاعلم يا ابني أنار الله قلبك بنور المعرفة أنه قد صحَّ عندنا بأوضح برهان وأصدق بيان. أنّ صورة الوجود هو حواس إلهيّة غير بشريّة ومنظورة غير محدودة، وذلك أن كل محدود منظور وليس كل منظور محدود. واعلم أن كل ذي مساحة له ست جهات وأربع طبائع محدودة ومنظورة وكل ما ليس له مساحة فهو مثل فيض الشمس الطبيعية بهذه الصفة أو مثل الإمام الذي هو الشمس الدينية. فباري البرايا سبحانه وتعالى لمّا سبق في علمه أن ليس في الوجود أعلى ولا أفضل من العقل صار له أفضل الأمكنة الإلهية لكونه إلهي الحواس، وجلَّ وعلا وعظم فلا يتصل إلى معرفته ببصر حسي وعقل غريزي بل بالإمام عرفناه وببصيرتنا نظرناه وبجوده الساري الذي هو واسطتنا تحققناه. فلمّا كان الواسطة هو الذي أوصلنا إلى معرفته وعرفناه بصفاء جواهر عقولنا وما أنعم به المولى علينا فهو الواسطة المكلف بإيصالنا إلى المعرفة.

المستفيد:

ولكن يا مولاي... ما هو الدليل؟

المفيد:

اعلم يا ابني أيدك الله وإيانا بروحٍ منه... أنَّ المؤمن المحق هو صورة الوجود من حيث الحقيقة فهو إذا فارق عاد إلى كنف باري البرايا صاحب الإبداع الأول، وظهر العقل الأول في عالم الدين كمؤمن محق لطيف غير كثيف، وفي كل دور وكور. فإذا اجتهد المستفيد في طلب معرفته ظهر بحواس إلهية وصار محجوباً بحجاب إلهي بعد نفخ الروح الحقيقية، وقد جعله باريه نبياً لحكمته ومستودعاً لسره، وذلك عند طاعته لمن أوجده، ثم اصطفاه وأعطاه من شراب علمه وأرواه وجعله حده الأول ودليلاً عليه لا يخلو منه زمان، ويكون حجته على خلقه في كل حين وأوان. فهذه الصورة بالحقيقة هي الصورة للمؤمن المحق الذي تخلصت نفسه من كدر الطبيعة وعرفت مبدعها بالحقيقة.

وأمَّا معرفة باري البرايا فلها طرق خفيَّة لا يعرفها إلاَّ من فرَّغ قلبه لها وأخذها من معدنها، وأنت قد صحَّ عندي أنك طالب مجتهد، وليس إمساكي عنك واجب لأني بك مطالب. واعلم يا بني أنه لمَّا كانت الشمس أصل النور وبوجودها وجد وبعدمها عدم. فالنور بها متصل بالغرض ولا منفصل عنه والمثل يدل على الممثول وباري البرايا سبحانه بوجود الواسطة دلَّ لنا على معرفته فتحققنا أنه موجود فينا علماً ونظراً، وإن واسطة كل مستفيد هو واسطة المتنفس فيه بالحكمة. قال الرسول الكريم: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» أي أنكم إن صفيتم عدتم إليه كما بدأتم منه فحينئذٍ تعرفون ربكم بالحقيقة. وإن حقَّ المستفيد إلى مفيده هو القبول والطاعة، وهو في هذه المشيئة سبباً لعودته عند انفصاله عنها، وكونه يشار إليه بالوحدة، لأنه إذا قيل للمؤمن بماذا عرفت باري البرايا؟ فيقول: حاشا أن أعرفه بغير واسطة، فبالواسطة عرفت وبدلالاته بصرت، وبهدايته عقلت وبتوحيده وحكمته نطقت، وإليه دعوت وبطلعته أمرت وبالسعي إليه وجدت وبالتعب استرحت. واعلم يا ابني أن الحقيقة لا تعرف إلاَّ بالحق كالضوء لا ينظر إليه إلاَّ بالضوء، والنطق على الحق نطقان: ذاتي وإلهي، فالنطق الذاتي هو علم الوجود الذي منه معرفة المعبود، وما تسمعه من المعلم الصادق الناطق بالحكم الإلهية في السبع أقاليم والاثني عشر جزيرة التي لم تزل تحيط بما علا وبما دنا إحاطة إدراك ظاهراً وباطناً. واعلم يا ابني أن حاسة الشم مثلها في الوجه مثل الإمام في الدار، فإذا لحق الحاسة عائق كانت حاسة الذوق تنوب في النفس، وكذلك عندما تقضي الحكمة بذلك، واعلم أن الناطق بالقرآن كل يوم هو في شأن وهذه اللفظة عائدة على اليوم، لأنَّ كل يوم هو في فعل جديد، ومبدع المبدعات ليس هو محصور، والعقل بالحقيقة هو الحجة على الموجودات وهو القائل: ﴿أنا الله لا إله إلاَّ أنا فاعبدني﴾ وهو القائل لعيسى بن مريم: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ ولمحمد: ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك﴾ فالمخاطب هو مولى الأنام والقائل «نحن أصحاب الشجرة التي لا يعطى ثمرها إلاَّ لمستحقها»، والقائل أيضاً: «علمنا صعب مستصعب وسر مستتر ما حمله إلاَّ ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان، فوجده قبولاً وسراً

مستوراً لا يذاع إلاّ لمستحقه من أذاعه لغير مستحقه أذاقه الله شراب الحديد» وهذه هي المعرفة التي أعطاها الله لموسى بقوله: ﴿فلمّا أتاها نوديَ يا موسى أنا ربك فاخلع نعليك» فالنعلين هما ترك التحديد والتجسيم والتعطيل والعدم، ودوماً ﴿لا يلقاها إلاّ الذين صبروا ولا يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم.... إنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ ﴿هذا بلاغ للناس ولينذر به وليعلموا أنما هو الله واحد وليذكروا أولي الألباب﴾. فانتبه يا ولدي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فعمرك ساعة والقبول طاعة وويل للمكذبين.

وصلّى الله على محمد نبيه الذي هو ممثول أول المبدعات، وعلى الأئمة الأطهار، المنحدرين من السادة الأبرار الذين تشفي علومهم العليل، وعلى علي الوصي الجليل وأمير النحل والنخيل، وسلم عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

تمّت

بين أبي العلاء المعري

وداعى الدعاة الفاطمى

خمس رسائل مفيدة

دارت بين حكيم الشعراء أبى العلاء المعرى والمؤيد فى الدين

أبي نصر بن أبى عمران داعى دعاة الفاطميين

حول فلسفة أبي العلاء واجتنابه أكل اللحوم

وما كتبه أبو العلاء هنا هو آخر ما أصدره من آثاره الأدبية



مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فان المعروف عن حكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخيّ أنه كان يعيش عيشة الزهد، وهو القائل:

فاترُكْ لأهل الملك لذّاتهم　　فحَسْبُنا الكمأةُ والاحبلُ

ونشرب الماء براحاتنا　　ان لم يكن ما بيننا جُنْبُلُ (١)

وكان في الشطر الثاني من حياته صائم الدهر، مجتنباً أصناف اللحوم متعففاً عن صيد البر والبحر، حتى لقد مرض مرة فوصف له الطبيبُ الفرّوجَ، فلما جيء به لمسه بيده وقال:

استضعفوك فوصفوك، هلاّ وصفوا شبل الاسد!

واستدل وطنيُّه ابن الوردى من قول تلميذه أبي الحسن علي بن الهمام في رثائه:

ان كنتَ لم تُرِقِ الدماء زهادة　　فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

على أن اجتنابه أكل اللحم كان عن زهد مباح، لا عن رأي في ذلك يخالف به الاديان. وذلك من قبيل ما روي عن رسول الله ﷺ أن أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشربة بعسل فوضع القدح من يده وقال «أما اني لست أحرّمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى»

---

(١) الجنبل: قدح من الخشب، والاحبل اللوبياء

وفي السنة التي انتقل فيها هذا النابغة الزاهد العظيم الى رحمة ربه زار مدينة حلب أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران أحد كبار علماء الامامية المتبوىء منصب داعي الدعاة الى مذهب الفاطميين ، فأراد أن يداعب الشاعر الحكيم وهو في آخر شيخوخته ، فكتب اليه يستنكر اجتنابه أكل اللحوم ويسأله بيان الحجة في استحسان هذا النوع من الزهد ، ودارت بينهما على أثر ذلك هذه الرسائل الخمس التي كان آخرها بقلم داعي الدعاة الفاطمي وكان وصول تلك الرسالة الى المعرة عند وفاة شيخها وحكيمها رحمه الله

وكان ياقوت الحموي قد اختصر هذه الرسائل وأوردها في معجم الادباء ، وأشار صديقي العلامة الجليل الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي [1] الى وجودها كاملة في خزانة ليدن . وبينا كنا مع حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن قراعة (أيام ولايته الافتاء في الديار المصرية) في زيارة فقيد العربية والاسلام أحمد تيمور باشا رحمه الله جاء ذكر هذه الرسائل فأطلعنا الباشا على نسخة منها في خزانته (تحت رقم ٤٧٨ أدب) وهي بخط الشيخ الفحماوي المعروف بجودة خطه ، نقلها عن نسخة كتبت سنة ٦٢٠ هـ ، وقد استحسن كل من الاستاذ المفتي والاستاذ تيمور باشا احياءها بالطبع ، لأن عظماءنا الذين من طبقة أبي العلاء لايجوز أن يبقى شيء من آثارهم غير مطبوع ، ولأن ما بين أيدينا من آثار الفاطميين في منتهى القلة ، فبادرت الى نشرها في الزهراء ، وأفردتها في هذه الرسالة على حدة . والله ولي الاعانة

محب الدين الخطيب

---

(١) أبو العلاء وما اليه (ص ٢٤٥)

(٢) انظر فهرس خزانة ليدن ١ : ٢٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة المؤيد في الدين داعي الدعاة الفاطمي

الى أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي

الشيخُ (أحسن الله توفيقه) الناطقُ بلسان الفضل والادب الذي ترك مَن عداه صامتاً ، مشهودٌ له بهذه الفضيلة مِن كلّ مَن هو فوق البسيطة. غير أن الادب الذي هو جالينوسُ طبّه ، وعنده مَفاتح غيبه ، ليس مما يفيده كبيرَ فائدة في معاشه أو معاده ، سِوى الذِكرِ السائر به الركبانُ مما هو اذا اشأ مع المذكور به [١] علم أنه له [٢] بمكانة الجمال والزينة مادام حيّاً ، فاذا رمت به يدُ المنون من ظهر الارض الى بطنها فلا بحسنِ ذكره ينتفع ، ولا بقبحه يستضرّ . واذا كانت الصورة هذه كان مستحيلاً منه (أيده الله) مع وفور عقله أن جعل موادّه كلّها منصبّةً الى إحكام اللغة العربية والتقعّر فيها ، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها ، ووفّر عمرَه على ما لا نتيجة له منها : فترك نفسَه المتوقدةَ نارُ ذكائها خلواً من النظر في شأن مَعاده ، وأن يختار من علمه ماهو أنفع فيمكث إذا ذهب الزبَد جُفاءً من غيره ؛ فاذا هو (حرسَ الله عزّه) بمقتضى هذا الحكم مرتوٍ من عَذْب مَشرب هذا العلم ، وإنما ليس يبوح به لضرب من ضروب السياسة. والدليل على كونه ناظراً لمعاده بدقيق النظر الذي لايكاد يجري معه جارٍ في ميدانه سلوكُه المسلكَ الذي سلكه في الزهد ، وقصدُه شَظَفَ العيش ، وتعوّضه عن لذيذ الطعام بالكريه ، وعن ليّن اللباس بالخشن ، وتعففُه عن أن يجعل جوفه

---

(١) كانت في الاصل « اذا تسامع المذكور به »
(٢) في الاصل « أن له »

للحيوان مدفنا، أو أن يذوق من درّها لبنا [١]، وأن يستطعم من طعام استكدت عليه في حرثه وإنشائه. وليست هذه الطريقة إلا طريقة من يعتقد أنه إذا آلمها ونال نيلاً منها استوفى جزاء فعله بها. ومن كانت هذه نصبته [٢] في سلامة البهيمة العجماء منه فكيف في إيثار سلامة الانسان الناطق العاقل من يده ولسانه. ولعمرُ الله لقد امتدّ بهذا البال [٣] الى أقصى الشوط من ميدان الزهد، وانتهى فيه الى أبعد البعد

ولما رأيته على ظهر الغيب قد تميّز بما ادّعى الناس له من الفضل، وشغفه بالزهد المستملى عن مقر الفهم والبصيرة، دون الجهل مما يقوله جهّال الزهّاد، الذين يهيمون من العماية فى كل واد. وسمعت داعية البيت الذي يُعزى اليه وهو قوله:

غدوت مريض الدين والعقل فالقَني لتعلم أنباء الأمور الصحائح

وهي تدعو إلى الاستنارة بأنواره، والاهتداء بمناره، شددتُ إليه راحلة العليل فى دينه وعقله إلى الصحيح الذي ينبىء أنباء الأمور الصحائح، كما أهدى إلى ما يوقظ من سِنة الغفلة مقبول النصائح. وأنا أول مُلَبّ لدعوته، معترف بحيرته، مغترف من بحر ارشاده وهدايته. وهو حقيق بأن يكون عند آخر وعده بالتبيين والايضاح، وأن يتوقّد – لكشف حنادس فكري – توقّدَ المصباح، وأن لا يوطئني المشواء فيسلك بي فى المجاهل، ولا يعتمد فى إيراد مايورده أنْ يلبس الحقّ بالباطل. وأوّل سؤالي (ادام الله سلامته) سؤالٌ خفيف فيما ليس يهم كثيرا، أقصد فيه

(١) جرى داعي الدعاة على تأنيث الحيوان والنبات في رسالته هذه
(٢) كذا فى الاصل ولعلها « نضيته » أو لفظة أخرى بمعنى مذهبه أو طريقته
(٣) كانت في الاصل « البالي »

اعتبار فمله بي في الجواب ، فان استنشقت نسيم الشفاء سقت السؤال إلى المهم.
وإن تكن الأخرى وقفت بحيث انتهيت . وبالله التوفيق :

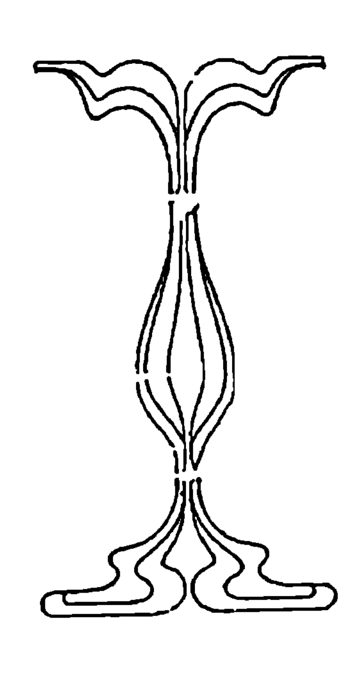
أسأله عن العلة في تحريمه على نفسه اللحوم والألبان وكل ما يصدر الى الوجود من منافع الحيوان ، سؤال من يعرف بكونها مخلوقة للاشخاص البشرية مما هو قول أهل الشرائع من القول ، ويتوكأ على عصا العقل . وأقول :

أليس النبات موضوعها للحيوان التي تمتار منها ، وبوجودها وجودها واستقامتها في حفظ أعوانها وولادة مواليدها ؟ وانما يستولي الحيوان عليها بالقوة الحساسة التي ترجح بها على النبات من حيث كونها نامية فقط وليست بحساسة ، فلولم يكن للحيوان لكان موضوع النبات باطلا لامعنى له . وعلى هذه القضية ، فان القوة الانسانية مستولية على الحيوان استيلاء الحيوان على النبات لرجحانها عليها بالنطق والعقل ؛ فهي مسخرة بجميعها ، فنها ماتأ كل من لحومه وألبانه ، ومنها ماتستنفع بجلوده وأوباره ، ومنها ماتنتفع بعرائره ، ومنها ماتنتفع بأنيابه ومخالبه ، ولو لم يكن ذلك كذلك لكان موضوع الحيوان باطلا على حسب ماقدمناه من ذكر النبات ، وكون موضوعها لولا وجود الحيوان باطلا . واذا كان ترتيب موجودات العالم هذا الترتيب فتجافي الشيخ وفقه الله عن الانتفاع بما هو مخلوق له إبطال لترتيب الخلقة ودفع في وجه المصلحة . ثم ان امتناعه من أكل الحيوان ليس يخلو القصد فيه من أحد أمرين : إما أن تأخذه رأفة بها ، فلا يرى تناولها بالمكروه ، وما ينبغي أن يكون أرأف بها من الله سبحانه الذي خلقها وهيأها لمصالح البشر . فان قال قائل : ان الذي أطلق القول بأن هذا حلال وهذا حرام هو بعض البشر - يعني أصحاب الشرائع - وأن الخالق ما أباح اراقة دم حيوان ولا أكل لحمه ، كان الدليل على

بطلان قوله وقوع المشاهدة لجنس السباع وجوارح الطير التي خلقها الله سبحانه على صنيعة لاتصلح الا انتش اللحم وفسخها وتمزيق الحيوان وأكلها . واذا كان هذا الشكل قائم العين في الفطرة ، كان جنس البشر وسبيم العذر في أكل اللحوم ، وكان من أجل ذلك لهم محقاً لامبطلا وصادقا لا كاذباً . فهذا أحد البابين

واما أنه يجد سفك دماء الحيوان ونزعها عن أرواحها خارجاً من أوضاع الحكمة ، وذلك اعتراضٌ منه على الخالق سبحانه الذي هو أعرف بوجوه الحكمة . وهذا الباب الآخر

واذا أنعم الشيخ (أدام الله توفيقه) وتفضل وساق الحقّ حجّة اعتمدها في هذا الباب رجوتُ كشف المرض الذي وقع اعترافي به في مستأنف السؤال بمطلع صبح بيانه ؛ فيكون قد غرس مني غرساً زكيا ، وهداني صراطا سوياً . ويزداد بمكانه ذلك في موالج الخير ولوجا ، وفي معارج اكتساب فضيلة الشكر والأجر عروجا . بمشيئة الله وعونه



الجواب من أبي العلاء المعري

قال العبد الضعيف العاجز احمد بن عبد الله بن سليمان :

أولُ ما أبدأ به أني أعدُّ سيدنا الرئيسَ الأجلَّ المؤيدَ في الدين (أطال الله بقاءه ، وأدام علاءه) ممن ورث حكمة الأنبياء ، وأعُدّ نفسي الخاطئة من الأغبياء . وهو بكتابه اليّ متواضع ، وغيرُ شرفه الخاضع . بل هو مع النجوم جار ، لا يفتقر اليه الى الانجار . واللفظة من كلامه ، تقضي علي كل من خالف بملامه ، وقد حضرتني فيما نطق به دقائق ، هنّ لدى الكشف حقائق . ومَن أنا حتى يكتُبَ اليّ ؟ مثله في ذلك مثَل الثريا الطالعة كتبتْ الى الثرى ، وهو لا يسمع ولا يرى . وقد علم الله أن سَمعي ثقيل ، وبصري عن الابصار كليل . قُضيَ عليّ وأنا ابن أربع ، لا أفرق بين البازل وبين الرُبَع[1] . ثم توالت محَني ، حتى أشبه شخصي العودَ المنحني . ومُنيتُ في أخرى العمر بالاقعاد ، وعَداني عن النهضة عاد

وأمّا اشتهار اسمي فقد شهد الله جلّت عظمته أني لا أرغب فيه ، إذ نفسي لديّ حقّت بالتسفيه . والذمّ في ذلك لغيري لأنه يظن ظنونًا كاذبة ، لا تزال عن صدق عازبةَ . والكريمُ الصادق يقيسُ سجيات العالَم على سجاياه ، فيظن المبطئة من نجاياه

فأمّا ما ذكره سيدُنا الرئيس الأجلُّ المؤيد في الدين (لا زال مفحماً للمخالف ، وناصراً الموالي المؤالف) فالعبدُ الضعيفُ العاجزُ يذكرُ له ممّا عاناه طرَفًا ، امل عذره يمسي معترَفًا . فأقول : ان الله عزّت عظمتُه حكم عليّ بالازهاد فطفقتُ منَ العدم في جهاد . وتعرّضتُ للدنيا الخادعة تعرّضَ نكْلٍ عاجز ،

(١) الربع : الفصيل الذي ينتج في الربيع . والبازل : البعير اذا دخل في السنة التاسعة . وكانت في الاصل « بين البازل وبين الاربع » وصحح من معجم الادباء لياقوت ١ : ١٩٨

ليس لحظوتها بالمناجز . فرمحتني كرَمح الشَّموس ، وقالت لي : عليك بالرّموس . ونادَتْ : صاحبي سواك ، وان أبلغ هوَاك . وانصرفتُ كما قيل في المثل : مُكْرَهٌ أخوك لا بطل ، وحظّي من الحليّ العطَل . فغفلتُ برهة ثم أُبهِتّ ، ونبّهني الفكر فانتبهْتُ . وهْو يجلُّ أن أكون سائلا له أو مسئولا ، بل هو الأيك أتبعُه مُؤْولا . ولكني أحكي المسئلة عن غيري ، وان كنت أبتغي بها ميْري : وأما قول العبد الضعيف :

غدوت مريض الدّين والعقل فالقني لتسمعَ أنباء الامور الصحائح

فانما خاطب به مَن غمرَه الجهْل ، لا من هو للرياسة عَلَمٌ وأهل . وقد عَلِمَ (جمَّلَ الله الحكمة ببقائه) أنّ الحيوان كلّه حسَّاسٌ يقع به الألم ، وحالُه في ذلك يعلم . وقد سمع العبد الضعيف العاجزُ شيئاً من اختلاف القُدَماء يكون فيما سَمِعه سيدُنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين (لا فتيء الى المنار هادياً ، وعلى من احتذاه المصلحة حادياً) جزءاً من أجزاء تجاوز في العدد ألوفاً ، ويوجد يقينُها مألوفاً

فأول ما يبدأ به أن قائلا من البشر لو قال : اذا تبيّنّا القضية المركبة من المسند والمسند اليه ولها واسطتان إحداهما نافية والأخرى استثنائية فقلنا : « الله لا يفعل الاخيراً » أفهذه القضية كاذبة أم صادقة ؟ فان قيل انها صادقة رأينا الشرور غوالب ، وللخيرات الملتمسة قوالب . فعلمنا أن ذلك سرٌّ خفيٌّ ، لا يشعر به الا الحفيّ . وفي الكتاب الكريم « وإن تُصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك . قل كلٌّ من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » فان قال القائل قد روي أن النبي ﷺ كان اذا أراد السَّفَر قال : « اللهم إنا نعوذ بك من وعْثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد » أفهذه الأشياء التي تعوّذ منها خيرات أم شرور ، لا يكمل بها السرور ؟ فان قال قائل : هي مخوفة منكرة فقد أبطل القضية التي هي متقدمة ، لأنها

لما سلف طَرودٌ مقدمة . وان قال : القضية المذكورة لا تصح ، فالسائل بديء الأدب يلح . فان قال : القضية منعكسة ، وهي بعد بحث منتكسة . فقد لزمه أن يقول : ان الله سبحانه يفعل الخير والشر . فان أبى ذلك رجع الى ما يقوله المجوس من أن للعالم خالقين : أحدهما يزدان وهو فاعل الخير ، والآخر أهرمز وهو فاعل الشر . ومعاذ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نكرم شرعنا ، ونبسط في اتباعه ذَرْعَنا . ولما تُوفي ابراهيم عليه السلام بكى عليه ، فقيل : يارسول الله أنت نهانا عن البكاء . فقال : تدمع العين ، ويخشع القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وانّا عليك يا إبراهيم لمحزونون . أفموت ابراهيم مما كان النبي عليه السلام يراه خيراً أم شراً ؟ ويقول القائل البحتري : أفما كان من قتل الحسين وسمّ الحسن ، المشرّد عن العين طيب الوسَنْ ، أخيراً أم شراً ؟ فان قال انه خير ، فعلام نلعن القاتل في صُبْح مساء ، ونزعمُ أن سُفنَه في المآثم ذوات ارساء ؟ وللباري عزّتْ قدرته أسرار ، وقف دونها الابرار . ولعل هذه الأشياء مخبأة ، الى أن تقبضَ الحي وفاة . وكذلك الذين قُتِلوا يوم أُحُدٍ شأنهم مُشكل ، والنظر في حديثهم يُشكل . أفقتلُ حمزةَ حسبَ مما يحمد ، أم هو عَبْرة للعين ورمد ؟ والحديث المشهور أن الغُزاة لما رجعوا الى المدينة بكت النساء على قتلاها فقال ﷺ « لكنْ حمزةُ لا بَوا كيَ له » فصار النساء يبدأن ببكاء حمزة ثم ينتقلْنَ الى من فارقهنّ . وقال كعب بن مالك الأنصاريّ :

صَفيّةُ قومي ولا تعجزي وبكّي النساء على حمزةِ
ولا تتركي أن تُطيلي البكا ءَ على أسَدِ الله في الهزّةِ

والبكاء انما يحدث من الحزَن ، وان الايام لكثيرة المِحَن

ولم يزل من ينتسب الى الدين يرغب في هجران اللحوم ، لأنها لا يوصَل اليها الا بالايلام لحيوان ، يفرّ منه في كل أوان . وان الضّانية لتكونُ في محل القوم

وهي حامل[1] ، فاذا وضعَتْ وبلغ ولدُها شهراً أو نحوه اعتُبط فأُكل نحضُه ورغبُوا في اللبن ، ولم يعتدّوا ذلك من الغبن . وباتت أمّه ناغية ، لو تقدر اسمعَت له باغية . وقد تردّد في كلام العرب ذكر ما يلحقُ الوحشيّة من الوجْد ، وتردّدها من الفلاة بغَور ونجْد . وكذلك ولد الناقة اذا فقدت الفصيل ، ذكرته غداتَها والأصيل . كما قال القائل :

فما وَجدتْ كوجْدي أمُّ سَقْبٍ أضلّتْه فرجّعَتِ الحنينا
ولا شَمطاء لم يترك شقاها لهـا من تسعة الا جنينا

وقال الآخر :

فما وجْدُ أظآرٍ ثلاثٍ رَوائمٍ أصبْنَ مجوراً من جوارٍ ومصرعا
يُذكّرْن ذا الشَّجْوِ الحزينَ بشَجوهِ اذا ناحتِ الأولى سَجَعْنَ لهـا معا
بأوْجَدَ مني يوم فارقتُ مالـكا فأصْبحْتُ محزوناً لذاك مفجّعا

وقال الآخر :

كأن قُتُود[2] رَحلي يومَ ضَمَّتْ حَوالب غُرَّزاً ومِعىً جياعاً
على وحشيّة خلجَتْ خلوجاً وكان لهـا طلاً طفل فضاعا
فـكرّتْ عنـد فيقتها اليـه فألفَتْ عند مربضه السباعا
لعبْنَ به فلم يترُكن الاّ إهَابا قد تمزّق أو كُراعا

شبّه ناقته في سرعتها وترددها بالوحشية المفجوعة بولدها ، لأنها نهاية في الاسف والقلق . وقال أبو ذُؤَيْب الهُذَلي :

أوْدى بنيَّ وأعقبوني حسرة بعد الرّقاد وعبْرة ما تقْلعُ
فالعين بعدهمُ كأن حداقها سُمِلتْ بشوك ، فهي عورٌ تدمع

أفهذا خير أم شر ؟ وقال أبو ذؤيب[3] أيضاً :

---

(١) كانت في الاصل « حائل » (٢) رواية اللسان بمادة « غرز » : اسوع
(١) كانت في الاصل « أبو زيد »

فَدَع عنك هذا ولا تبتهج　　لخيرٍ ، ولا تبتئس عند ضُرّ
وخفّض عليك من الحادثا　　تِ ولا تُلفَين كئيباً بشرّ
فان الرجال الى الحادثا　　ت فاستبقين أحبّ الجزرْ
أبعدَ ابن عجرَةَ ليث العري　　ن أمسى كأن لم يكن ذا نفرْ
وهم سبعةٌ كعوالي الرما　　ح حسان الوجوه لطاف الأُزُرْ

فيقال ان ابن عجرة قُتل له سبعة بنين في وقت واحد . وقد قيل ان أبا ذُؤيب كان له سبعة بنين فشربوا من ابن قد شربت منه حية ثم قاءت فيه فهلكوا في يوم واحد

وللسائل أن يقول : ان كان الخير لا يريد ربنا عزّت قدرته سواه فالشرُّ لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قد علم به ، واما أن يكون غير عالم به (ونعوذ بالله من هذه المقالة) . فان كان عالما به فلا يخلو من أحد أمرين : اما أن يكون مريداً له ، أو غير مريد . فان كان مريداً فكأنه الفاعل كما أن القائل يقول : قطعَ الأمير يدَ السارق ، فالأميرُ قطعها الا أنه لم يلِ ذلك بنفسه . وان كان غير مريد له فقد جاز عليه ما لا يجوز مثله على أمير في الارض له نظراء كثير ، لانه اذا فُعل في ولايته شيء لا يرضاه نكره أشد النكير ، وأمر بزواله عن غير . هذه العُقد قد جهد في حلها المتكلمون من أهل الشرائع فلم يجدوا لها انحلالا ، وأصبح مقالهم ضلالا

ويقول القائل : قد ذكرت الانبياء عليهم السلام أن الباريء جلت قدرته رءوف رحيم ، ونشاهد ما هو على غير ذلك دليل ، لانه لو رأف ببني آدم لوجب أن يرأف بغيرهم من أصناف الحيوان الذي يجد الالم بأدنى شيء . ولمَ يخص الانس بذلك وهم الذين يجنون الكبائر ويقْدِمون على إتيان الذنوب ؟ وقد علم أن الوحشَ الراتعةَ يدنو اليها الفارس فيطعنُ العيرَ والاتان ، وربما كانوا جماعة فصادوا الاتنَ والاعيار وهن ما أسدينَ اليهم أذاة ، ولا أشتكوا منهم شذاة .

ولم يقنعوا بالكافي العاجل ، دون ما قدر فى الآجل . ولاي حال استوجب من يفعل بها هذا الرأفة ، وهي لم تشرب من المآثم بذنوب ، ولم تحس ما يكتب من الذنوب ؟ وقد رأينا الجيشين المنتسب كل واحد منهما الى الشرع المنفرد يلتقيان وكلاهما في مدد ، ويقتل بينهما آلاف عدد . أفهذا محسوب من أي الوجهين ، فليس عند النظر بهين

فلما رأى العبد الضعيف العاجز اختلاف الاقوال ، وأيقن بنفاد وزوال . وبلغ ثلاثين عاماً ، سأل ربه انعاما . فرزقه صوم الدهر ، فلم يفطر في السنة ولا الشهر . الا في العيدين ، وصبر على توالى الجديدين . ولزم الامساك عن المآكل الا أن يلحقه المرض ، فيخاف معه الجرض . وظن اقتناعه بالنبات ، يثبت له في العاقبة جميل الاثبات . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وفى الكتاب العزيز « إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين »

وقد علم سيدنا الرئيس الاجل المؤيد في الدين (لا برح كوكباً يفزع اليه الحائر ، ونوراً يهتدي به الساري والسائر[1]) أني الى ارشاده أفقر منه الى ارشادي ، وقد أسلف الي الايادي . والعبد الضعيف العاجز يسأل أن يشفع يداً بيد ، ليعم نفعها في الابد . ولا ريب أنه نظر في الكتب المتقدمة وما حكي عن جالينوس وغيره من اعتقاد ، يدل على خبرة الانتقاد . واذا قيل ان الباري رءوف رحيم فلم يسلط لاسد على افتراس نسمة انسية ، ليست بالمفسدة ولا القسية . ولم مات بلدغ الحيات جماعة مشهورة ، ما هي بالزأل مهورة[2] ؟ وقد قال القائل ـ بعد أن وصف رجلا بشجاعة واقدام ؛ وأنه لم يكن من اللئام الافدام ـ :

فمضى وأدركه الحمام بقفرة ... في رأس صل كالهراوة أعصل

وقل الهذلي :

كحية جحر في وجار مقيمة ... تنمى لها سوق المنى والجوالب

(١) كانت في الاصل « السري والسائر »

(٢) من هاره بكذا أي ظنه به

وما الطير الراضية بلقط الحبة ، الراجعة بها الى الاحبة . فسلط عليها بازي أو صقر ، فمنعها من النقر . وان القطاة لتدع فراخها ظماء ، وتبتكر لترد ماء . تحمله اليها في القربة ، وترجع به الى الدربة . فيصادفها دون المدهن أجدل ، ما هو بصيدها مبدل . فينال الظفر بقوت ، ما هو عليه بالممقوت . ويهلك أفراخها أواما ، أفراداً في الغمص لا توأما . ألحقت الرأفة بازيا أو كدرية ، فأخذت غصباً أو درية . « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » . وقال بعض الملحدة ـ وأعوذ بالله أن أكون أحد المعترضين ، الذين هم للسخط معترضين [1] ـ في الكتاب العزيز « وأنه أهلك عاداً الاولى ، وثمود فما أبقى ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى ، والمؤتفكة أهوى ، فغشاها ما غشى » : ان كان الباري جلت قدرته خلقهم وهو يعلم أنهم مجرمون ، يحرمون التوبة ولا يرحمون . فكان ينبغي أن لا يخلقهم ؛ لان خلقهم أداهم الى العذاب ، والتجرع من الصاب . وان كان لا يعلم بما يصيرون اليه فهو كغيره من الفاعلين . وقد يربي الرجل ولداً فيكون عاقاً ، أو يملك عبداً فيخرج معانداً مشاقا . ومعاذ الله أن نقول ذلك ، بل نسلم ونتلو الآية « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا » وقد أقدم الكفرة على أعظم خطب ، وحطبوا على ظهورهم أشأم حطب . وفي الكتاب الاشرف « أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » وهذه حجة بالغة في أن خلقها مبتدعة ، أبعد من انشائها مرتجعة . ثم قال سبحانه « الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » فتبارك الله العظيم القادر على أن يحرق بورقة خضراء ، من فوق الراكدة والغبراء « أوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء

(١) كذا الاصل ولعلها مركبة من كلمتين وقع فيهما تحريف

واليه ترجعون » اشهدُ الله الذي بأذنه نشأت السماوات والارض ، اني مُقرٌّ بالقدرة على الرَّجعة ، والخوف من الآخرة . احافظ على صلاتي وأصوم ، واعتصمُ لعلي معصوم . وأبرأ من قول الكافر[1] :

أأمت بالتحية أمُّ بكرٍ ... فحيّوا أمَّ بكر بالسلام

وكائن بالطويّ طويّ بدر ... من الشيزى تكلّل بالسنام[2]

ألا يا أم بكر لا تكرّي[3] ... علي الكاس بعد أخي هشام

وبعد أخي أبيه وكان قرماً ... من الاقرام شرّاب المدام

ألا من مبلغ الرحمن عني ... بأني مفطرٌ شهر الصيام

اذا ما الرأس زايل منكبيه ... فقد شبع الانيسُ من الطعام

أيوعدُنا ابن كبشة أن سنحيى ... وكيف حياة أصداء وهام[4]

أيترك أن يرد الموت عني ... ويحييني اذا بليت عظامي

ولعن الله القائل ، ويقال انه الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك[5] :

أدْنِيا مني خليلي ... عبد لا دون الأزار

فلقد أيقنتُ أني ... غير مبعُوثٍ لنار

سأروض الناسَ حتى ... يركبوا دينَ الحمار

واتركنْ من يطلب الجـ ... ـنة يسعى في خسار

---

(١) هو ابن سوادة

(٢) الطوي البئر . والشيزى شجر الابنوس تتخذ منه الجفان . وقد ذكرها الشاعر واراد أصحابها في معرض رثائهم أنهم كانوا كراما ثم دفنوا في قليب بدر

(٣) في نسخة « لاتحيني »

(٤) من مشاهير العرب رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الاوثان ، وعبد كوكب الشعرى العبور ، وكانت كنيته « أبا كبشه » فلما خالف نبينا صلى الله عليه وسلم قريشاً في عبادة الاوثان ودعا الى دين التوحيد تذكروا ذلك الخزاعي فقالوا « ابن أبي كبشة »

(٥) لمولانا شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني بحث ممتع في نفي هذه السخافات عن الوليد بن يزيد (انظر انتقاده تاريخ التمدن الاسلامي لزيدان ص ٢٠)

وهذان البيتان يؤوبان لرُجل يقالُ له الوليد قيل [١] هو الوليدُ بن عبد الملك وقيل هو الوليـد بنُ يزيد ، وأيهما كان فقد أقدم على الهاوية ، بنفس ليست لما حمدَ بالثاوية ، ولا من لهيب جهنم بالناجية . وذلك أنه كُتبَ له مصحفٌ فلما كَمل انظرَ فيه فاتفق أن خرجتْ له الآية وهى قوله سبحانه « واستفتحوا وخاب كل جبّار عنيد » فمزقه وقال [٢] :

أتوعد كلّ جبّارٍ عنيد فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
اذا لاقيتَ ربك يوم حشر فقل يارب مزّقنى الوليـد

والوليد بن عبد الملك كان لحّاناً لحناً لا يقـدر صاحبُه أن ينظمَ مثلَ هذين البيتين . وويل للحكميّ [٣] إن كان يعتقد ما يقـال انه وجد في بيته بعد موته مكتوبا وذلك قوله :

باح لساني بمضمر السّر وذك أني أقولُ بالدهر
وليس بعـد الممات حادثة وانما الموت بيضة العُقر

وويح لعبـد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن ان كان مات وهو مصرّ على قوله :

هى الدنيا وقد وعدوا بأخرى وتسويف الظنون من السواف
فان يك بعض ماقالوه حقا فان المبتليك هو المعافي

فأما قول النبى ﷺ « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » فانما أراد أنّ الذي يقضي عليكم بذلك هو الحي القيوم الذي تسجد له الشمس والقمر وتشـهد به كل المخلوقات . ولم تزل العرب تذم الدهر في قديم وحديث ، قال الشاعر :

الدهر أبلانى وما أبليتُه والدهر غـير ني وما يتغيرُ

---

(١) في الاصل « بل »
(٢) وهذه الحادثة نفاها العلامة الشيخ شبلي النعماني وأنكر صحتها   (٣) هو أبو نواس

والدهر قيدني بقيد مبرم ومشيت فيه فكل يوم يقصرُ

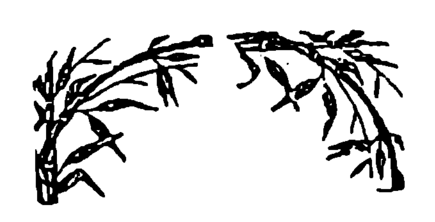
فقال من يذهبُ الى أن الله تباركت أسماؤه يفعل الخير والشر ، فمطلق أفضل أم مقيد ، موسوم بالنوب مميّد ؟ بعد ماكان يفري الفريّ ، ويحسب السّري . وقال نَفَر بنُ عبد القيس جدّ الطِّرِمّاح الطائي :

ألا قالت بهيثة مالنفر أراه غيّرت منه الدهورُ

فقلت وأنت قد غيّرت بعدي وكنت كأنك الشعرى العبُورُ

أفخيرٌ للمرأة أن تكونَ كالواحدة من الشعْرَيَيْن ، أم كونها عجوزاً تعجز عن حمل المِدْرَيَيْن ؟

ومما حثّني على ترك أكل الحيوان أن الذي لي في السنة نيف وعشرون دينارا فاذا أخذ خادمي بعض مايجب ، بقيَ مالا يعجب . فاقتصرتُ على فولٍ وبُلْسُن ، ومالا يعذب بالألسن . فأما الآن فاذا صار الى من يخدمني عندي وعنده هين ، فما حظي الا اليسير المتمين . ولستُ أريد في رزقي زيادة ، ولا أوثر لسقمي عيادة . وأضمر من عقباي الحذر ، وذكرت ماذكرته لأعذر . والسلام



الجواب من المؤيد في الدين الى المعري

عن جوابه عن رسالته الأولى

حوشيَ الشيخُ (أدام الله سلامته) من أن يكون ممن فطن في مرض دينه وغلّه لعلّته، وأجاب دعوةَ الداعي منه بالبيت الشائع عنه لنيل شفاءغلّته. يزيده الى علته علة وقد ضمن له الصحة، وضيّقه الى ضيقته من حيث أمل الفسحة. إذن يكون كما قال المتنبيء:

أظمتْنيَ الدنيا، فلما جئتُها مستسقياً مَطرت عليَّ مصائبا

كان سؤالي له (خرسه الله) في شيء يختصّ بنفسه في هجره ما يشدُّ الجسم من اللحم الذي ينبت اللحَم، وقلتُ: ان الموجود من ترتيب الخلقة أن النبات مخلوقة للحيوان، والحيوان العجماء مخلوقة لمنافع الانسان. وأنه ان أنكر منكرٌ أن الله تعالى فسح في ذبحها، والتناول من لحمها؛ قلنا له: إن الدليل على بطلان قوله ما نراه من بعض أجناس الحيوان سباعاً وطيراً. وكونه مخلوقاً لفسخ اللحوم وأكلها والانتفاع بها، فبالحريّ أن يكون لنا السبيل على ما نأكل من لحومه وننتفع بأصوافه وأوباره. ونحن أفضل من السباع وجوارح الطير، وانّ الذي يمتنع أن يمسه بسوء ما ينبغي أن يكون أرحم وأرأف به من الصانع سبحانه

فقال في الجواب: ان قائلا من البشر لو قال ـ اذا بيّنّا القضيّة الثّنوية فقلنا «الله لايفعل إلا خيرا» ـ: فهذه القضية كاذبة أم صادقة؟

فان قال قائل «انها صادقة» فقد رأينا الشرور غوالب، وللخيرات الملتمسة قوالب. الى قوله: رُوي عن النبي ﷺ أنه كان يقول ـ إذا أراد السفر ـ «اللهم

إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد » فهذه الأشياء التي تعوّذ منها خيرات أم شرور ؟

فان قال قائل « بل هي مخوفة منكرة » فقد أبطل القضية الاولى أنه لا يفعل الا خيراً . وان قال « ان قضية الخير وحده لا تصحّ » فالسائل إذا سأله يسيء الادب ويُلحّ . فان أبى أنه يفعل الشرّ جملة كان مرجعه الى قول المجوس في اثبات خالقين أحدهما يفعل الخير والآخر يفعل الشر . وقولُ الشيخ (أيده الله) بعد اقتصاص ذلك كله : ومعاذَ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نَلزَمُ شرعَنا ، ونبسط في اتباعه ذَرعَنا

فأقول مجيباً : أهذه « أنباء الأمور الصحائح » التي يهدي بها من استهدى ، ويُجدي بمثلها على من استجدى[1] ؟ وهل زاد السقيمَ بدوائه هذا إلا سقَما ، والأعمى الأصمَّ في دينه وعقله إلا عمىً وصَمَما

وقوله بعد تقسيم هذه المقالات « ومعاذ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نلزم شرعنا » أفشرعنا داخل في جملة هذه التقاسيم ، أم خارج عنها ؟ فان كان داخلاً فيها فأيُّ أقسامها أولى بالاتباع على رأيه (حرسه الله) فنتّبعه ؟ وان كان خارجاً عنها فما هو ، وأيّ هو ؟

على أن هذه الجملة من أولها الى آخرها بنجوة عن سؤالي الاوّل ومعزلٍ عنه ، ولا مناسبة بينها وبينه

وأما ما تبع هذا الفصلَ من ذكر فجعة رسول الله ﷺ بابراهيم ولده عليه السلام ، وذكر سمّ الحسن وقتل الحسين وقتل حمزة عليهم السلام الجاري كله على سياقة واحدة ، والاستخبار عن كون جميع [ذلك] خيراً أو شرّاً ، فهو داخل في مضمار التقاسيم المذكورة التي عددتها وتركها في غواشي ظلماتها ، فقد سبق القول

(١) يشير الى بيت المعري الذي بنيت عليه هذه الرسالة

أنه ما حلّ في السؤال الاول من الشبهة عقالا ، بل زاد بهذه الاسئلة تيها وضلالا

وأما القول في أن اللحوم لا يوصل اليها الا بايلام الحيوان ، وإتيانه بأشعار العرب في حرقة الناقة المفجعة بفصيلها ، فقد سبق القول [بأنه] لا يكون أرأف بها من خالقها ، فليس يخلو من كونه عادلا أو جائراً : فان كان عادلا فانه سبحانه يقبض أرواح الآكل والمأكول جميعا وذلك مسلم له ، وان كان جائرا لم ينبغ أن نرجع [١] على خالقنا بعدلنا وجوره

وأما قوله وللسائل أن يقول ان كان الخير هو الذي لا يريد ربنا سبحانه سواه فالشر لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قد علم به أو لا ، فان كان علم به فلا يخلو من أحد أمرين: اما أن يكون مريدا له أو غير مريد، فان كان مريدا فكأنه الفاعل وان كان غير مريد ففعلُ ما لا يريده الامير في ولايته مذموم فكيف في ولاية رب العالمين سبحانه

فأقول في الجواب : قيل [٢] ان انسانا ضاع له مصحف فقيل [له] [٣] : اقرأ « والشمس وضحاها » فانك تجده فقال وهذه السورة أيضا فيه. فكذلك أقول ان هذا أيضا من ذاك ، وجميعه ظلمات ، فأين النور ؟ وانما قصدناه للنور لنعرف أنباء الامور الصحائح ، كما قاله

وأما قوله (حرسه الله) لما رأى اختلاف الأقوال ، وأيقن بنفاد وزوال ، ولزم الامساك عن المأكل ، وظن اقتناعه بالنبات يثبت له في الآخرة جميل الاثبات ، فما صح لى أن الرب الذي سأله أن يرزقه صوم الدهر هو الذي يريد الخير وحده ولا يريد الشر [أو الذي يريد الشر وحده [٣]] أو الذي يريدهما جميعا ، والصوم

---

(١) وفي الاصل « نتبع أن يرجع »

(٢) كانت في الاصل « فأقول في الجواب ما قيل » وعند يا قوت « فأقول قيل »

(٣) الزيادة من معجم الادباء

فرع على أصلٍ من شرعٍ يأتي به رسول، والرسول يتعلق بمرسل، وقضيتنا في المرسل مشتبهة : يبعث رسولا فيريد أن يطاع أم لا يطاع ؟ فأن كان يريد أن يطاع فهو مغلوب على ارادته لان من لا يطيعه أ كثر [١] وان كان يريد أن لا يطاع فارساله اياه محال وطلبه حجة على الضعفاء ليعذبهم . فان كان موضوع صومه على هذا فلم يفعل شيئا وان كان على غيره مما هو جليّ واضح فهو الذي اطلبه ومن أجله شددت راحلتي اليه

وأما اقتناعه بالنبات لثبات في الآخرة [٢] ، فالنبات المختص للحيوان للمعاش التي من أجلها خلق النبات ، وليس لها في الآخرة قدم ولا ثبات

وأما ما اقتصه من أمر جالينوس في اعتقاد حيرة الامم وقول من قال ان الباري رءوف رحيم فلمَ سلط الأسد على ما يفترس ، فهذا كله داخل في ضمن ما أوردناه وغير محتاج عن حكمه [٣] ، وانما المرب اليه لهذه الجهة لو لمحتُ سنا برق ارشاده ، وفاء للبيت من الشعر الذي يعاده

واما حكايته قول بعض الملحدين ، واستعاذته بالله تعالى أن يكون من المعترضين في قول الله تعالى « وأنه أهلك عاداً الاولى ، وثمودَ فما أبقى » الآيات ، ان كان الباري سبحانه خلقهم وهو يعلم أنهم مجرمون ، والتوبة والانابة محرّمون ، فكان الأولى به وهو الرءوف الرحيم أن لا يخلقهم لئلا يعذبهم . وان كان لا يعلم فهو كأمثالنا ممن يفعل الشيء ولا يدري ما يكون منه . وقول الشيخ بعده : معاذ الله أن نقول ذلك بل نسلم ونتلو الآية « من يَهدِ اللهُ فهو المهتد ومن يُضللْ فلن تجدَ له وليا مرشدا » فليس الملحد اذا قال ان السكّر حلو والخل حامض لا يقبل

---

(١) كذا عند ياقوت . وفي الاصل « فمن لا يطيعه اكبر »

(٢) عبارة المعري في الرسالة السابقة « وظن اقتناعه بالنبات ، ينبت له في العاقبة جميل الاثبات ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير »

(٣) كذا الاصل

منه لكونه ملحداً ، وقوله يقتضي جواباً فان كان عند الشيخ أيده الله جواب فهو الذي نبغي أولا فقوله « معاذ الله أن تقول ذلك بل نسلم » فما التسليم في هذا الموضع الا التسليم للملحد لا شيء غيره

وأما تفنيده لرأي من لا يرى رأي الرجعة ولا يؤمن بقوله سبحانه « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » وقوله ان هذه حجة قاطعة لأن خلقها مبتدعة ابعدُ من انشائها مرتجعة ، واشهاده الله تعالى على نفسه بكونه مقرا بالرجعة والخوف من الآخرة محافظ على صلاته وصومه ، ويبرأ من قول الكافر ولومه :

ألمت بالتحية أمُّ بكرٍ فحيوا امَّ بكر بالسلام
ألا من مبلغ الرحمن عني بأني مفطر شهر الصيام
أيوعدنا ابنُ كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

ويلعن من قال في آخر ابياته :

سأروض الناس حتى يركبوا دين الحمار

والذي قال أيضا يسبُّ المصحف ويخاطبه :

اذا لاقيتَ ربكَ يوم حشرٍ فقل يا ربّ مزّقني الوليد[1]

وما يجري هذا المجرى . فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك حاشاه ، وما الذي أوجب الاذكار بكفريات شعرهم واقتضاه ؟ وما كانت به حاجة الى استطراد ذكرهم ، وانشاد شعرهم

وأما روايته عن النبي ﷺ « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » وتفسيره الخبر بكون الذي يقضي عليكم هو الحي القيوم الذي تسجد له الشمس والقمر ، وتشهد به كل المخلوقات ؛ فهو جالينوس طب اللغة ويعلم علم اليقين أن هذا

---

(١) تقدمت الاشارة الى أن هذا من الابيات المكذوبة ، وهي مما صنعه للفرس في دولة بني العباس تقرباً اليهم وتنزيلا من قدر الدولة الأموية

مخبر لا يدل عليه لفظ الخبر ، فمن أين والى اين ؟ وانما هو المقصود ليخرج من التيه ، لا لان يمرح فيه

وأما ختمه الرسالة بقوله ان الذي حثه على ترك أكل الحيوان أن الذي له في السنة نيف وعشرون ديناراً يصير الى خادمه معظمها ويبقى له ايسرها ، فالضرورة تدعو الى مدافعة نفسه بالفطام عن لذيذ الطعام ، والاقتصار بها على جريشه ؛ فجسمه من الفضل والادب للفوائد ينبوع ، وحماهما ما دام باقيا ثابتا ممنوع ، وتحمل مؤنة القدر الذي يطعمه لو كان ثقيلا لوجب تحمله ، فكيف وهو الخفيف محمله ؛ وقد كاتبتُ مولاي تاج الامراء حرس الله عزه أن يتقدم بازاحة العلة فيما هو بُلغة مثله من الذّ الطعام ، ومراعاته به على الادرار والدوام . لتنكشف عنه غاشية هذه الضرورة ، ويجري أمره في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة . وهذا باب ينفتح بمشيئة الله وعونه

ثم ان قام من الشيخ حفظه الله نشطة لجواب يكتبه عن هذا التعليق اعفاني فيه عن قصد الاسجاع ولزوم مالا يلزم ، فان ملتمسي فيه المعاني لا الالفاظ



الجواب من أبي العلاء المعري

سيدنا الرئيس الأجل ، المؤيد في الدين ، عصمة المؤمنين ، هَدَى اللهُ الأمم بهدايته ، وسَلَكَ بهم طرقَ الخير على يده

فقد بدأ المعترف بجهله ، المقر بحيرته ، والداعي الى الله سبحانه أن يرزقَه ما قلّ من رحمته ؛ في أوّل ما خاطبه به أن ذكر اعتقادَه في سيدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين ضوّأ اللهُ الظُلَم ببصيرته ، وأذهبَ شكوكَ الافئدة برأيه ، وما تَنْسه عليه من الذلّة والحقرية عنده ، وأنه يحسبها ساكنةً في بعض السوّام . وعجيبٌ أنْ مثله يطلب الرشدَ ممن لا رُشد عنده ، فيكون كالقمر الذي هو دائبٌ في خدمة ربّه ليلا ونهارا يطلب الحقيقة من أقمرَ بفلاة يرد الماء على الصائد ويصيب قلبَه بسهم

وقد ذكر — أيّد الله الحقَّ بحياته — بيتاً من أبياتٍ على الحاء ذكرَها وليُّه ليعلم غيره ما هو عليه من الاجتهاد في التديّن ، وما حيلته في الآية « مَنْ يَهْدِ اللهُ فهو المهتدِ ومن يُضْلل فلن تجدَ له وليّاً مُرْشدا » . والابياتُ أوّلها :

غدوتَ مريضَ الدينِ والعقل فالقني لتسمع أنباء الأمور الصحائح

وهو — أدام الله قدرته — يعلم أن الله سبحانه له أسرارٌ لا يقف عليها الا الأولياء ، وان المعقول له في العالم عمل عظيم لا يصلون الى المنفعة الا به ، وهو يدلّهم على عبادة الله عزّ سلطانه وعلى جميع ما ينتفعون به من مأكول ومشروب وملبوس ، ويدلّهم على طلب المعايش والسعة في الارزاق . وبعد هذا البيت :

فلا تأكلنْ ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغِ قوتاً من غريضِ الذبائح

واذا سلّم المسلّم أن الباري تقدّست أسماؤه له سرٌّ خفيٌ لا يعلمه الا الانبياء ومن أخذ عنهم من الأئمة ، ولا يقدر أحدٌ أن الحيوان البحري لا يخرج من الماء الا وهو كاره للخروج ، واذا سُئل المعقول عن ذلك لم يقبّح تركَ أكله وان كان حلا ، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم مطلق. وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يقوم الليل حتى تقرّحت قدماه ، فقيل له : يارسول الله لمَ تفعل ذلك وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

وأبيض أمّاتٍ أرادت صريحَهُ لأطفالها دونَ الغواني الصرائح

والمراد بالابيض اللبن ، ومشهور في الأمم أن الامّ اذا ذُبح ولدها وَجدتْ عليه وجداً عظيما وسهرت لذلك الليالى ، وقد أُخذ لحمه وتوفر على أصحابه أمه ما كان يرضع من لبنها ، فأيُّ ذنب لمن تحرّج عن ذبح السليل ولم يرغب في استعمال اللبن ، وليس يعتقد فيه ذلك ولا يزعم أنه محرم ، وإنما تركهُ اجتهاداً في التعبُّد ورحمة للمذبوح ، رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السماوات والارض. واذا قيل ان الله سبحانه ساوى بين عباده في الاقسام ، فأي شيء أسلفَته الذبائح من الخطأ حتى تُمنَع حظَّها من الرأفة والرفق ؟

ولا تفجعنَّ الطير وهي غوافلٌ بما وضعتْ فالظلم شرُّ القبائح

وقد نهى النبي ﷺ عن صيد الليل ، وذلك أحد القولين في قوله ﷺ : « أقِرُّوا الطيرَ في وكناتها » والاسلام ورد بأن لايضارَّ طائر ولا سواه . وفي الكتاب العزيز - يا سيدنا الرئيس المؤيد في الدين عصمة المؤمنين لازالت القلوب معمورة بعظاته — ما هو أعلم به من سواه ، وذلك قوله « يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » وقال في آخر الآية « ومن عاد فينتقمُ اللهُ منه والله عزيز ذو انتقام » .

وقال في موضع آخر « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أُحِلَّتْ لكم بهيمة الانعام إلاّ ما يُتلى عليكم غيرَ مُحِلّي الصيد وأنتم حُرُمٌ إنَّ الله يحكمُ ما يُريد »

فاذا سمع من له أدنى حس بهذا القول فلا لومَ عليه اذا طلب التقربَ الى رب السماوات والأرض بأن يجعل صيدَ الحِلّ كصيدِ الحرَم ، وان كان ذلك ليس بمحظور

وَدَعْ ضَرَبَ النحلِ الذي بكرَتْ له كواسب من أزهار نبتٍ فوائح

لما كانت النحل تحاربُ الشائرَ عن العسل بما تقدر عليه وتجتهد في أن تردّه من الجانبين ، فلا غَرْوَ إن أعرضَ عن استعماله رغبةً في أن يجعل النحل كغيرها ما تكره من ذبح الأكيل وأخذ ما كان يعيش به ليسرً به النساء كي يبدُنّ وغيرها من بني آدم

وقد وَصَفَتْ الشعراء ذلك فقال أبو ذؤيب الهُذَليّ يصف مشتار العسل :

إذا لسعتْه النحلُ لم يرجُ لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

وقال أيضاً :

فلما جلاها بالأيام تفرقت[1] ثُبات عليها ذلّها واكتئابها

والأيام الدُخان ، وقيل عود فيه نارٌ يدخل في موضع النحل ليهرب . وقال ساعدة بن جؤية :

قليل متاع المال الا مسابيا واخراجها تعنى بها وتقيمها

فما برح الانسان حتى رضَعْنَهُ الى الثول يبقى حبها ويئومها

يئومها أي يدخل الأيام في بيتها

وروي عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه حكاية معناها أنه كان له دقيق شعير في وعاء يختم عليه ، فاذا كان صائماً أفطر على شيء من ذلك الدقيق ، وكان أول ما يطعم . فاطّلع على ذلك بعض أصحابه فقال لجارية له : أما تتقون الله

(١) في لسان العرب (تحيزت)

في هذا الشيخ ؟ فقالت : وما نصنع به ، هو الذي يختار ذلك !

وقد كان عليه السلام يصل الى غلةٍ كثيرة ولكنه يتصدق بها ويقتنع أشد اقتناع

وروي بعض أهل العلم أنه قال في بعض خطبه : ان غلته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار . وروي أنه قدم اليه خبيص في الكوفة ، فقال : هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أكله ؟ فقالوا : لا . فأمر برفعه

وهذا يدل على أن المجتهدين من الأنبياء والأئمة يقصرون نفوسهم ويؤثرون ما يفضل منهم لأهل الحاجة . وفي الكتاب العزيز « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فحسبهم من الشرف ما ذكر في هذه الآية من حميد الانتفاع والايثار بالقليل

وقد قلت في مخاطبة سيدنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين عصمة المؤمنين - لازال ضياء قلبه يضوي قلوب المؤمنين - : انى هبت حضرته الجليلة ونسبت الاسترشاد الى من هو أفضل مني رتبة لأدخل في المنفعة بجوابه

وقد سألت من يسترشد أن يسأل عن قضايا خمس لم يجب منها عن واحدة وعدل سيدنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين الى الايماء بأن من ترك أكل اللحم ذميم ؛ ولو أخذ بهذا المذهب لوجب على الانسان أن لا يصلي صلاة الا ما افترض عليه ، لأنه اذا زاد على ذلك أداه الى كلفة ، والله تبارك اسمه لا يريد ذلك . ولوجب أن الذي يكون له مال كثير اذا أخرج عن الذهب ربع العشر لا يحسن به أن يزيد على ذلك . وقد بعث الناس على النفقات في غير موضع من الكتاب العزيز كقوله تعالى جده « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتيَ أحدَكم الموتُ فيقول ربِّ لولا أخرتني الى أجل قريب فأصَّدَّقَ وأكنْ من الصالحين » . وفي الكتاب العزيز « مَن ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » . والمراد بالقرض ما لا يجب على الرجل من

إخراج الزكاة لان زكاته دَين للمساكين عليه ، ولو أن رجلا له عبيد أطعم اثنين منهم وترك بقية العبيد فاقتنع أحد العبيد ببعض مارزق وأطعم باقيه للعبيد الذين لم يطعموا شيئاً واستعان بعضهم على مآرب تؤدّيه الى عبادة الله كاتيانه بالماء الطهور وتعمدهم مادنس من لباسه بالغسل لم يكن ذمياً في ذلك ولم يستحقّ من مولاه العقوبة

والعبدُ الضعيف العاجز قد افتقر الى مثل ذلك ، ولو مثلَ في حضيرته السامية لعلم أنه لم يبق فيه بقية لأن يُسأل ولا أن يجيب لأن أعضاءه متخاذلة وقد عجز عن الصلاة قائماً وانما يصلّي قاعداً . والله المستعان

وكيف له أن يكون يصل الى أن يدبَّ على عكاز أو يتبع من اتفق له من قائد كما قال أعشى بكر :

اذا كان هادي الفتى في البلا د صدر القناة أطاع الاميرا
وهاب العثار اذا مامشى وخال السهولة وعثا وعورا

وكيف للعبد الضعيف العاجز أن يكون اذا مشى يعثر لأنه لايعثر الاّ وهو على المشى قادر ، وكيف له أن تكون حالة كحال لبيد لما قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي ركوب العصا تُحنى عليها الاصابع
أخبّر أخبار القرون التي مضت أدبُّ كأني كلما قمت راكع

كيف لى بهذه الرتبة ، ولكن حِيلَ بين العير والنزَوان كما قال صخر بن عمرو بن الشريد :

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
وللموتُ خيرٌ من حياة كأنها معرّس يعسوب برأس سنان

واني لأعجز اذا اضطجعت عن القعود فربما استعنت بانسان فاذا همَّ باعانتي وبسط يديه لينهضني اضطربتْ عظامي لأنهن عاريات من كسوةٍ كانت عليهن

فعرّتهن منها الاوقات المتمادية ، وإنما عنيت ما كان عليهن من اللحم

وأما تمثله ببيت أبي الطيب فلو بلغه ذلك لابتهج اذ كان مثله يتمثل بشيء مما نظمه ، وقد قال لعليّ بن عبد الله بن حمدان لما سمعه ينشد بيتين من شعر النابغة أغلب الظن أن الاول منهما :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفَهم بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

٭

سمعتك منشـداً بيتي زياد نشيداً مثل قائله كريما

فما أنكرتُ موضعه ولكن غبطتُ بذاك أعظمَه الرميا

ولو بلغه هذا الخبر لكان سروره به أعظم من سروره بتمثل ابن حمدان، لأن ذلك الرجل كان صاحب سيفٍ وسيدُنا الرئيس الاجلّ صاحبُ ورع ودين وهداية ينتفع بها المهتدون

ومن استرشد بمثل العبد الضعيف العاجز فانما مثله مثَل من طلب في القتادة ثمر النخلة ، وانما حملَ سائلَه على ذلك حسن الظن الذي هو دليل على كرم الطبع وشرف النفس وطهارة المولد وخالص الخِيم . ومن استرشد بسيدنا الرئيس الاجلّ المؤيد في الدين ـ أجزل الله حظَّ الاسلام بدوام أيامه ـ كان كطالب الذهب من معدِنه في النيل ومشبهه

فأما ماذكره من المكاتبة في توسيع الرزق عليَّ فبذل افضال ورثه عن أب فأب وجد في أثر جدّ حتى يصل النسب الى التراب الذي خلق الله منه آدم صلى الله عليه وسلم ، كما قال الأسدي :

فَضَلْنا الناسَ أنّا أوّلوهم وأن مكارم الاخلاق فينا

أباً فأباً اذا نحن انتسبنا الى أن يبلغ الانسان طينا

وأما العبد الضعيف العاجز فما له رغبة في التوسع ومعاودة الاطعمة ، وتركها

صار له طبعاً ثانياً ، وله ما أكل شيئاً من حيوان خمسٌ وأربعون سنة . وقال الشاعر :

والشيخ لا يترك عاداته حتى يُوارَى في ثرى رمسه

وأرجو أن لا يكون العبدُ الضعيف العاجز أحد الجاهلين الذين قال فيهم الشاعر :

مايبلغ الاعداء من جاهل مايبلغ الجاهلُ من نفسه

وقد علم أن السيد الاجلّ تاج الامراء فخر الملك عمدة الامامة وعدّة الدولة ومجدها وعزّها ذا الفخرين أعزَّ الله نصره يضيف أولاد سام ومن وَلَدَهُ أخوه حام وكذلك نسل يافث ، ولو فُتحت يأجوج ومأجوج لجاز أن يضمن لهم قِرَى الاضياف . ووَدَّ العبد لو أن قلعة حلب ـ حماها الله ـ وجميع جبال الشام جعلها الله القادر ذهباً لنفقة السيد الاجل تاج الامراء خلّد الله امارته في نصر الدولة النبوية على إمامها السلام ، وكذلك على الائمة الطاهرين آبائه ، من غير أن يصير الى العبد الضعيف العاجز من ذلك قيراط وهو يستحي من حضرة تاج الامراء أدام الله جلالته أن ينظر اليه بعين من رغب في العاجلة بن بعد مازهد وقد رضي أن يلقى الله جلّت قدرته وهو لا يُطالَب الا بما فعل من اجتناب اللحوم فان وصل الى هذه الرتبة فقد سعد . وفهمت ما نهى عنه من اجتناب السجع ، وقد أدّبني بما قال أدبَ النبي ﷺ حين قال له القائل لما ذكر الجنين : « أرأيت من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهلّ ، أليس مثل ذلك بطل ـ وروى يُطل ـ » فقال ﷺ « أسجعاً كالجاهلية ؟ » على أن الناس في الاسلام قد استحسنوا السجعات وكثرت في خطبهم ومراسلاتهم فقلَّ ما يخطب بخطبة على منبر الا وفيها سجعٌ . وأما خطباء العراق فعهم خطب تكون من أولها الى آخرها مسجوعة على الباء أو التاء أو غيرها من الحروف . وروي أن بعض الملوك قال لبعض الفقهاء : بلغني أنك تحبُّ السجع . فقال : نعم . وقرأ عليه آيات من قوله تعالى « والشمس وضحاها »

والفواصل التي جاءت في الكتاب الاشرف على ضروب : منها ماهو متباعد

لايجري مجرى السجع ، وفيه مايجري مجرى المسجوعات . كقوله تعالى « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » وكذلك قوله « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » واذا جاءت الكلمات مختلفات الاعراب ـ بعضها مرفوع وبعضها منصوب وبعضها مخفوض ـ فمن الناس من يرى ذلك سجعاً ، ومنهم من لايدخله في باب المسجوع فاذا اختلفت أوائل الكلمات في الضم والفتح والكسر ففيه اختلاف كاختلافهم في الاعراب

ولو عَلِمَتِ الحمائمُ الساجعة أن الله سبحانه ، أو نبيه ﷺ ، يكره سجيعها على الغصون لخرست عنه وتبرّأت منه . وكذلك النوق الموصوفة بأنها ساجعات كما قال تميم بن نُويرَة :

إذا حنّت الاولى سجعن لها معا

وإنما كرهه عليه السلام لأنه قد كثر في كلام الكهان فنهى عنه غيرَ محرِّمٍ له ، وقد روي عنه كلام مسجوع في حديث جرير بن عبد الله البجلي ، منه قوله لما سأله عن المرعى والماء « خيرُ الماء الشَّبِم ، وخير المرعى السَّلَم . اذا سقط صار درينا ، وإذا خبط جعل لجينا » وسيّدنا الرئيس الاجلّ المؤيد في الدين لا زالت حجته باهرة ، ودولته غالبة ، كما قال زهير :

لعمرُ أبيك ما هرِم بن سلمىٰ ... بملحيٍّ إذا اللؤماء ليموا
ولا ساهي الفؤاد ولاعييّ الا ... سان اذا تشاجرت الخصوم

وكما قال ثعلبة بن صعير المازني :

ولربَّ قوم ظالمين ذوي شذى ... تغلي صدورهم بهتر هاتر
لُدِّ ظأرتهمُ على ما ساءهم ... وخسأت باطلهم بحق ظاهر

ولو ناظر ارسطاطاليسَ لجاز أن يفحمه ، وأفلاطون لنبذ حججه خلفه . والله يجمّل بحياته الشريعة ، وينصر بحجته الملة . والسلام

الجواب من سيدنا المؤيد في الدين

وسبق بوفوده موت أبي العلاء المعري

ما فاتحتُ الشيخَ ـ أحسنَ الله توفيقه ـ بالقول إلا مفاتحةَ متناكرٍ مؤثر لأنْ لا يخفى من أين جاءه السؤال ، فيكون الجواب باسترسال ورفض حشمة(١) وحذف تكلف الخطاب بسيدنا والرئيس وما يجري هذا المجرى ، اذ كان حكم ما نتجارى فيه موجباً أن لا يتخلله شيء من زخارف الدنيا ، ولانني أعتقد أن « سيدي » بالحقيقة من تستقلُّ دون يده يدي أخذاً منه للدنيا ، أو تمتار نفسي من نفسه استفادة من مَعالم الاخرى ، فلا أدري كيف انعكست الحال حتى صار الشيخ ـ أدام الله تأييده ـ يخاطبني بسيدنا والرئيس ولست مفضّلاً عنه في دنيا ولا دين ، بل شادٌّ راحلتي اليه لاستفادةٍ إن وردتُ مَوْردها أو صادفتُ منهلا أو علاً منها قابلتها بالشكر لنعمته والاسجال على نفسي بسيادته

وبعدُ فاني أعلمه ـ أدام الله سلامته ـ أنني شققتُ بطنَ الارض من أقصى دياري الى مصر ، وشاهدتُ الناس بين رجلين : اما منتحلاً لشريعةٍ صباً اليها ولهجَ بها الى الحدّ الذي ان قيل له من أخبار شرعه : ان فيلا طار ، أو جملا باض لما قابله الا بالقبول والتصديق ، ولكان يكفرّ من يرى غيرَ رأيه فيه ويسفهه ويلعنه . فالعقلُ عند مَن هذه سبيله في مَهواة ومضيعة ، فليس يكاد ينبعث لأن يعلم أن هذه الشريعة التي ينتحلها لم يطوّق طوقها ولم يُسوَّر سوارها إلا بعد

(١) في الاصل (ورحص)

لموع نور العقل منه ، فكيف يصحُّ توليته أوَّلا وعزله آخراً ، ولمَ لا يتساوى طرفاه ولاية أو يتساوى طرفاه عزلا ، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أو منتحلا للعقل يقول انه حجة الله تعالى على عباده ، مبطلا لجميع مالناس فيه ، مستخفاً بأوضاع الشرائع ، معترفاً مع ذلك بوجوب المساعدة عليها وعظم المنفعة بمكانها لكونها مقمعة للجاهلين ، ولجاماً على رءوس المجرمين المجزفين ، لا على أنها ذخيرة للعقبى أو منجاة في الدار الاخرى .

فلما رَمَت بيَ المرامى الى ديار الشام ومصر سمعت عن الشيخ – وفقه الله – بفضل فى الأدب والعلم قد اتفقت عليه الاقاويل ، ووضح به البرهان والدليل . ورأيت الناس فيما يتعلق بدينه مختلفين ، وفى أمره متبلبلين : فكل يذهب فيه مذهباً ، ويُتَّبع من تقاسيم الظنون سبباً . وحضرت مجلساً جليلا أجري فيه ذكره فقال الحاضرون فيه غثا وسمينا . فحفظته بالغيب ، وقلت ان المعلوم من صلابته في زهده يحميه من الظِّنَّة والريب . وقام في نفسى أن عنده من حقائق دين الله سراً ، قد أسبل عليه من التقية ستراً ، وأمرا تميز به عن قوم يكفِّر بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضا . ولما سمعت البيت :

غدوت مريض الدين والعقل فالقني   لتسمع أنباء الامور الصحائح

فوثقتُ من خلدي فيما حدست عقوده ، وتأكدت عهوده . وقلت : ان لساناً يستطيع بمثل هذه الدعوى نطقا ، ويفتق من هذا العظيم رتقا ، للسانٌ صامتٌ عنده كلُّ ناطق ، وناطق من ذروة جبل من العلم شاهق . فقصدته قصد موسى عليه السلام للطور أقتبس منه ناراً ، وأحاول أن أرفع بالفخر منارا ، بمعرفة ماتخلَّف عن معرفته المتخلفون ، واختلف في حقيقته المختلفون . فأدليتُ دلوي بالمسألة الخفيفة التي سألتُ : ترقياً من دون الى فوق ، وتدرّجاً من صغير الى كبير ، فكان جوابه أنه يصغر عن أن يكون للاسترشاد محلا ، وأن يَشدَّ اليه شادٌّ فيه رحلا ،

فقلت : هذا زيادة في فضله ، وما يجوز صدور مثله عن مثله . ثم انتهى الى الاحالة على كون الناس – مَن تقدَّم منهم وتأخر – في وادي الحيرة تائهين ، وبأذيالها متعثرين ، فمن قائل يقول : ان الخير والشر من عند الله سبحانه . ومجيب يجيبه : هل كان [ما] يستعيذ منه رسول الله ﷺ من وعثاء السفر وكلُّ مُستعاذٍ منه خيراً أو شرا ؟ فان كان خيراً فالاستعاذة منه باطلة ، وان كان شراً واللهُ مريده فالاستعاذةُ منه فضول وزيادة في المعنى . وسؤال من يسأل : هل كان سمُّ الحسن وقتل الحسين عليهما السلام خيراً أو شرا ؟ فان كان خيراً فاللعنة على القاتل من أيِّ جهة ؟ وان كان شرّاً واللهُ مريدُه زال اللوم عن القاتل . وقائل يقول : إن الخير من الله والشرُّ من غيره . ومجيب يجيبه بالجواب الذي يقطع به الاسباب . وغير ذلك مما أطال الخطاب به من أشعار الملحدة وأقوالهم . فكان جوابي له – أدام الله سلامته – انني من هؤلاء الذين ذكرتَهم هربتُ اليك ، وتطارحتُ عليك . وان كلامهم قبل أن علَّلته عليل ، وهو على مسامع القبول مني ثقيل . فافتح لي إلى ما عندك بابا ، وأفسح لى من لدُنْكَ جنابا . فلم يفعل . ثم خاطبتُه على امتناعه من أكل اللحوم فاحتجَّ بكونه متحرّجا من قصدها – أعني البهائم – بالمضرَّة والايلام ، متعففاً عنها لهذه الجهة . فقطعت لسان حجته بعد تباهيها ، وقلت : اذا كان الله سلط بعضها على بعض يأكله وهو أعرف بوجوه الحكمة وأرأف بالخليقة فلا يكن أرأفَ بها من ربها ولا أعدل فيها من خالقها . ثم عدل الى ذكر قصور يد الاستطاعة دون ذلك اذ كان القَدْر الذي هواه في السَّنَة مصروفا الى من تولَّى خدمتَه أكثرُه وخالصاً له أقلُّه . فقطعت الحجة في هذا الباب أيضا وعيّنتُ له على جهة كريمة من الذين لا يُتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى ، يقوم بقدر كفايته من أطيب ما يأكلون ، وأزكى ما في البيوت يدَّخرون . فتجافتْ نفسه – وقاها اللهُ السوء – عن هذا الباب أيضا ، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثره ولا يرغب فيه ، ولا يخرق عادته المستمرة في التَّرْك ، وابتدأ يقول :

اني أطلب الرشد ممن لا رشد عنده ، وان البيت الذي قاله مما جملتهُ محجة الى استقراء طريقته ومذهبه انما أراد الاعلام باجتهاده في الدين ، وما حيلته في الآية المنزلة : « من يَهدِ اللهُ فهو المهتد ، ومن يُضلل فلن تجدَ له ولياً مرشدا » فجمع بين المتضادّين في كلمة واحدة : ان كانت الآية حقاً كان الاجتهاد باطلا ، وقال: ان للهِ سبحانه أسراراً لا يقف عليها الا الاولياء ، فنحن على ذلك ندور وعلى باب من هو عنده نطوف . فان قلنا انه ـ حرسه الله من أصحابه ـ بدعوى صحته في دينه وعقله ومرض الناس على موجب قوله في نيته قال لارشد عندي ، فنظمُه في هذا المعنى يخالف نثره ونثره يخالف نظمه فكيف الحيلة . ثم قال ان البيت المقول :

غدوت مريض الدين والعقل فالقني

يؤدي معناه الى البيت الثاني :

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما

فكان مرض العقل والدين من جهة أكل اللحوم وشرب الألبان وتناول العسل ، فمن ترك هذه المطاعم كان صحيحاً في دينه وعقله ، وهو يعلم أن مصحة الاديان والعقول لا تقوم بذلك ، ولا يجوز أن يكون هذا البيت الثاني ناسخاً لحكم الاول فيكون محصول دعواه في فقر الناس الى أن يصحح عقلهم ودينهم هو أن نقول لهم : لا تأكلوا اللحم ولا تشربوا اللبن

وأما قوله ان الحيوان البحري كاره لأن يخرج الى البرّ وأنه ليس يقبح في العقول ترك أكله وان كان حلالا ، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم طلق مباح . فما من حيوان بريّ ولا بحريّ هو أجلُّ من هذا الانسان الحي العاقل الناطق ، وهو كاره لان يأكله شيء،والدودُ يأكله في قبره . فان كان ذلك صادراً عن موضع حكمة كان ما ذكره من الحيوان البري والبحري جاريا في مضمار هذا مِثلا بِمثل ، وان كان معدولا به عن وجه الحكمة كان محالا أن يكون صانعي سفيها وأكون أنا مصنوعه حكيما

وأما قوله ان النبي ﷺ صلّى الى أن تفرّحت قدماه فقيل له فيه فقال : «أفلا أحب أن أكون عبداً شكورا » فما هذا مما نحن عليه في شيء ، والانسان له أن يصلي ما شاء من الصلوات في الاوقات التي تجوز فيها الصلاة ، على أنْ لا يزيد في الفرائض ولا ينقص منها . وهذا الكلام شرعيٌّ وكانت القضية في التكلم على العقليات

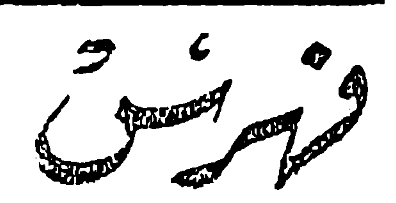
وأما قوله انه عليه السلام حرَّم صيد الحرم وان لغيره أن يحرّم صيد الحل تقربا الى الله سبحانه فليس لاحد أن يحلل أو يحرم غيره

وأما قوله ان علياً عليه السلام لما قدّم له الخبيص سأل : هل أكل النبي عليه السلام منه ؟ فقالوا: لا . فرفعه ولم يأكله . فهذه الحجة عليه لا له ، فان الناس مجمعون على أن النبي ﷺ لم يفارق أكل اللحم ولم يهجره دهره ، وذلك بالضد سواء ولو لا انه ــ حرسه الله ــ لم يستظهر عليَّ بالشريعة ولم يجاوز نصبة العقل لصنته عن هذا الجواب الذي عسى أن يشغل سره ويعز عليَّ ذلك

وأما ما شكاه من ضعفه وقصور حركته وقوله انه لم يبق فيه بقية لأن يُسأل ولا أن يُجيب ، فما هو ــ حرسه الله ــ على علاته من الضعف والقوة الا من محاسن الزمان ، وممن سارت بذكر فضله الركبان ، الا أنه ــ على عدوان الدهر عليه ــ عدا على نفسه بحرمانها ملاذ دنياها ، فانْ وثقتْ نفسه بملاذٍ يعتاض عنها مما هو خير وأبقى منها فما خسرت صفقتُه وقام مصداق قوله بالبيت المقدَّم ذكره . وان كان توسم بتيمم الشح بمنع المنتجعين ، ورد السائلين . وان كان شق على نفسه من غير بصيرة كما يدعيه الآن خوضاً مع الخائضين وتحيراً مع المتحيرين ؛ فقد أضاعها وجنَى عليها وادّعى في البيت المقدم ذكره ما لا برهان له به . والغرض في السؤال والجواب الفائدة ، فاذا عُدمت فقد خفف الله عنه أن يتكلف جوابا

وأما الاستجاع ومسألتي التخليّ عنها ، فما كانت الاشحًا بالمعاني أن يصل تتبعها

ولكني اذا تتبعت فضله بمصنفاته في الادب و الشعر وجدت في أرضه مراغما كثيرا ومن أين لى أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنفات أدبه وشعره . وقبلُ و بعدُ فأنا أعتذر عن سر له ـ أدام الله سلامته ـ أديته ، وزمان منه بالقراءة والاجابة شغلته . لانني من حيث ما نفعته ضررته . والله تعالى يعلم أني ماقصدت به غير الاستفادة من علمه والاعتراف من بحره . والسلام



صفحة

« الرسالة الرابعة ـ جواب أبي العلاء »

« الرسالة الخامسة ـ من داعى الدعاة الى المعرى »

المحتويات

الكتاب الأول:

الكتاب الثاني

الكتاب الثالث

الكتاب الرابع

سلسلة مصادر الفلسفة الإسلامية

1 - الكتاب المعتبر في الحكمة الإلهية، لأبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي (ت 547 هـ). 1100 ص

2 - مبحث عن القوى النفسانية أو كتاب في النفس على سنّة الاختصار، ويليه رسالتا الطير وأسباب حدوث الحروف للشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق أ. كرنيليوس فنديك.

205 ص

3 - أحوال النفس، رسالة في النفس وبقائها ومعادها للشيخ الرئيس ابن سينا. تحقيق أحمد الأهواني. 203 ص

4 - مقاصد الفلاسفة في المنطق والإلهيات والصبيعيات للغزالي، تحقيق محيي الدين الكردي. 287 ص

5 - مجموعة الرسائل مع شرح لها لأبي العلاء المعرّي.

236 ص

6 - أدب الجاحظ وفلسفته ويليه فلسفة المعاد والمعاش للجاحظ، دراسة وتحقيق حسن السندوبي. 440 ص

7 - تاريخ علم المنطق عند العرب، مراحله، مدارسه، ومعجم شامل لفلاسفة المنطق ومؤلّفاتهم، للمستشرق نيقولا ريشر.

576 ص

